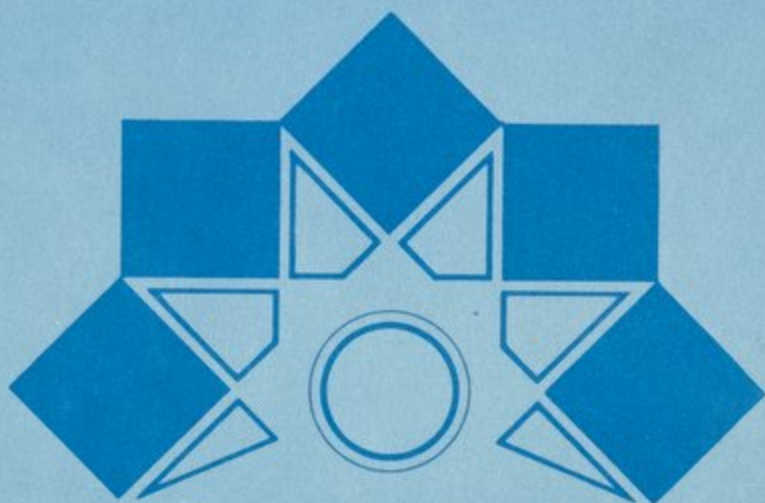
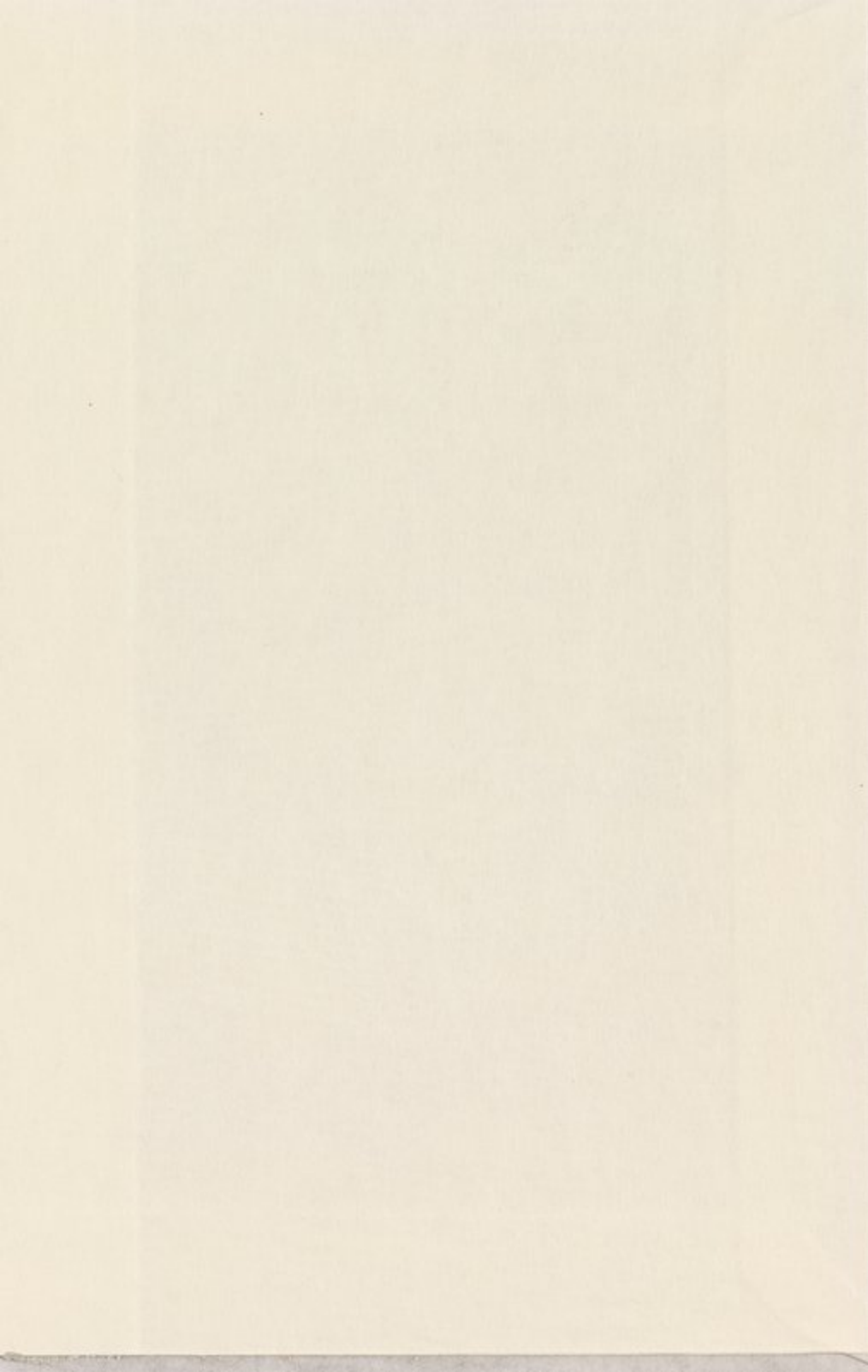


درس

في أصول الدين



لجنة التحرير في طريق الحق





32101 055403800

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

دروس في أصول الدين

تأليف لجنة التحرير
ترجمة: محمد علي التسخيري

مؤسسة في طريق الحق
ص . ب . (٥) قم - إيران

(A 16)
(RECAP)

BP42

.L346

1981



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كثارتی منذُ زمنٍ طويلٍ كيفٍ ينتهز أعداء الإسلام فرصةً ضعف
ثقافة الشباب في بلادنا الإسلاميّة و يبذلون قصارى جهودهم في نشر
دعایاتهم الباطلة بأساليبٍ عصريّةٍ و يحاولون من شتى الطرق أن يملأوا
قلوب شبابنا النقيّة بها.

بدافع من الأمل الحاصل من نشاطاتهم أخذنا على عاتقنا مهمّة نشر
مسائل العقيدة الإسلاميّة بصورة رائعة و جعلها في متناول تلاميذ المدارس و
الثانویات، و لهذا الغرض بالذات عاهدنا أنفسنا على أن تكون الدروس
— على الرغم من اشتغالها على الأدلة — موجزة و ممتعة حتى يرغب
شبابنا في مطالعتها و تبليغاتها الى الآخرين.

بجئنا حول مهمّات مسائل العقيدة في ٣٠ درساً:

١٤ درساً في توحيد الله و عدله.

٩ دروس في نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم).

٥ دروس في الإمامة و الوصاية.

درسان في مسائل الآخرة من المعاد وغيره.

إننا بدأنا بإرسال الدروس (الواحد تلو الآخر) باللغة العربيّة،
الفارسيّة، والانگليزية و الاردوية إلى المدارس و الثانویات في إيران و

خارجها.

وقد وقعت الدروس في أعين الشباب موقِعاً يقضى منه العجب وتشهد عليه الرسائل التي جاءت وتجي من قرائنا الأعزاء من بلاد شتى، حتى وجدنا هذه المؤسسة عاجزة عن إجابة طلباتهم الكثيرة جداً لإرسال الدروس إليهم. فلم نجد بداً من نشرها في كتاب خاص حتى يتمكن الجميع من مطالعتها، والى الآن وفقت مؤسستنا لإصدار مجموعة الدروس في أصول الدين باللغة الفارسية، والانكليزية والعربية واننا اذ نقدّم هذا الكتاب الى شبابنا الواعين المثقفين، نبتهل الى الله تعالى أن يوفّق جيلنا الحاضر للإهتمام بمعرفة المعارف والعقائد الإسلامية وإزالة الشبهات عن أذهانهم وأن يملأوا أعينهم من آفاق الإسلام الساطعة ويستخدموا قواهم في خدمة الدين الحنيف وتطبيق الأطروحة الإسلامية على كل شؤون الحياة وإعادة المجد السابق الذي سلبه الأعداء عنهم، ونسأل الله تعالى أن يديم عمر إمامنا القائد أمل المستضعفين في العالم الذي قام بإحياء الإسلام والجهاد في سبيل نجاة المحرومين.

وأخيراً نرجو من إخواننا أن يتفضلوا علينا باقتراحاتهم.

والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

هـ ١٤٠٢/١١/٣

مؤسسة في طريق الحق

ضرورة معرفة الدين

يعتقد أناس بأن لا مسؤولية هناك تفرض عليهم للبحث عن الدين... ويتساءلون عن الحتمية الدافعة لهم كي يفكروا في الدين. ونحن نوضح خطأ تفكير هؤلاء فيما يلي محاولين التركيز على ضرورة البحث في الدين من جهتين:

١- حكم العقل القاضي بأن يكون الإنسان شاكرًا لما أنعم عليه من خيرات.

٢- وكذلك حكم العقل القاضي بالتحسب ودفع الضرر ولو كان احتمالياً.

وها نحن نتوسع في هذين الطرفين:

١- مسؤولية الشكر:

نحن جميعاً نتمتع بالخصائص الحياتية في هذا العالم: الجهاز العصبي، جهاز التنفس، القلب وباقي اعضاء أبداننا، فكل منها ثمين وقيم بدوره بحيث تتجاوز قيمته حد تصورنا بل وحتى علمنا أيضاً.

وهكذا ضوء الشمس، وجود النباتات، المعادن و المنابع الموجودة

في باطن الأرض.

كل هذه تعد من النعم الكبرى التي يمكن الاستفادة منها بواسطة العلم و الطاقة اللذين منحنا للبشرية.

وفوق كل ذلك هذا الوعي و الإستعداد العجيب الموهوب للناس، بحيث يستطيعون معه أن يفجروا الجبال وأن يجعلوا من الماء و الحديد أعظم القوى وأدق الظواهر.

وهنا يكون من المنطقي أن نتساءل:

ألا يجب أن نعرف هذا المُنعم العظيم فنشكره بحكم مسؤولية

الشكر؟

ترى لو أن رجلاً طالباً للمعروف و معيناً للضعفاء قام بتبني طفل رضيع فقد أبويه و هياً له كل الوسائل الحياتية و التربية الصالحة... وما أن بلغ الحد الذي يؤهله للتعلم حتى و كل به أحسن الأساتذة و قدم له أحسن الكتب، و وضع تحت اختياره ثروة مالية كبيرة... أي انه سد كل احتياجاته من جميع الجهات.

أليس من الأحرى بهذا الإبن أن يكون قبل كل شئ مقدراً لخدمات ذلك الإنسان الطيب، و شاكراً من أعماق قلبه لإنعمه؟

وعلى هذا: فإن السعي و التعمق في سبيل معرفة الدين الصحيح حكم عقلي لاشبهة فيه.

إن ذلك الإنسان الذي لم يهتد بعد إلى الصراط المستقيم و إنما ضل و انتهبه الضياع في دروب الضلال... يجب عليه أن لا يسكن و إنما يعمل على أن يصل إلى طريق الحق و الدين الصحيح ببرهان هاد و دليل محكم..

و حينما يصل الى منبع الحياة المعنوية و الدين الواقعي الصحيح فانه ينهض بواجب الشكر و مقتضياته للخالق العظيم بكل اطمئنان خاطر و نشاط فائض .

٢- التحسب للخطر والضرر المحتمل:

إن أخبرك طفل بدخول عقرب بين طيات لباسك فانك ستنتفض من مكانك و تنزع ثيابك بسرعة.. و تبحث بكل دقة في زواياها و حناياها حتى تعثر على العقرب أو تطمئن إلى عدم وجودها فيها. وهكذا لو سمعت قبل القيام بسفرة ليلية بأن هناك كميناً لمجموعة من قطع الطرق تتصدى للمسافرين على هذا الطريق فانك لن ترفع قدماً عن قدم حتى تتأكد من خلو الطريق منهم.

إن المشالين السابقين يوضحان تماماً أن الإحتياط و التحسب من الخطر المحتمل ضروري بحكم العقل...

و من الطبيعي أن نلتفت إلى أن بعض الأضرار قد تكون غير مهمة و لذا لا يهتم لها البعض... ولكن لو كان خطرها يتوجه إلى النفس و ينتهي بالقضاء على الحياة فانه لا يمكن أن لا يحسب لها حسابها.

أعظم الأضرار:

إننا نعلم في تاريخ حياة البشرية بوجود أشخاص عرفوا بالصدق و الإستقامة و عرفوا أنفسهم بأنهم رسل الله و دعوا الناس للإعتقاد بذلك و القيام بالنظم المبتنية عليه. و على أثر جهودهم و سعيهم الحثيث في دعوتهم في أنحاء العالم، آمنت مجاميع من الناس بهم بحيث أن يوم ولادة

عيسى (ع) أصبح مبدأ لتاريخ المسيحيين ويوم هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أصبح مبدأ لتاريخ المسلمين.
ونحن نسأل أنفسنا الآن:

ترى أليس لأقوال هؤلاء الأنبياء الذين دعوا الناس إلى الدين و إلى اتباع أوامر خاصة وحذروهم من جزاء أعمالهم السيئة وأن المحاكمة في محكمة عظيمة أمام حاكم عالم وعادل أمر حتمي.. وكذلك فانهم كانوا يثنون ويضجون من شدة أهوال القيامة وعذابها ويحذرون الناس منها.. أليس لأقوال هؤلاء المأخبار ذلك الطفل من توليد احتمال خطر و ص. ر متوجه الى وجودنا؟!.

وهل أنه من الصحيح أن نتغاضى عن أقوال وأفعال المتدينين الحقيقيين في العالم، في حين أنهم صمدوا وثبتوا على عقيدتهم وإيمانهم الى النفس الأخير ولم يخلوا بأيّ غال أو نفيس في سبيل التضحية والفداء له؟
إنه لمن الواضح أن أقوال الأنبياء الطاهرين إن لم توجد اليقين للإنسان فانها على الأقل تدعو للتساؤل بأنه «من الممكن ان يكونوا صادقين».

نعم، ان كان الامر واقعاً كما يقول الأنبياء فما هي مسؤوليتنا؟ وما جوابنا في محكمة العدل الالهي؟

وهنا بالضبط يفرض العقل ما أسميناه بالتحسب والإعداد لدفع الضرر «الذي هو محتمل على الأقل» ويدفعنا للبحث عن الدين ومعرفته.

هذا بالاضافة الى انهم دعوا الناس الى حياة انسانية سليمة وانهم اكدوا كذلك على وجود عالم وسيع ونعم خالدة للمطيعين بعدموتهم ووجود عالم آخر هناك يفيض بالطمأنينة والسكينة الروحية، ولا مجال فيه

للمرض والحزن والقلق والخوف مطلقاً؟
 فهل تجيزلنا عقولنا ان نتغاضى ونتعامى عن كل هذه الأخبار
 المهمة؟

ترى ألا يجب علينا بعد هذا ان نفكر في تهديدات الأنبياء و
 وعيدهم، اذ يحذرون بأن الذنب والعصيان يستتبع الجزاء؟
 ألا يجب السعي لمعرفة الدين والتفكر فيه بروية وعمق؟! .
 وبهذا نعلم أن عقولنا وفطرتنا هي التي تدفعنا لمعرفة الواقع الكوني
 واكتشاف الحقيقة الكبرى.

الدّرس الثّاني

مع الأشياء غير المحسوسة

عندما تطل العناعمارة جميلة فخمة منسقة ندرک بسهولة أن مهندسها ومعمارها وبتاءها هم من الأشخاص الماهرين في اعمالهم، فننتقل من رؤية البناء المنظم الى العلم بسعة معرفة بانيه ومهارته. وهكذا تقودنا رؤية السيارة أو الطائرة أو العقل الإلكتروني وباقى الصناعات الدقيقة الى الإيمان بلاريب بعلم مخترعيها ومكتشفيها و صانعيها. وليس من المحتم ان نرى هؤلاء المخترعين أو البنائين بأمر أعيننا حتى نعترف لهم بالوجود، على أننا لو شاهدناهم حساً فان علمهم واطلاعهم لا يدرك بأي من الحواس الظاهرية، الا اننا نؤمن بعلمهم و معرفتهم تماماً في نفس الوقت الذي لا تدرك حواسنا ذلك. ولكن لماذا ذلك؟ ان ذلك النظام والتنسيق الملحوظ في منتوجاتهم هو الذي يوقفنا على هذه الحقيقة. ومن هنا نعرف انه لا يلزم البتة ان يكون الشئ من المحسوسات حتى يمكن ان نعترف بوجوده، بل ما أكثر الحقائق التي لا تتصف بإمكان المشاهدة والإحساس بها ولكننا نعرف عليها ونؤمن بها عن طريق ملاحظة آثارها والتأمل الدقيق فيها. إن أي عاقل يدرك بأدنى تأمل انه لا أثر بلا مؤثر ولا يوجد شئ منظم دون ان يكون وراءه

منظم عاقل.

وعليه فيمكننا ان نقسم الموجودات فى هذا العالم الى قسمين:
الأول: ما يدرك بأحد الحواس الخمس.

فنحن نرى المراتب بالعين، ونسمع المسموعات بالأذن وهكذا
نميز عن طريق الأنف واللسان والجلد، الروائح الحسنة والكريهة والطعوم
المرّة والحلوة، والبرودة والحرارة، والنعومة والخشونة.

الثانى: الحقائق التي لا تدرك بأي من الحواس الظاهرة ولكننا
نعرفها عن طريق التأمل في آثارها، وان لم تكن هذه الحقائق على وتيرة
واحدة، فبعضها مادّي والأخر لا مادّي مجرد من حدود المادة وخصائصها،
وها نحن نشير الى بعضها هنا:

الكهرباء: لا يمكننا مطلقاً ان نميز بمجرد رؤية أي من السلكين
بالخصوص السلك الذي تمر من خلاله الشحنة الكهربية وانما نشخص
ذلك عن طريق رؤية الأثر، كاشتعال المصباح، فالكهرباء حقيقة
موجودة وإن كنا لانبصرها بعيوننا مباشرة.

قوة الجاذبية: لو أنك تركت هذا الكتاب الذي تقرأه الآن فإنه
يسقط على الأرض، أي تجذبه الأرض اليها. فما هى هذه القوة الجاذبة التي
لانحسها بشكل مباشر؟

ان هذه القوة الجاذبة أيضاً من الأشياء الكثيرة التي لانراها ولكن
نؤمن بها بعد ملاحظة سقوط الأجسام — وهو أثرها —.

المغناطيس: لو وضعنا قطعة من المغناطيس الى جنب قطعة
من الحديد فاننا لانرى في الظاهر غير القطعتين ولكن عندما تنجذب قطعة
الحديد الى المغناطيس نعرف وجود مجال مغناطيسيّ حول قطعة المغناطيس

له خاصية الجذب.

الأشعة غير المرئية: لو وجهنا ضوء الشمس على قطعة المنشور البلوري المصنع فانا سنشاهد في الطرف الأخر من القطعة سبعة ألوان هي الأحمر والبر تقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي، اما ما قبل اللون الأحمر وما بعد البنفسجي فلن نبصره في حين يؤكد العلماء وجود ألوان أخرى لشعاع الشمس لا تبصرها العين ولكل منها آثار حرارية و كيميائية وهم يدعونها الأشعة مادون الحمراء وما وراء البنفسجية.

ففي سنة ١٨٠٠م ١٢١٢ق هجرى فكر أحد العلماء الفيزياءيين الفلكيين ويدعى يهرشل في البحث عن وجود أشعة أخرى غير مرئية بعد تسليط الشمس على المنشور البلوري، وانتقل بالحرار من كل لون الى اللون الأخر تدريجاً ولاحظ الاختلاف بينها وقاس حرارة كل منها وعندما تجاوز الأحمر وجد الحرار يشير الى حرارة أعلى. ومنذ ذلك الحين تسالم العلماء على وجود أشعة غير مرئية باسم مادون الحمراء لها حرارة أعلى من أنماط الأشعة المرئية فكانت هذه الحرارة الخاصة بهذا اللون هي سبب إيمان الإنسان به. وفي نفس الوقت وضع أحد العلماء ويدعى (ولاستون) مقداراً من مركب كلوريد كلورات الفضة وهو مادة كيميائية في ما وراء الضوء البنفسجي و خلافاً لما كان ينتظره وجد في المنطقة التي لا يرى فيها أي نور عاملاً يعمل على تسويد كلوريد الفضة؛ وبعد ذلك عرف العلماء ان التغير الذي يتركه شعاع الشمس على جلد الإنسان فيسوده هو من التأثيرات الكيميائية لهذه الأشعة ما وراء البنفسجية.

وهكذا عاد من المسلم به وجود نور آخر وراء الأشعة البنفسجية يسمى بـ «الأشعة ما وراء البنفسجية».

الأصوات غير المسموعة: هناك كثير من الأصوات التي لا نقدر على سماعها، وتسمى هذه (بالامواج فوق الصوتية) حيث نؤمن بها عن طريق آثارها ولها آثار في المجال الطبي والصناعي.

الإدراك: ان الكل منا يدرك نفسه، أي يدرك انه موجود وله مجموعة من الإدراكات المتتابعة بالنسبة للأمور الخارجية والتي يعبر عنها بمثل التعبيرات التالية:

لقد وفقت لحل أعقد المسائل الرياضية.

لقد فكرت في الفرضية الفلانية فأدركت انها صحيحة.

وكذلك نجد أن الإنسان واع لإدراكاته أي يعلم انه يعلم.

ان الإدراك ليس أمراً مرئياً أو مسموعاً يمكن للإنسان ان يراه أو يسمعه، بل هو حقيقة غير محسوسة يجدها الإنسان في وجوده بالإضافة لقدرته البصرية والسمعية وسائر قواه الظاهرية ولا يستطيع الآخرون ان يدركوها بحواسهم الظاهرية بل يعلمون بها عن طريق آثارها فاذا وضع أحد العلماء أسلوب حل مسألة علمية يعلم أنه أدركها، واذا سألنا عالماً عن معلوماته الرياضية واطلاعه عليها فأجاب: أنا مطلع على ذلك، نعرف انه واع ومدرك لها، أي يعلم بأنه يعرف المسائل الرياضية.

التخطيط الذهني:

يمكن للإنسان ان يرسم في ذهنه أي شكل يشاء، فيبني في ذهنه في لحظة مثلاً برجاً كبيراً ايقل الذي يحتاج بناؤه في خارج الذهن الى سنوات وألف نوع من مواد البناء ومئات العمال. بل يمكن بناء برج هو أعظم منه بألاف المرات في هذه اللحظة وبدون أي مشقة بل يمكن ان نتصور في

الذهن صوراً ليس لها وجود في الخارج مطلقاً، كأن نتصور حيواناً هائلاً له رؤوس وأيد وأرجل كثيرة جداً. وواضح ان الآخرين لا يمكنهم أن يطلعوا مباشرة على صورنا الذهنية لأنها ليست مرئية ولا مسموعة وليس لهم الا الإطلاع عليها عن طريق آثارها أو إخبارنا نحن عنها.

الحب والبغض والتصميم: ان كل فرد منا يرتاح الى بعض الأشياء وينزجر من البعض الأخر كما انه يحتاج دائماً الى عنصر التصميم على الفعل أو الترك، فيصمم على ان يفعل ما يحبه، وان يترك ما يكرهه ولا يفكر فيه.

ولا يستطيع أي انسان ان يطلع مباشرة على تصميم إنسان آخر وما يحبه أو يكرهه اللهم إلا عن طريق الآثار وردود الفعل التي يبديها تجاه الأشياء ذلك لأن الحب والبغض والتصميم ليست من الأمور المنظورة أو المسموعة والمحسوسة لكي تحس بإحدى الحواس الظاهرية.

الحياة: يقع الفرخ الجميل أمام اعيننا في الحوض وقبل ان نهرع لإنقاذه يموت، فما الذي تغير في بنائه الحياتي في تلك اللحظة؟ وما هو الفرق في بدنه بين لحظتي ما قبل الموت وما بعده الأمر الذي تركه بلا حراك ولا لعب، ولا التقاط للحب؟

لامناس من القول بأنه كان هناك شيء في الحيوان الحي يفقده الحيوان الميت وذلك هو الحياة. ان هذه الحياة غير محسوسة ولا ندرك وجودها الا بعد ملاحظة آثارها من الحركة والتغذية وغير ذلك.

ان هذه الحقائق العلمية المسلمة تبين لنا بوضوح ان توجد علاوة على الموجودات التي نحس بها مباشرة موجودات لا نحس بها مباشرة بل نعرفها عن طريق آثارها فقط.

وبهذا نستنتج انه من الغلط الفاضح ان ننكر الشيء لاننا لانراه ولا نحس به مباشرة، فان عدم امكان الرؤية شيء وعدم الوجود شيء آخر، وان سبيل معرفة وجود الأشياء لا ينحصر بالحواس الظاهرية بل ان العقل يمكنه من خلال ملاحظة الآثار أن يدرك الأشياء المؤثرة كما رأينا ان الحقائق السابقة لا تقبل الإنكار عند أي أحد، مع أننا لم نعرفها الا من خلال آثارها.

ونحن لانريد ان نقول ان الله هو مثل هذه الحقائق بل هو حقيقة فوقها جميعاً انه ليس كمثل شيء ولا نظيره، بل نريد ان نؤكد انه كما توصلنا الى معرفة هذه الحقائق عن طريق آثارها نتوصل الى معرفة الله عن طريق آثاره.

أما أولئك الذين لا يبصرون الا من خلال عيونهم الحسية فينكرون الله لالشيء الا لانهم لا يقدرّون على رؤيته البصرية فهم عمي القلوب والعقول، ذلك اننا عرفنا — بحكم العقل السليم — انه يمكن الوصول اليه والإيمان الكامل بوجوده تعالى من خلال ملاحظة النظام الكوني الدقيق.

أما انت أيها القارئ العزيز فانظر ببصيرة نافذة وبقلب مفتوح فسترى ما لا يرى بالعين ذلك ان كل موجود هو علامة وآية ترشدنا الى الله.

والنقطة الدقيقة والأمر الأهم هو ان التأمل في آثار قدرة الله — أي العالم والموجودات فيه — بالإضافة الى كونه موصلاً الى الله يعرفنا بحقيقة هامة هي: انه لما كانت كل الوجودات الكونية آثاراً له، فلا تختص آثاره بمورد ومكان خاص بعد أن كانت كل الظواهر والحوادث علامات

ودلائل عليه تعالى، لما كان الأمر كذلك فهو تعالى حقيقة اخرى ليس لها نظير ولا شبيهه، وانما هو تعالى وجود لا محدود، له كل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص.

وعلى هذا فطالعة الآثار الالهية و التأمل فيها يوصلنا الى الحقيقتين

التاليتين:

- ١- وجود الله الذي تكون كل الموجودات في العالم اثاراً له.
- ٢- ولان آثاره غير محدودة بزمان او مكان خاص فاننا نعرف انه موجود غير محدود، وان له كل الكمالات وان لم نستطع ان نحيط بحقيقته و ندركها.

يقول محمد بن عبدالله الخراساني خادم الإمام الثامن الرضا عليه السلام: دخل رجل من الزنادقة على أبي الحسن وعنده جماعة فقال ابو الحسن (ع): ايها الرجل ارأيت ان كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا و اياكم شرعاً سواء لا يضرنا ما صلينا و صمنا و زكينا و أقرنا؟ فسكت الرجل. ثم قال ابو الحسن عليه السلام وان كان القول قولنا - وهو قولنا - ألسم قد هلكتم و نجونا (من البديهي ان العقل يحكم أن الإنسان حتى لو احتمل ان هناك عالماً وراء هذا العالم عليه ان يعمل بالتعاليم الدينية ليتخلص من الشقاء و الهلاك فيه) فقال (اي الزنديق): رحمك الله أو جدني كيف هو و اين هو؟ فقال: ويلك ان الذي ذهبت اليه غلط.

هو اين الاين (أى خلق المكان) بلا اين، و كيف الكيف بلا كيف فلا يعرف بالكيفية و لا بالايونية و لا يدرك بحاسة و لا يقاس بشيء.

فقال الرجل: فاذاً انه لا شيء اذا لم يدرك بحاسة من الحواس؟

فقال ابوالحسن: ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته؟
ونحن اذا عجزت حواسنا عن ادراكه ايقنا انه ربنا بخلاف شيء
من الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ (اي في أي زمان وجد؟)

قال ابوالحسن: اخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان (أي ان الله
كان قبل الزمان وخلق الزمان).

قال الرجل: فما الدليل عليه.

فقال ابوالحسن (ع): اني لما نظرت الى جسدی ولم يمکنی فيه زياده
ولانقصان في العرض والطول و دفع المكاره عنه وجر المنفعة اليه (بل قد
لاينفع أي سعي أو جهد في الخلاص من احد الأمراض) علمت ان لهذا
البنيان بانياً فأقررت به مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته و انشاء
الحساب و تصريف الرياح و مجرى الشمس و القمر و النجوم و غير ذلك
من الآيات العجيبات المينات علمت ان لهذا مقدرأ و منشأ (علماً
قادرأ)^١.

١- اصول الكافي للمرحوم ثقة الاسلام الكليني ج ١ ص ٧٨ مع توضيح.

الدرس الثالث

نماذج من النظام الكوني

مهما سرحت بنظرك في هذا العالم الرحب... وأنى لاحظت من اجزائه... من أصغر ذرة الى أكبر السيارات السماوية، فانك ستلاحظ علائم النظام الكامل والحساب الدقيق... مما ملأ العلماء الكبار عجباً وحيرة.

يكتب «سيل بويس هامان أستاذ علم معرفة البيئة في كلية آسبوري» قائلاً:

«عند ما أرى قطرة من الماء تحت الميكروسكوب وحينما أشاهد أبعاد النجوم بالتلسكوب تأخذني الحيرة الشديدة...».

ان النظام في الطبيعة متحكم تماماً بحيث يمكن على أساس منه ان نتنبأ بحكم أية حادثة قبل حدوثها وذلك بالقوانين الثابتة .

ولأجل كون الأحكام والقوانين الحاكمة على الطبيعة ثابتة و معيَّنة، فإن العلماء يكافحون في سبيل كشف القوانين الطبيعية، والآفان كل جهد في هذا المجال سيصبح عقيماً^١.

١- اثبات وجود الله صفحة ٢٦١ وهذا الكتاب الفه ٤٠ عالمياً.

هذه الأرض التي نعيش على سطحها... انها منظمة تنظيمياً دقيقاً من حيث الكبر والصغر والبعد والقرب من الشمس، وسرعة الحركة المدارية و، و، كل ذلك مما يهتئ لها ان تكون مركزاً للحياة، وذلك لأن أي تغير في الظروف الحالية سيكون كفيلاً بمحصول الأضرار التي لا يمكن جبرانها في المسيرة الحياتية.

وهذا الفضاء الذي تشكل أكثر أجزائه الغازات الحياتية.. انه من حيث الغلظة والكثافة بحيث يشكل ما يشبه الترس أو الدرع التي تصد عن الأرض المهجوم المدمر لعشرين مليون من الأحجار السماوية المتفتتة في اليوم والتي تتجه الى الأرض بسرعة تصل الى حوالى ٥٠ كم في الثانية... كما أن وظيفة تنظيم درجة حرارة سطح الكرة الأرضية بالشكل الذي يكون ملائماً للحياة هي أيضاً بعهدة هذا الفضاء.

وكذلك فإن من وظائفه حمل بخار الماء الى الأرض اليابسة من المحيطات، ولولم يوجد فإن الأرض اليابسة المسكونة ستصبح كالصحارى القاحلة غير قابلة للسكنى!

لماذا نذهب بعيداً؟

فان اقرب كل شئ الينا هو وجودنا.

وأسرار خلقه الإنسان لا تعد ولا تحصى بحيث ان علماء العالم رغم التحقيق والمطالعات المتמادية لم يستطيعوا لحد الآن ان يتعرفوا على كل عجائبها.

وقد قام الأستاذ الدكتور «الكسيس كارل» بعد ان قضى اعواماً

في المطالعة والبحث بتأليف كتاب أسماه «الإنسان ذلك المجهول». وقد اعترف فيه بأن علم معرفة البيئة والعلوم الأخرى لم تستطع ان تصل الى حقيقة جهاز البدن ووقفت حائرة أمام الكثير من المشاكل التي لم تحل بعد.

وهذه نماذج من عجائب وجودنا جديرة بالملاحظة:

خلايا البدن:

إن جسم الإنسان يتشكل كأني بناء آخر من مواد بنائية صغيرة تسمى «الخلايا» التي تكون كل منها بحد نفسها موجوداً حياً. فهي تعيش، وتتغذى، وتهضم، وتجذب وتدفع، وتولد بشكل جيد تماماً مثل جميع الأحياء.

وتدخل في بناء الخلية اغلب الفلزات مثل الحديد والنحاس، الكالسيوم، وكذلك اللافلزات مثل الأوكسجين، الهيدروجين، الأزوت...

ويصل عدد هذه الخلايا في جسم انسان عادي الى ١٠ - ١٦، اى ما يعادل عشرة ملايين مليارات من الخلايا.

وهذه الخلايا الحية تتعاون جميعها فيما بينها وتشارك في تحقيق هدف واحد... وهى موجودات تتألم بسرعة وذات طاقة قليلة، ويجب أن تصلها المواد الغذائية باستمرار.

والذى يقوم بأداء هذه الوظيفة أداء جيداً هو الدم بمساعدة القلب، وبناء القلب مجهز تماماً بحيث يستطيع ان يوصل الدم بواسطة العروق والعروق الشريّة الى تمام أنحاء الجسم.

والدم بعد أن يكون قد أوصل المواد الغذائية للخلايا يقوم بحمل المواد السامة المتجمعة في الخلايا ويعود الى القلب بلون غامق، وحينها يقوم القلب بتحويله الى جهاز التصفية اى الرئتين لكي يعود اليه بلون فاتح و نقاط اكثر فيرسله الى تمام انحاء الجسم. وهو في الأثناء يمر عبر الكلى حيث يتخلص من المواد السامة وذلك لكيلا يحدث أي اختلال في العمل العام للجسم.

ترى هلا يعبر تركيب الفلزات واللافلزات ومقدارها، تلك التي تتشكل منها الخلية، وكذلك بناء القلب المحير واسلوب عمله، الذي جلب اليه انظار مفكري اليوم، هلا يعبر كل هذا عن نظام كامل ودقيق؟ وهل نقول جزافاً عند ما نقول بأن الجسم الإنساني انما هو مجموعة من الأسرار التي هي منظمة في نفس الوقت؟
كلا بلاشك.

وعلى هذا الأساس وجب ان نعترف بأن عالم الوجود قائم على اساس نظام وتخطيط كامل، ومن الطبيعي ان يكون كل نظام وتخطيط نابعاً من خالق ومقدر عليم قدير.
وهذا الموضوع سيبحث بشكل تام في الدرس الآتي.

الدّرس الرّابع

من هو مبدع النّظام؟

العقل الالكتروني

يقوم الإنسان اليوم في مجال تحقيق اكثر أعماله المعقده وتسهيلها بالإعتماد على آلات و اجهزة متنوعة، وأحد هذه الأجهزة المحيرة جداً «العقل الالكتروني» الذي لا بد وان تكونوا مطلعين الى حدّما على اسلوب عمله.

فهناك قسم من هذه الأجهزة يقوم خلال دقائق بتقديم كشف بسوابق مريض ما كانت قد خزنت فيه الى الطبيب. وفي مجال معرفة المرض يستطيع ملاحظة جزئيات أية حالة مرضيّة كانت قد اعطيت اليه خلال السنة الماضية او خلال العشر سنين الماضية ثم يعرض اسلوب العلاج ونوع الدواء لمثل هذا المريض.

وهذا الجهاز يستطيع عند اللزوم ان يوصى صيدليّة المستشفى بإعطاء الدّواء المطلوب، ويخبر الممرضة بذلك لتقوم بإعطائه للمريض. ويستعمل العقل الالكتروني كذلك في بعض المعامل الكبرى لضبط وتنظيم عمل الأجهزة فيها.

هذا الجهاز العجيب... هل من الممكن ياترى ان تصنعه الصدفة.. أو ان دقته ونظامه المحير يعتبر شاهداً على ذكاء صانعه ومعلوماته الواسعة؟!

ان من المسلم به ان أي شخص يقف أمام مثل هذا الجهاز يتوجه الى عظمة ذكاء صانعه وفكره الخلاق.

المطبخ الأتوماتيكي

«اور ييس» اسم جهاز يستطيع خلال ساعة أن يعد غذاء دسماً لأكثر من ألف شخص، ويستفاد من هذا الجهاز فعلاً في المطاعم المنتشرة بين الطرق الممتدة في بعض الأقطار.

وعمل هذا الجهاز يساوى تماماً عمل عشرين طباًحاً ماهراً. فما إن توقف سيارتك قريباً من المطعم حتى تجد أمامك زراً خاصاً يقع في وسط مكبر للصوت، وبمجرد ان تضغط على هذا الزر فانك ستسمع صوتاً يقول «ماذا ترغب»؟... وعندها تطلب بعض الأغذية المختلفة، ولن يطول انتظارك الاثمانية دقائق وإحدى عشرة ثانية حتى تجد الخادم يقدم لك طبق غذائك المفضل.

اسلوب عمل المطبخ الأتوماتيكي

عندما يضغط المشتري على الزر الخاص فإن مصباح جهاز (اور ييس) سيضاء، وفي نفس الوقت الذى يطلب انواع الأغذية (كالساندويچ مثلاً) يجلس شخص آخر قبالة جهاز اور ييس ويضغط على

أضرار خاصة ليشرح الجهاز بالعمل. وهذا الأسلوب يقطع الخبز أولاً بواسطة سكين وبشكل أتوماتيكي، وفي نفس اللحظة ترسل قطعة من اللحم الى الفرن لتتحول خلال اربع دقائق و سبع ثوان الى «لحم مشوي» وترجع فتستقر على قطعة الخبز وهكذا يستقر باقي مكونات (الساندويج) على الخبز حيث يعبأ هذا الساندويج الحار في كيس نايلوني ويعد للتقديم^١.

والآن... هل ان هذا الجهاز الأتوماتيكي للطبخ (اوريس) يمكن ان يكون قد وجد صدفة وبدون أي صانع أو منظم... أو انه حصيلة افكار وجهود مجموعة من العلماء الذين اخترعوه عبر حسابات دقيقة؟! ان مما لاشك و لا ريب فيه ان كل هذا النظام الدقيق والترتيب

والتنسيق في الأمثلة السابقة، انما هو وليد فكر المنظم والمخترع لها. بمعنى انه لو لم يوجد في البين مخترع، ولم يقم بصنعها على اساس من حسابات و تقديرات دقيقة جداً هذه الأجهزة لن تجد طريقها الى الوجود مطلقاً.

ومن هنا يبدو لنا دليل عام ومبدأ بديهي مسلم هو (ان النظام والتنسيق يجب ان ينبع من مبدأ علمي قادر، وان الصدفة والإتفاق لا يمكن ان تكون منشأ لعجائب النظام والتنسيق)...

وذلك لأن لكل شىء اثره الملائم له فكما ان توقع الإحراق من الماء البارد أمر لغو فان انتظار وجود نظام وترتيب على اساس الصدفة كذلك.

وعلى هذا الأساس.. فإن النظام العجيب الذي نلاحظه في الدماغ والأعصاب والجهاز العضوي والقلب وجهاز الهضم والعين

والأذن وآلاف النماذج الأخرى يعتبر دليلاً كافياً وشاهداً حياً على ان عالم الخلق له صانع ومنظم عالم وقدير...
وكلما أعمقنا النظر ودققنا في أسرار نظام الخلق أدركنا عظمة الخالق أكثر فأكثر.

نرى هل يمكن ان نقول بأن دماغ الإنسان وعجائب بدنه اقل مؤونة من صنع جهاز العقل الالكتروني؟
من الطبيعي انكم ستصدقون بأنها كلها تعتبر أروع شاهد على عظمة المبدأ الأعلى المنظم لهذا الكون وعلمه وقدرته.
هذا بالإضافة لما نلاحظ في الإنسان من قدرة على الإدراك والشعور.. فانه دليل واضح على الموجد العليم الشاعر المدرك... والا فكيف يمكن لموجود ليس لديه أي ادراك أو شعور أن يمنح مثل هذا الإدراك والشعور لما يخلق.

والقرآن الكريم يشير الى هذا المبدأ البديهي المسلم والحقيقة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

«اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ»^١.

الدّرس الخامس

أسرار الطبيعة تنكشف

يتابع العلم البشري تقدمه الرائع... فيكشف لنا المجهولات واحداً بعد الآخر، ويقلب الأسس المغلوطة في الفيزيولوجيا والعلوم التجريبية رأساً على عقب.

فإننا نلاحظ مثلاً أن بعض أعضاء الجسم كانت تعد — تخيلاً — مما لا فائدة فيه.. في حين ان العلم الحديث بعد سلسلة بحوث معمقة أثبت لكل منها فوائد مهمة.. كما ان فوائد اخرى مهمة ستتكشف بعد ذلك نظراً لتطور وسائل الدراسة.

ونحن في هذا المقال سنعرض نماذج لذلك ليتوضح الموضوع بصورة أكثر:

١- غدة تيموس:

وهي غدة صغيرة في القفص الصدري وتقع فوق البلعوم وقد كانت المهمة الخاصة بها غير معلومة واعتبرها البعض من المتقدمين عضواً لا فائدة فيه ولكن قد علم اليوم بأن لهذه الغدة الدور الكبير في توفير

الحماية والمقاومة والدفاع للبدن ضد العناصر الأجنبية المهاجمة له^١.
ويعتقد بعض العلماء بأن هذه الغدة تأثيراً بالغاً على الفعاليات
الجنسية ونمو البدن بعد البلوغ.. وباستئصالها تبدو الأعضاء الجنسية بحالة
من الخمول ويتأخر حصول البلوغ.

٢- ابي فيز:

وهى اعقد من غدة (تيموس) وتقع داخل الدماغ وكان البعض
من علماء الفيزياء في الماضى لايتصورون فائدة لها ولكنهم اعتقدوا اليوم
بأن هذه الغدة مؤثرة في التشاطات الجنسية ومنع البلوغ السريع وكذلك
لها فعاليات أخرى يؤدي اختلالها في بعض الأحوال الى الموت^٢.

٣- اللوزتان:

وقد كان الأطباء سابقاً يرون اللوزتين عضوين غير مفيدتين.. وما
ان يحدث أي التهاب حتى يوصى الطبيب باستئصالها ولكن المتخصصين

١- تذكر مجلة دانشمند (الفارسية) في عددها ٤ سنة ١٣٤٢ شمسية في الصفحات
٢٤- ٢٧ ان هذه الغدة تصنع اللنفوسيت وخاصيته الأساسية انه يصنع مواد تسمى (بادتن
دنتي كور) وهى تقاوم وتدافع ضد هجوم الميكروبات والبروتينات الخارجية على البدن.

٢- تقوم هذه الغدة بهذه الفعاليات عن طريق افراز هرمون يسمى باسم «لومر
ولوتروين» ويكون انتشاره في الدم باعثاً على تحرر هرمون آخر باسم «اللدسترون» من
غلاف غدة اخرى تقع فوق الكلية. وهذا الهرمون الثانى يعمل على تنظيم سمك سديم وبتاسيم
الدم بحيث ان اختلال هذا السمك وانقطاع افراز «اللدسترون» يؤدي الى الموت في اقل من
اسبوع... فز يولوجيا، كايون: قسم الاند وكر يولوجى. صفحه ١٢٦٥.

اليوم توصلوا الى معرفة اهمية اللوزتين للبدن ولذا فهم لا يوصون بالإستئصال الا في الموارد الضرورية. فاللوزتان تعملان على تزويد الجسم بالكريات البيضاء ومهمتها الدفاع عن الجسم والوقوف بوجه الميكروبات، فهي تشكل مراكز حجر صحي، او حصناً منيعاً يقف في مداخل الطرق التنفسية.. اذ تنقى الهواء التنفسي مما علق به وتقضي على ميكروباته.. ومتى ما كان تلوث الهواء ذاتسبة عالية او كانت الميكروبات قوية فإن اللوزتين تزيدان من فعاليتها وينتج من ذلك التورم احياناً.

ان استئصال اللوزتين غير صحيح وذلك لانه:

أولاً: يؤدي الى فسخ المجال لتأثير الميكروبات في الفم وورودها الى داخل الحنجرة والبلعوم والرئتين مما يسبب امراضاً من قبيل مرض الخناق وتورم الرئتين.

ثانياً: على اثر استئصالها يكون الجلد الداخلي للأنف والحنجرة شفافاً أكثر من الحد الطبيعي^١.

وهذا يؤدي الى جفاف الفم والأنف.

هذا بالإضافة الى ان تورم اللوزتين يعتبر كجرس الإنذار حيث يشير الى وجود العفونات والإلتهابات الحلقية.. في حين ان عفونة الفم وجراحاته قد لا تشخص عند انعدامها مما يولد امثال الرماتيزم القلبي وغيره.

٤- الزائدة الدودية:

توصل البعض من العلماء بعد تحقيقات كثيرة الى هذه النتيجة

وهي:

١- آتروفي دوموكوز.

ان الزائدة الدودية يمكن أن تلعب دوراً مؤثراً في الدماغ ضد السرطان، ويمكن ان يؤدي استئصالها عند غير الضرورة الى ظهور السرطان. تكتب المجلة الطبية «جاما» قائلة: استئصال الزائدة الدودية في الأشخاص المؤهلين للإبتلاء بالسرطان له تأثير ملحوظ في ذلك ويمكن ان يكون باعثاً على حدوثه في الجسم^١.

ان ملاحظة النماذج السابقة ومئات النماذج الاخرى يوضح لنا حقيقة مهمة وهي:

انه لا ينبغي لنا ان نسارع الى اطلاق صفة الإهمال وعدم الفائدة على الشيء الذي لم تنكشف فائدته بعد... بل يجب الإنتظار حتى تنكشف آثاره واسراره في ظل التقدم العلمى المستمر... لانه من الواضح ان الإنسان و ان كان قد تطورت معلوماته كثيراً ولكنه مايزال يدرج في المراحل الاولى.. وانه لم يقرأ سوى سطر واحد من كتاب الطبيعة الكبير. يكتب انيشتاين في «كتاب فلسفة النسبية» قائلاً: ان ما قرأناه لحدّ الآن من كتاب الطبيعة قد علمنا الكثير من الاشياء ولكننا نعلم بأننا بعيدون عن الكشف الكامل لأسرار الطبيعة.

يقول ويليام جيمس^٢ «ان نسبة علمنا الى جهلنا كنسبة قطرة الى

١- وفي عددها المؤرخ ٦٨/١/٩ تذكر ان عمليات جرت على ١٢٨٧ شخصاً كان ٦٠٨ اشخاص منهم قدماء بالسرطان و ٦٧٩ شخصاً آخر ماتوا بعلل اخرى. وقد لوحظ بعد المطالعة الكاملة ان ٣٥/٢ في المئة من المجموعة الاولى كانوا قد اجروا عمليات استئصال الزائدة الدودية في حين ان ٢٤ في المئة من المجموعة الثانية فقط كانوا قد اجروا العملية المذكورة... و بملاحظة هاتين النسبتين وقياسهما الى بعضها يتوضح ان استئصال الزائدة له أثر ملحوظ في بروز السرطان. ٢- الفيلسوف الأمريكى الذى يعد احد واضعي مذهب (البراغماتزم). ولد عام ١٨٤٢م وتوفى عام ١٩١٠.

محيط».

وعلى هذا نقول: أليس الماديون مخطئين عند ما يحكمون على موجود ما بأنه زائد ولا فائدة فيه لمجرد عدم اطلاعهم على أسراره وخواصه؟! في حين انهم لو دققوا الفكر لأدركوا بسهولة الفرق الكبير والبعد الشاسع بين عدم العلم وعدم الوجود وليس من الصحة بمكان أن يجعل الإنسان عدم الوجدان دليلاً على عدم الوجود.

ومن البديهي القول بأن عدم الإطلاع على خواص مورد أو موردين من مليارات الموجودات الكونية لا يمنع من ان يصل الإنسان من خلال اطلاعه على أسرار عالم الخلق العجيبة ونظامه الرائع الى موجد هذا العالم وخالقه العالم القادر، فلا ريب في ان الملاحظة والمطالعة لباقي الموجودات بل ولجزء من موجود تكفي لهداية الإنسان نحو المنظم المفكر خالق الكون تعالى. وأخيراً فلو اننا وجدنا كتاباً مملوء بالمواضيع العلميّة والمنطقيّة ولكننا عجزنا عن فهم بعض العباثرفيه لأنها كانت غامضة على أفهامنا، فما هو حكمنا على مثل هذا الكتاب؟ وهل يمكن التغاضي عن كل تلك المواضيع العلمية النافعة التابعة من فكر سامٍ ونظرة بعيدة؟ كلا مطلقاً..

فما أروع اذن ان نردد قول الشاعر الفارسي:

جَهَانُ چُون چَشْمُ وَخَدُّ وَ خَالِ وَأَبْرُوسْت

كِه هَر چيزي به جاي خویش نيکوست

ويعني: ان هذا العالم شبيهٌ بالعين والخذ والخال والحاجب من

حيث مواضعها... ولا تبدوروعة كل منها الا في موضعه المناسب له^١.

١- وسواصل التحدث عن هذا الموضوع في الدرس الثاني عشر بشكل آخر.

قانون لافوازيه وخلق العالم

كلنا رأينا ألسنة اللهب وهي تتصاعد عند اضطراب النار.. ترى هل فكرتم حول ماهية اللهب؟ اننا نعلم اليوم انه يوجد على اثر تركيب من غاز الكربون مع اوكسجين الهواء.. في حين أن بعض الكيماويين القدامى قالوا بوجود شئ غير مرئي في الفحم يخرج عند الإحتراق بصورة لهب.. ووضعت لذلك أسماء من قبيل الـ «سولفور».

وقد حظيت هذه النظرية شيئاً فشيئاً بأنصار كثيرين وأيدها علماء كثيرون حيث أسموا تلك المادة غير المرئية بالـ «فلوجستون».

قال اشتاهل^١ «ان المادة الهاربة باسم فلورثستون — وهي التي تشكل اصل وروح النار — كامنة في المواد المحترقة، وتخرج منها عند الاحتراق بشكل لهب، ثم وضع قائلاً بأن علة الإحتراق السريع للخشب والفحم والزيت راجعة لوجود مقادير أكبر من الفلوجستون فيها في حين ان مقاديرها اقل في الفلزات.

١- العالم الكيماوي والطبيعي الالماني والذي اصبح استاذاً في جامعة هال (سنة ١٢٩٤) كتاب تاريخ علوم. ص ٢٠٤-٢٠٢ فارسي الطبعة الرابعة.

وكان يعتقد هو وانصار هذه النظرية اننا لو أحرقنا الحديد بواسطة الحرارة فإن الفلوجستون سيتصاعد تاركاً الباقي بشكل لون فقط في المحل . وكذلك فإنهم كانوا يقولون في الكبريت اننا لو أحرقناه فإن الفلوجستون سيخرج وسيكون الغاز الذي لالون له والمتبقي بعد الإحتراق هو الكبريت بلا فلوجستون وكذلك فإن روثل^١ وهو احد الكيميائيين الكبار وأستاذ لافوازيه ايضاً قد قبل هذه النظرية وسعى كثيراً في طريق اثباتها .

وقد قام العالم الفرنسي لافوازيه^٢ وهو احد بناة علم الكيمياء الحديث، بملاحظة ما قاله استاذ روثل والعلماء الذين سبقوه وتعمق في البحث حولها وتوصل بالتالي الى ان الإعتقاد بوجود الفلوجستون مما لا اساس له .

وقد قام في سنة ١٧٧٢ بتجربة إحراق قطعة من الرصاص بواسطة الشمس التي تسلط بواسطة عدسة ولاحظ ان وزنه قد ازداد وعندها فكر في ان قسماً من الهواء لا بد وان يكون قد اتحد مع الفلز وشكل هذه الإضافة في الوزن، ولو كان الفلوجستون حقيقة موجوداً لوجب ان ينقص الوزن، ولذا فيجب طرح فكرة الفلوجستون .

وقد قال مؤيداً نظريته بأننا لو زدنا حرارة الرصاص المحترق فإنه سيرجع الهواء الذي امتصه ويرجع الى رصاص عادي كما قام في سنة ١٧٧٦ بتجربة وضع فيها مصدراً للحرارة تحت بوتقة مملوءة بالزئبق لمدة ١٢ يوماً ولم تمر فترة حتى غطت سطح الزئبق طبقة قشرية خفيفة حمراء

١- العالم الهاريسى المتولد سنة ١٧٠٣ والمتوفى سنة ١٧٧٠ .

٢- المتولد سنة ١٧٤٢ والمتوفى سنة ١٧٩٤ .

اللون.. وحينها علم لافوازيه ان الهواء الموجود داخل الظرف لا يملك الان قابلية التنفس ثم قال لنفسه انه لا بد وان قسماً من الهواء داخل الظرف قد اتحد مع الزيت مكوناً هذه الطبقة الحمراء. ولأجل دعم فكرته فقد فصل هذه الطبقة الحمراء وسلط عليها الحرارة وحينها شاهد خروج غاز قابل للتنفس منها واستنتج بالتالي انه لا يخرج شيء من الزيت عند احتراقه بل ان هناك غازاً في الهواء يتفاعل مع الزيت مكوناً اكسيد الزيت، ولذا فقد أسمى ذلك الغاز بـ (الأوكسجين) وقد قال لافوازيه بصراحة ان لاحقيقة مطلقاً للـ (فلوجستون)... وانه في التفاعلات الكيميائية يكون وزن مجموع العناصر الداخلة في التفاعل مساوياً مع وزن المواد الناتجة عنه دائماً. وبعبارة اخرى «لا شيء يفنى ولا شيء يستحدث».

وبهذا الشكل فقدت نظرية الفلوجستون أنصارها ونحن نعلم اليوم ان اشتعال النار بالنفط انما هو لعلة تفاعلها مع الأوكسجين لأن هناك مادة غير مرئية تخرج بشكل لهب عند الأحتراق.

وعلى أية حال، فإن المسيرة التاريخية لفكرة الفلوجستون ونظرية لافوازيه توضح ان مقصود لافوازيه من هذه العبارة «لا شيء يفنى ولا شيء يستحدث» هو انه في التفاعلات الكيميائية ليس هناك عنصر يفنى كما انه ليس هناك عنصر يضاف.. وانه لا ينظر مطلقاً الى اصل الخلقة ووجود كائنات هذا العالم، وهى مسألة فلسفية لا معنى لأن تعطي التجربة رأيها فيه.

ولكننا نشاهد مع الأسف ان البعض قد ظن بأن لافوازيه يريد ان يقرر حقيقة فلسفية، ولذا قالوا: بأن مسألة الخلق والحدوث لا تتلاءم

مع قانون لافوازية اذ انه يقول: انه لا شيء يفنى ولا شيء يستحدث، فكيف يتلاءم هذا مع كون شيء ما مخلوقاً ومستحدثاً؟!

في حين اننا لو توجهنا الى واقع السير التاريخي لفكرة الفلوجستون وقانون لافوازية لتوضح لنا تماماً بأن نظرهم كان متوجهاً الى التفاعلات الكيميائية والحادثة في العالم الحاضر، أي ان هذا العالم الحالى والواقع القائم هو بشكل لا يضاف اليه شيء ولا يفنى منه شيء.

اما ان العالم حادث مخلوق أو انه كان هكذا وبهذه الحالة منذ الأزل فهذه مسألة فلسفية يسكت عنها قانون لافوازية تماماً.

وهكذا نستنتج ان الاعتقاد بأن الله هو خالق هذا العالم ليس له أي تناف مع قانون لافوازية.

والذى نوكد عليه بملاحظة ماسبق هو وجوب التحقيق الكافي والدقة المتناهية في كل فكرة أو نظرية علمية يراد لنا ان نتقبلها، ومطالعة آراء المطلعين والمتخصصين في ذلك الجانب لكي تتوضح الحقيقة تماماً فلا يبقى عليها أي غبش أو كدر... وان لم يراع ذلك فن الممكن ان يقود الفهم الخاطيء للنظرية الى حصول شبهات واشكالات في المسائل الإعتقادية.

هذا بالاضافة الى لزوم عدم التسليم المطلق لنظرية علمية ما واعتبارها من الحقائق التي لا تقبل الشك... اذ أنا رأينا ان هناك نظريات سادت العلماء واستحكمت خلال قرون ولكنها ثبت خطأها في لحظة فرفضت تماماً ولم يبق لها أي أثر. وهذه نظرية الفلوجستون تعتبر نموذجاً لذلك حيث عرفنا سيرها التاريخي.

بل وحتى قانون لافوازية ايضاً فإنه فقد شكله السابق (مبدأ بقاء

المادة) وتحول الى شكل (قانون بقاء المادة والطاقة) بمعنى اننا لوأوجدنا التفاعل بين ٨ غرامات أوكسجين مع غرام واحد من الهيدروجين فانه طبقاً لقانون لافوازيه يجب ان نحصل على ٩ غرامات من الماء في حين انه علم اليوم بالحسابات الدقيقة ان مقداراً يسيراً جداً من المادة تحول الى شكل طاقة حرارية و يكون مقدار الماء الحاصل اقل بقليل من ٩ غرامات.

الإحتياج لله في كل آن

ما الفرق بين المخترع والخالق؟

لاحظوا الأمثلة التالية بديقة... وانظروا الى أي مدى تحتاج الموجودات الكونية لخالقها:

١- ما هو دور صانع الطائرة وما عمله؟

ان صانع الطائرة يقوم بتجميع القطعات الفلزية وسائر المواد اللازمة بأسلوب مخصوص ومعادلات مخصوصة دقيقة... وذلك لكي تكون مستعدة للطيران وحمل المسافرين والأثقال.

وطبيعي أن عمل صانع الطائرة هو نفس حركة يديه التي ترتب وتصل بين المواد الأولية في ظروف خاصة وتحولها الى صور مختلفة ضرورية لذلك الغرض وذلك بشكل تنتهي معه الحركة بتمامية العمل، أما عمل الفلزات والمحركات والمصابيح وامثالها فهو تابع للخصائص الطبيعية الموجودة فيها والتركيبية الخاصة التي أوجدتها حركة اليدين فيها، ولا يرتبط عملها - بعد ذلك - بالعامل.

٢- لو أردنا ان نبني بيتاً و كنا نملك كل المواد الأولية اللازمة

والأدوات الضرورية فلا شيء نحتاج وراء ذلك؟ هل ان تشغيل البناء الماهر وعماله لغرض ايجاد المواد الأولية أو انه لأجل تركيب وخلط وتجميع تلك المواد الأولية بأسلوب فني؟

ان من الواضح اننا لا نحتاج الى هؤلاء لايجاد تلك المواد وانما نحتاج اليهم في مجال استعمالها في عملية البناء لكي ينتج لنا بناء بيت خاص بشرائط خاصة وبالعامل في المواد الاولية المتوفرة من قبل.

٣- يستطيع الشخص الذي لم يشاهد برج ايفل ولكنه يسمع خصائصه ووصف معالنه، يستطيع في غمضة عينه ان يبينه في ذهنه، بل يبينه على ارتفاع مضاعف ويتصور أن اناساً يصعدون الى أعاليه.

ان وجود هذا البرج الذهني الخيالي خلافاً للأمثلة السابقة وليد تصور صاحبه، فلم تكن المواد الأصلية لصناعة الطائرة أولبناء العمارة من عمل العامل، ولكن المواد الاولية لهذا البرج الذهني منه هو، ولم يحصل عليها من محل آخر. وعليه فما يصنعه الخيال لا يتبع المواد الأولية الموجودة في الخارج ومقدارها بل يستطيع المتخيل ان يتوسع في مجالها بما شاء.

وعلى اساس هذا فإن الصور الذهنية تستمد وجودها من وجودنا... وتبقى موجودة وحاضرة في الذهن مادامنا ملتفتين اليها وما ان نصرف عنها النظر فانها ستندم ولا يكون لها أي وجود أو حضور في الذهن.

اننا عبر المثال الأخير نصل الى هذه النتيجة:

ان أي شيء يستمد وجوده من غيره لا يمكن ان يكون مستقلاً بل هو محتاج في كل آن لذلك الآخر.

والآن يجب ملاحظة حالة الموجودات الكونية التي انتقلت من

العدم الى الوجود بارادة الله فهل هي أيضاً محتاجة الى خالقها في كل آن؟
يمكن أن يتصور البعض بأنها لا تحتاج الى خالقها في ادامة بقائها
كما كانت تحتاج اليه لوجودها في حين ان هذا التفكير باطل قطعاً، اذ أن
الموجودات الكونية كلها آثار لله ومخلوقة له وهي تشبه الصور الذهنية التي
نوجدتها في اذهاننا تماماً، اذ تحتاج في وجودها وبقائها الى موجودها في كل
آن.

ولتوضيح هذا الأمر دعنا نتصور في اذهاننا رجلاً يمشي باختياره
ويتكلم ويعمل... فهل ان لهذا الرجل الخيالي استقلالاً من حيث
الوجود؟

كلا فوجوده كان من قبلنا بحيث اننا متى شئنا ان ينعدم فانه لن
يبقى آنأً واحداً.

وهكذا كل ما يوجد في ارجاء العالم من كائنات فهي كلها من
الله وهو الخالق والموجد، وكما انها لن توجد حتى يشاء الله فانها لن تدوم
وتبقى الا باشاء الله العظيم.

يقول تعالى في كتاب الكريم:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ»^١.

وهذه إحدى الحقائق الهامة التي يوجه الإسلام أنظار أتباعه اليها
دائماً.

فهو يوصي الإنسان المصلي أن يقول عندما يريد القيام في الصلاة
«بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَقُومُ وَأَقْعُدُ».

نعم.. أننا لوتوجهنا الى احتياجنا الدائم لله وعدم استقلالنا عنه..
وانه هو— وحده — الذي جعلنا مختارين ومنحنا العقل لكي نسعى في
سبيل تحصيل التكامل والسعادة وانه هو الذي يفيض علينا من رحمته
الواسعة ولطفه الشامل...

لو تصورنا ذلك دائماً فإننا سنندفع بلا اختيار الى شكره تعالى
والسجود في محراب عظمته وجلاله قائلين:
«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ وَبِحَمْدِهِ».

الدرس الثامن

الله الغني

أحد القوانين التجريبية الثابتة:

هذا العالم الذي نشاهده عالم مادي مركب من ذرات. وموجودات هذا العالم لكل منها مكان وأثر خاص... ولذا كانت تفاعلاتها وآثارها مختلفة وليست على مستوى واحد في كل مكان وبأبي اتجاه وتحت أي ظرف... فالبعد والقرب مؤثران في الدخول تحت دائرة الأثر أو جذبها، فكلما اقتربنا من مكان تلك الموجودات كان تأثيرها أكثر وكلما ابتعدنا قل التأثير الى ان نصل الى الحد الذي ينعدم معه تأثيرها مطلقا.

والآن لنحاول توضيح هذا الموضوع بذكر بعض الأمثلة:

١- فالقوة المغناطيسية ليست على حد سواء في اي وضع كانت وانما تنجذب قطعة الحديد الى المغناطيس بصورة اقوى عندما تكون اقرب، فعندما نضع مسماراً على بعد سنتيمترين فانه سينجذب بقوة اكثر مما لو وضعناه على بعد عشرة سنتيمترات.

٢- لايتساوى مقدار حرارة الشمس على سطح كوكب الزهرة مع مقدار هذه الحرارة على سطح الكرة الأرضية، وذلك لأن كوكب الزهرة

اقترب الى الشمس من الأرض، ولذا فالحرارة هناك اشد منها على الارض.
٣- يمكن ان يصل ضوء المصباح الى ١٠٠ متر مثلاً ولكنه ليس على حد واحد في طول هذه المسافة.. فكلما اقتربنا الى المصباح كان الاشعاع أكثر.

٤- يمكن ان يصل صوت شاعر أو خطيب الى خمسين متراً ولكنه ليس على مستوى واحد في كل هذه المسافة فكلما اقتربنا من القائل كان الصوت اوضح وكلما ابتعدنا كان الصوت أقل وضوحاً.

٥- اذا صمم حاكم ما على ان يكتفى بنشاطه وادارته الشخصية دون الإستعانة بأي شخص آخر بل وحتى الإستفادة من أى وسيلة حديثة فإن نفوذه سيكون محصوراً اذ أن نشاطه سوف لا يتناول مكاناً خاصاً ولا يشمل أولئك البعيدين عنه في حين انه على العكس لو استعان بالآخرين وبالوسائل الحديثة يستطيع ان يبسط نفوذه على كل منطقة تصلها فعاليات اولئك الأشخاص وتلك الوسائل هذا وان كانت هذه الاعمال وذلك النفوذ ليست من نشاطاته الشخصية بل هي في الحقيقة تابعة لقدرة اتباعه الذين يعملون وفقاً لميوله ورغباته.. ومع ذلك فليس البعد والقرب غير مؤثرين في توسعة دائرة نشاطات اتباعه بل ان لها الأثر المحسوس.

ان الأمثلة السابقة توضح لنا هذا الأمر وهو ان اي موجود مؤثر شاغل للمكان اينما كان فإن اثره الذي يتركه ليس على حد سواء بالنسبة لكل مكان بل ان تأثيره يكون اكثر كلما اقتربنا من مركز التأثير واقل كلما ابتعدنا عنه.

هل لله مركز ايضاً؟

ويمكن ان يتصور البعض ان الله مثل الشمس وسائر الموجودات المادية له مكان و محل في السماوات يقوم منه بإدارة الكون في حين أن الأمر ليس كذلك مطلقاً فإن ذلك النظام والدقة في هذا العالم — وهو مخلوق لله — على حد سواء في كل مكان من اعماق المحيطات الى اعالي المجرات، وليس هناك من مكان لم تشمله يد العناية الالهية وتمنحه النظام الكافي . فليس هناك مركز للنظام كلما ابتعدنا عنه يقل التنظيم شيئاً فشيئاً حتى اننا نصل الى مكان ينعدم فيه التنظيم وتتحكم فيه الفوضى . ولو كان الله مثل هذه الموجودات المادية فإن آثاره لم تكن على حد سواء في عالم الخلق . ومع الإلتفات الى هذا الأمر نعرف ان خالق الكون ليس له مكان ومركز خاص .

هذا علاوة على ان الله تعالى هو خلق المكان ومن المستحيل ان يكون الخالق محتاجاً لمخلوقاته وليس حاله كحال المخترعين، اذ أن هؤلاء — كما تقدم في الدرس الماضي — ليسوا خالقين بل ان افضل ما قدموه هو أنهم فهموا آثار بعض الموجودات ووقفوا لأن يستفيدوا من تركيبها مع بعضها فيصنعوا وسيلة قديكونون هم محتاجين اليها، ولكن الله تعالى — وهو خالق كل الموجودات — يستحيل ان يكون محتاجاً اليها .

هل يمكن رؤية الله؟

والآن وبعد ان علمنا بأن الله لا مكان له يتوضح انه ليس بجسم، لأن الجسم يحتاج الى مكان وليس هناك من جسم لا مكان له، ولأنه

ليس بجسم فلا يمكن ان يرى، اذ أن العين لا تستطيع ان ترى الا الأجسام.
لا يحتاج الله الى شيء

ولأن الله خالق الغذاء وسائر لوازم الحياة وكل الموجودات
فيجب القول بأنه غير محتاج مطلقا الى أي منها.

وهنا يمكنكم ان تسألوا هذا السؤال: اذن ما هو الله مع انه ليس
بجسم ولا مكان له ولا يرى؟ وكيف نقول انه موجود؟ ولتوضيح الجواب
يلاحظ المثال التالى:

اننا نستطيع أن نقول:

القوه الكهر بائية ليست جامدة

القوه الكهر بائيه ليست سائلة

القوه الكهر بائيه ليست في حالة غازية

ولا تنافي مطلقا بين هذه اللاءات مع الإيمان بوجود القوة
الكهر بائية، فلا يصح مطلقا ان نقول: لأن القوة الكهر بائية ليست بجامدة
ولاسائلة ولا غازية فليست بموجودة، بل يجب القول بأن الكهر بائية
حقيقة غير تلك الحقائق التي ذكرناها.

والآن فنحن نقول في الله تعالى:

الله الغنى ليس بجسم

الله الغنى لا مكان له

الله الغنى لا يرى

الله الغنى لا يحتاج الى شيء.

اي انه لا سبيل لآتي من هذه النقائص في وجود الله الكامل
اللامحدود الذي هو منبع الوجود فليس هناك الا الكمال والغنى المطلق

وهذه الصفات هي التي تميز ذاته عن سائر الموجودات.
 هذا هو الله الذي يجب ان نعتقد به ومثل هذا الإله هو الذي يقبل
 العقل والفطرة ولا يستطيع اي عاقل منصف ان ينكر وجوده مطلقاً
 ان مقارنة هذه العقيدة مع عقيدة أولئك الذين جعلوا الله تعالى
 في مستوى الإنسان وقالوا بجسميته وانه مولود وتصوروا له سائر الصفات
 البشرية، تبين — بوضوح اكبر — عظمة الدين الاسلامي الحنيف.
 ويمكن في الختام ان نقول:
 ان الكثير من الماديين انكروا الله لانهم لم يُعطوا صورة الإله
 الواقعي (كما عرفها الإسلام) وكل ما سمعوه عن الله لا يعدو أن يكون
 تصورات خرافية عن إله عاجز غير واقعي.

الدرس التاسع

العلم الذي لا بداية له ولا نهاية

علم أوسع... إنتاج أروع

إن هذه التراكتورات الضخمة التي تستعمل في شق الطرق وتعبيدها وتؤدي مختلف الأعمال المهمة هي شاهد حي رائع على علم صانعها ومهندسها. ويجب القول بأنه كان مطلعاً جيداً على قوانين الميكانيك ونسبة الإصابات^١ والمعادلات الفيزيائية. وهكذا كل مصنوعات الإنسان تحكى عن ذكاء صانعها وامكانياته العقلية فكلما كان الإنتاج أكثر ضخامة وأشد دقة، كان شاهداً على أن علم الصانع أكمل وأوسع.

لا مجال للقياس

نعم لا مجال لأن نقيس عظمة عالم الخلقه وأساراه الى بناء تراكتور أو سائر ما يصنعه الإنسان، ان القوانين الدقيقة المحيرة التي نراها في وجود هذه الموجودات الكونية تجسد لنا بوضوح علم الله الا محدود والآن فلنلاحظ

١- الإصابات خليط من معدنين ليسا من جنس واحد.

الأمثلة التالية بدقة:

١- يقول نيوتن:

«كيف تكونت أجسام الحيوانات بهذه الصياغة البديعة؟ ولأى المقاصد وضعت اجزاؤها المختلفة؟ هل يعقل ان تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الإبصار ونواميسه والأذن بدون المام بقوانين الصوت... وهذه الكائنات كلها في قيامها على أبداع الأشكال واكملها ألا تدل على وجود إله منزه عن الجسمانية حي حكيم...؟»^٢.

٢- ان البناء والجهاز الحياتي للخفاش لجهاز مليء بالعجائب، فإن هذا الحيوان لأجل ان يتلمس طريقه في الظلام ولا يرتطم بعائق يقوم بإرسال أمواج معينة^٣ الى الفضاء تماماً مثل الرادار وما ان يتواجد عائق في طريقه حتى تصطدم به تلك الأمواج وترجع اليه وعلى هذا الأساس يطير الخفاش متمسكاً طريقه في احلك الظلمات.

٣- ان قشرة الدماغ التي تعتبر أوسع جزء من الجهاز العصبي المركب من طيات خلوية رقيقة جداً وبقطر ١/٥ - ٤ ميليمتر تغطي كل مساحته وتبلغ سعتها ٢٣٠٠ سانتيمتر مربع تقريباً وتوجد في القشرة حوالي ٩/٣ مليار خلية عصبية متشكلة على شكل طبقات بعضها فوق بعض^٤.

٤- الحشرات مع انها صغيرة ولكن لديها أجهزة دقيقة فثلاً بدلاً من العين البسيطة لها عيون مركبة وكل عين من هذه العيون مركبة من وحدات بصرية تسمى (الاماتيدي)^٥ وكل وحدة من هذه الوحدات

٢- دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي ج ١٠ ص ٤٤٨.

٣- من نوع امواج الولتراسوند (فوق الصوتية).

٤- فيزيولوجيا كايوتون ج ٢ ص ٩٥٧ باللغة الفارسية.

٥- الاماتيدي (العوينة) هي العين الصغيرة في الحيوانات المفصليّة.

تتشكل مثل أي عين عادية (من الخارج الى الداخل) من الأقسام القرنية و العدسية و الشبكية و عددها متفاوت في الحشرات ففي بعضها وتسمى «حشرة أم الجباحب» توجد ٢٥٠٠ واحد في حين تصل في بعضها من ١٠٠٠٠ الى ٦٢٨٠٠٠.

وتستطيع الحشرات — رغم انها لايمكن ان تحرك رأسها — ان تبصر الاشياء الجانبية أو الخلفية بواسطة هذه الوحدات البصرية. ان النماذج السابقة توضح لنا تماماً كيف ان الله تعالى خلق الكون بعلمه اللامحدود ونظرته المطلقة.

والآن يأتي هذا السؤال وهو هل ان الله مطلع على كل شىء في العالم بعد خلقه اياه؟

لاشك بأن الجواب هو: نعم.

ان الله مطلع على كل شىء في أي مكان وأنى كان، يعلم: إشراقاً أبعد كوكب في أعماق الفضاء على جبين السماء... وتلاطم الأمواج... الزرقاء بلاهدوء وسكون... في أبعد نقاط المحيطات...

وأغرب الوديان السحيقة البعيدة بين الجبال المهولة. والحركة الخفيفة للورقة يهزها النسيم بين ملايين الأوراق... والحنين الواله للطير الساري سحراً (كالعندليب والقمرى)... في صمت الغابات... وتلاؤ ديدان الجباحب في طيات الغصون وأوراق توت العليق في غياهب الليالى.

وعدد الأسماك التي لا تحصى وألوانها المختلفة وانواعها الكثيرة في أرجاء مياه العالم.

وولادة صغار الغزلان العنبرية الشعر في الغابات الكثيفة.
 وحركة قطرات الندى اللؤلؤية الشفافة على اوراق ورد شقائق
 النعمان والتي كادت ولما تتفتح في ظل الصخور. نعم، ويعلم انعام الجبل
 الشامخ، والسماء المنخبية والبحار الوسيعة والمعادن المضغوطة في أعماق
 الأرض والغار المجهول المستتر.. فكلها وكلها معلومة لديه تعالى فهو يعلم
 كل شيء.

ما أَرَوَّعَ كَلامَ اللَّهِ

«وَتَعَلَّمْ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا
 حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^٧.

لماذا كان الله عليماً؟

لأن - : الموجد والخالق مطلع تماماً على ما خلق ومتوجه اليه

دائماً...

اننا لانغفل عن صورنا الذهنية ونستطيع ان نبقيا في الذهن الى
 المدة التي نشاء، فانها ستبقى وسنبقى متوجهين اليها ولكن ما ان نصرف عنها
 الذهن حتى تفتنى.

فاذا تصورت إنساناً في الذهن فانكم حتماً ستوجهون الى حركاته
 وسكناته كلها ولا تكون اعماله مستترة عنكم مطلقاً ولذلك كانت

تلك الصورة الإنسانية مخلوقة لكم بمعنى انها قبل ان تتصوروها لم يكن لها أي وجود لكنكم أوجدتموها بتفكيركم وتصوركم لها.
والله تعالى أيضاً خلق العالم وما فيه وأفاض عليه نعمة الوجود فهو بصير به وليس غافلاً عنه.

والفرق بيننا ونحن نستطيع ان نوجد صورنا الذهنية وبينه تعالى الذى أوجد العالم هو أننا محتاجون اليه في اصل وجودنا وبقائنا فوجدنا منه ولكنه تعالى غنى من جميع الجهات وواهب الوجود لكل الموجودات ولهذا فهو (الخالق الحقيقي) لاغير.

الفرق بين الخالق والمخترع

ليس صانع العقل الالكتروني إلهاً وموجداً له كالخالق وانما غاية ما أمكن ان يفعله هو ان يجمع بين اشياء كانت موجودة بأسلوب فني لينحها شكلاً خاصاً فهو جاهل بما سيقوم به هذا الجهاز من أعمال وحسابات وما سيخزن فيه من معلومات في المستقبل وهكذا سائر المخترعين والمكتشفين والصانعين فهم غير مطلعين على كل جزئيات النشاطات والحركات التي ستؤديها مصنوعاتهم، وذلك لأنهم لم يوجدوا مصنوعاتهم ولم ينقلوها من العدم الى الوجود وانما كانت المواد الأولية لمصنوعاتهم مهينة جاهزة في الخارج فعمدوا الى الإستفادة منها وتحليلها وتركيبها مغيرين شكلها الى الشكل المناسب.

فالطائرة مثلاً مصنوعة من مواد كانت كلها بشكل مواد أولية معدنية استخرجت من باطن الأرض وأذيتت في قوالب خاصة وجرت عليها تطورات اخرى حتى انتهت الى شكل الطائرة.

وعلى هذا فالمخترعون والصناع لم يخلقوا مصنوعاتهم بل غيروا شكل موادها ولذا فليسوا مطّلعين على ما يجري عليها وما تقوم به في كل آن وعليه فلا يمكن ان نسمي الصانع خالقاً واذا ما اطلق عليه اسم «الخالق» فهو اطلاق مجازى.

أما الله تعالى الذي أوجد كل الأشياء فهو عالم دائماً بما تقوم به وما يجري عليها لأنه الخالق الحقيقي والواقعي يقول القرآن المجيد:

«الْأَيْعَلْمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^٨.

* * *

فنحن الآن نعلم إذن اننا وجميع المخلوقات في العالم لسنا بعيدين عن ساحة الله تعالى وجلاله... واننا ايننا كنا... واني سافرنا وذهبتنا... الى اعماق اعماق المحيطات و الى قلب السماوات و الى مضائق السوڊيان لعقيقة فاننا مشمولون بعلمه وهو خير بنا و بكل حركاتنا...

«يَعْلَمُ خِيَاتِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^٩.

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^{١٠} لأنه مطلع تماماً على كل شيء.

ترى هل يمكن لمن كان له مثل هذا الإله العظيم الخير ان يبغى بالعصيان والمساوىء والعياذ بالله؟...

٨- سورة الملك الآية ١٤.

٩- سورة غافر الآية ١٩.

١٠- سورة الزلزال الآية ٧-٨.

التّوحيد في القدرة

عالم وسيع.. ذواسرار

إن شيئاً من التأمل والدقة في خلقة أيّ موجود من موجودات هذا العالم يرّينا بجلاء القدرة الالهية المنعدمة النظير، وكمثال على ذلك لاحظوا النماذج التالية بدقّة:

١- إن النظام الدفاعي للجسم^١ مازال ومنذمة طويلة محط

أنظار العلماء الفيزياويين ومورد توجيههم.

إذ إن الجهاز الدفاعي للجسم يعتبر نظاماً معقداً يشمل الغدد اللمفاوية^٢ وغدة تيموس، والطحال، والكبدومخّ العظم، والخلايا الموجودة في هذه الأعضاء مع أنها مختلفة من حيث البناء ولكنها تشترك في هدف مشترك وهو المقاومة في قبال العناصر الأجنبية المهاجمة مثل الميكروب والسموم وهنا تقوم الكريات البيض التي تتمركز في الغدد اللمفاوية بدور مهم على الخصوص.

١- ويُسمى «رييكولوآندوتليال».

٢- التي تصنع اللمفوسيت - نوع من الكريات البيض.

فان يتسلل الى الجسم عنصر خارجي حتى تتوجه الكريات التي يبلغ طول أحدها بين ٧ - ٣٠ ميكرونا^٣ الى هذا التجمع الميكروبي، وعندها تتبع مختلف الأساليب لإيقاف الخطر عند حده وردعه.

ويتخذ الجسم بمعونة هذه الموجودات الأساليب المختلفة والطرق المتنوعة للقضاء على هذه العناصر الغريبة، وتقوم في قبال أى جسم غريب^٤ بصنع مادة تسمى آنتي كور^٥.

ولهذه المادة أنواع مختلفة، فبعض الأنواع منها تؤدي وظيفة تحليل جسم الميكروب والقضاء عليه، في حين يستعمل بعضها الآخر في ابطال مفعول سموم الحيوانات والحشرات والأدوية وبعضها يستعمل لأجل شل حركة الميكروبات والقسم الآخر لأجل ترسيب المواد السمية والميكروبية وأخيراً يترشح البعض من أنواع هذه المادة في أثناء ورود الخلايا الحمراء الغريبة على البدن وذلك عند ادخال الدم المغاير نوعه لنوع دم الجسم. والجدير بالذكر هو أن الجسم قادر على أن يولد انواعاً من هذه المادة المقاومة في قبال أية مادة غريبة حتى الأشياء التي لم يوفق العلم لكشفها^٦.

٢- يقول مدير مرصد لثون في جبل بالومارفي اتازوني: الى ما قبل صنع مرصد بالومار كانت سعة الدنيا التي تبلغها أنظارنا لا تتجاوز

٣- الميكرون يعادل واحداً من الف من المليمتر.

٤- آنتي ژن

٥- ان كيفية صنع هذه المادة وماهيتها الكيماوية من المسائل المعقدة للعلوم الفيزيولوجية والبيوكيماوية.

٦- فيزيولوجيا كابتون.

الخمسمائة سنة ضوئية^٧ ولكن هذا المنظار المكبر أوصل هذه السعة الى ١٠٠٠ مليون سنة ضوئية، و كان أن اكتشفت الملايين من المجرات الجديدة التي قديصل بعد أحدها عنا الى ١٠٠٠ مليون سنة ضوئية... ولكنه يبدو للناظر بعد كل هذه المسافة أي بعد ١٠٠٠ مليون سنة ضوئية، ان هناك فضاء عظيماً مهيباً مظلماً لا يرى فيه اي شيء، أي أنه لا يعبره أي ضوء حتى تتأثر به شاشة التصوير في المنظار المكبر للمرصد. ولكنه لا شك في أنه توجد في ذلك الفضاء المهيب المظلم مئات الملايين من المجرات بحيث تحتفظ الدنيا التي نقع فيها بتوازنها على اساس من الجاذبية العظمى لتلك المجرات.

ان كل هذه الدنيا العظيمة التي تلوح للنظر والشاملة لمائة ألف مليون من المجرات ليست إلا ذرة حقيرة ولا قيمة لها من دنيا أعظم، ومازلت أشك في عدم وجود دنيا اخرى في فضاء تلك الدنيا الثانية^٨.
يقول إمامنا أمير المؤمنين (ع):

«اللهم... حمداً لا ينقطع عدده، ولا ينفي مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك، إلا أنا نعلم انك حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم... لم ينته اليك نظر، ولم يدر كك بصر أدركت الأبصار وأحصيت الأعمال، وأخذت «بالنواصي والأقدام» وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك، ونصفه من عظيم سلطانك، وما تغيب عنانمه وقصرت أبصارنا

٧- السنة الضوئية: تعني المسافة التي يقطعها النور في خلال سنة من الزمان وسرعة سير النور هي ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية.

٨- مجلة «العلم والحياة» من مجلات اوروبا الغربية.

عنه، وانتهت عقولنا دونه وحالت ستور الغيب بيننا وبينه أعظم»^١.
نعم ان القدرة الإلهية التي لانظير لها أوجدت كل شيء ولا يخرج
أي شيء عن نطاقها مطلقاً.

ان الدنيا موجودة بإشاعة الله وستبقى كذلك الى ماشاء الله...
النجوم والقمر والشمس وباقي السيارات تطوف وتدور بقدرته... وكل
انحاء هذا النظام البديع في الكون بيده... ومتى ماشاء فانه يقبله رأساً على
عقب ويبدع محله نظاماً جديداً، وليس الأمر كما يتصور البعض من أنه
أوجد العالم ثم تركه على رسله، فإن الحركة والدوران والنبض والوجود
والدوام لأي شئ انما هو بأرادته ونظره تعالى، فلا شيء يمكن أن يوجد أو
يدوم بدون اذنه ومشيئته فالموجد والمبقي والناظر والحاكم هو الله تعالى.

نظام يتفوق على النظام الطبيعي

صحيح ان الله أودع هذا العالم نظاماً طبيعياً يمكن على أساس منه
أن نحسب أو نحس ونعرف مستقبل الحوادث ولكننا في بعض الموارد نجد
ان الله تعالى يعرض لنا جانباً من قدرته الوسيعة... وبقدرته يوجد نظاماً
يتفوق ويحكم على النظام الطبيعي.

ونماذج هذا النظام المتفوق تلوح للنظر في التاريخ وفي حياتنا
اليومية..

اننا نشاهد يدالله وكيفية تأثيرها في أمر هذا العالم عيناً... فتارة
يعز الذليل الحقير واخرى يذل العزيز.

وعلى هذا الأساس فأولئك الذين يؤمنون بالله القادر لن يصيبهم اليأس والقنوط فى حياتهم، فتراهم — فى أى وضع كانوا — وفى ظلمات صدورهم المتألمة المتأوهة شعلة من أمل تشرق، وقلب دافئ مطمئن بأنهم سينجون من أية مصيبة بمعونة الله .

كلنا قرأنا وسمعنا قصة موسى عليه السلام وهارون عليه السلام . فلقد كان فرعون جاوز الحد فى الظلم والعدوان وكان يذبح أولاد بني إسرائيل لكى لا يولد «موعود بني إسرائيل» الذى كان قد سمع بأنه سيقضي على تاجه وسريه، وعلى أساس من النظام الطبيعى يستطيع أن يقف فى وجه معونة الله ونصره . ولكن جهوده باءت بالفشل وأصبحت كحروف على ماء... اذولد المولود والموعود فى النهاية وأبصر النور رغم كل حذره واحتياطاته .

وقد أوحى الى أم موسى أن تجعله فى صندوق وتلقيه فى اليمّ وتسلمه الى مياه النيل.. حيث يحمله النيل الى قصر فرعون... وما ان وقعت عينا زوجة فرعون حتى أمرت بجلب الصندوق وحين رأت بداخله ذلك الطفل طلبت من فرعون أن يتبناه... ويقبل فرعون ذلك . وهكذا شاءت القدرة الإلهية أن يتربى ذلك المولود الذى خاف منه فرعون فى احضانه الى أن كبر وأشرق بالنور وحطم تاج فرعون وعرشه .

وكذلك تتجلى قدرة الله فى ابطال تلك الجهود والمؤامرات الخسيسة لإخوة يوسف... ليرفع يوسف من قعر البئر الى مصاف القمر... فىكون بالتالى عزيز مصر .

وقد تحالف كفار مكة على أن يؤدوا بحياة نبي الإسلام العظيم.. وأخذوا يؤذون المسلمين.. الى ان حصروا النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه

سنين في شعب أبي طالب^{١٠} وفرضوا عليهم محاصرة اقتصادية. وانتهى بهم الأمر الى التبانى على قتله ظانين أنهم بهذه الحيل والتدابير والمؤامرات يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، ولكن قدرة الله وإرادته حفظت النبي صلى الله عليه وآله، وتقدم الإسلام يوماً فيوماً.. ليعود الذل والعار من نصيب قريش والمشركين.

ان ما ذكرناه والنماذج الأخرى الكثيرة تهدينا إلى هذه الحقيقة وهي أن النظام الحالي للعالم بيد الله وقدرته ومتى ماشاء لمصلحة يراها فإنه يوجد نظاماً آخر حاكماً على النظام الطبيعي العادي.

ان عقلنا وفطرتنا وواقنا يقضى بأن نقف في محراب هذه القدرة العظيمة الرحيمة فتخشع قلوبنا وندعو ونسبح الله ونعبده حق عبادته، ونرتدع بالتالي عن العصيان لخالقنا العظيم.

ان يد القدرة الإلهية قدقاد تناهت المراحل المتفاوتة والمنازل المختلفة حتى أوصلتنا إلى المرحلة السامية من التعقل والتوفر على الإمكانيات الكبرى، فليس من الحزني بنا أن نغفل عنها وننسى نعمها المتواليه.

إن الذي يعرف الله ويعلم أن لديه مثل هذا السند العليم القادر لن يخاف مطلقاً من أية مشكلة، فإن أعقد المشاكل وأشكلها تعتبر مما يقبل الحل في نظره وهو بالتالي يسعى لأجل الوصول إلى هدفه بعزم لا يقبل الكلل والملل نابع من الإيمان بالله، وغير خائف من أي مانع أو عائق لأنه يجد نفسه في ظل قوة عظمى تستطيع أن تجعله ينتصر على المشاكل.

ان الإيمان بالله وقدرته التي لا نظير لها جعل النبي الأكرم صلى الله

عليه وآله يقف لإوحده فى قبال كل أولئك المعارضين والحوادث الصعبة لتثبيت أسس التوحيد ونظم الحياة وبناء مبدأ الإنسانية والفضيلة بأروع صورها.

إن الإنسان الذى يطفح قلبه بالإيمان بخلق العالم ويموج بحبه تعالى، لن يجد نفسه على الإطلاق وحيداً وخاملاً ويائساً بل إن نور الله سيشرق فى كل حنايا قلبه وزواياه.

ومن البديهي ان مثل هذا الإنسان سيعدُّ نفسه بكل شوق وحرارة للحياة الأمثل والأكثر احتواء على معانى الفضيلة والكمال.

الدرس الحادى عشر

لانعبد الا الله

منذ أن وطأت قدما الإنسان هذه الأرض فإنه كان دوما يبحث عن علة الموجودات ومبدها وذلك بدافع من فطرته وواقعه لكى يقوم بحق الطاعة والعبادة له.

إن الإنسان الذي يعيش بعيدا عن ضوضاء المجتمع وعادات المنحرفين ورسومهم... هذا الإنسان عندما يعى وجوده وما هو اليه... يرى الأرض والسماء، والليل والنهار، الشمس والقمر والنجوم وشروقها وغروبها، ويشاهد هبوب الرياح، ونزول المطر وتغير الفصول ونمو النباتات والأشجار وحملها للأثمار، وهكذا يلاحظ الحيوانات المختلفة وحركتها، ونموها وأنماط تغذيتها وتناسلها وتجهيزها بكل ما تحتاج اليه في حياتها...

وعند ما يرجع الى نفسه هو فيلاحظ يده ورجله وعينه وأذنه وأنفه وفمه وأسنانه وأعضاءه الأخرى حيث يقوم كل منها بعمل خاص ولكن كل الأعمال تؤدى إلى هدف مشترك وهو إبقاء الحياة في البدن... وحينما يحاول أن يبحث عن كيفية الترابط القائم يتعرف على أروع تعاون ووحدة بين كل الأشياء بشكل يشكل الجميع معه جهازاً واحداً متناسقاً

يحكمه نظام واحد...

عندما يُلاحظ كل ذلك فانه يتوجه بلاشك الى بعض الأمور المهمة وهي:

— لا بد من وجود مُبدع و صانع لأن مثل هذا النظام والتناسق العجيب لا يمكن أن يكون و ليد الصدفة العمياء الصماء.

— إن هناك هدفاً من خلق هذا النظام الكوني بمجموعه و كل جزء من أجزائه ومنها الإنسان و انه لم يخلق عبثاً.

— إن خالق مثل هذا الجهاز العظيم لا بد و أن يكون قادراً عظيماً و لا بد من تعظيمه و عليه فيجب الوقوف في رحابه بكل جلال و خشوع و عبادته حق العبادة.

— إن هذا الخالق العظيم عالم بكل أجزاء هذا النظام و كل ما يجري و يحدث فيه من حوادث و من جملتها أعمال العباد فهو مطلع عليها و محيط بها.

و على هذا فالإنسان لا يحتاج الى أية واسطة يعبد الله عن طريقها و انما تكون العبادة مباشرة له تعالى...

فتوسيط الوسائط من قبيل الملائكة، و النجوم، و الأصنام، و الأولياء، و الظاهرين امر ليس في محله و غير وارد على الإطلاق.

عِلل انحراف البشرية عن التوحيد

ما قلناه هو مقتضى الطبيعة الإنسانية و الفطرة و التفكير الصحيح للإنسان الذي لم يتلوث فكره بالعادات و الرسوم المغلوطة لانماط المحيط و البيئه، و التقليد و التعليم المنحرف لدى العوائل.

ومعنى هذا الذى نقوله هو أن مقتضى الطبيعة و الفطرة الإنسانية أن يكون موحداً.

أما كيف وما هى العوامل التى انخرفت بالإنسانية من السبيل الواسع للفطرة الى ضلال المشرك، فإن هناك عللا مختلفة نذكر بعضها فيمايلي:

١- كان البعض من عباد الأصنام يقولون «لأننا نجد أن الفكر و العقل الإنسانى لا يمكن ان يحيط بالله تعالى و لأنه لاجهة خاصة له حتى نتوجه اليها و نعبده من تلك الجهة فانا مضطرون لعبادة أشياء مخصوصة متّربة في رحابه تعالى لكي ترضى هي و تكون واسطة تقربنا الى الله زلفى».

و قد غفل هؤلاء عن هذه النقطة وهي انه:

صحيح ان الله (جلّ و علا) لاجهة له و لكنه محيط بكل شىء و في كل مكان. و على هذا فأينا و جهنا و جوهنا فَشَمَّ الذات الإلهية المنزهة، فنستطيع أن ندعوه مباشرة و ننحنى في محراب جلاله العظيم خشوعاً و تعظيماً.

«فَأَيْتَمَّا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ»^١.

٢- يمكن ان يحدث ان يقوم افراد القبيلة بعد موت احد اكابرها و ذوى المكانة و الإحترام، بصنع تمثال له تعظيماً و تكريماً و ذكرى، و في أثناء عبادتهم لله كانوا يلاحظون تلك التماثيل... ثم ينقطع التوجه الى الله شيئاً فشيئاً و يتحوّل الإحترام للتمثال الى شكل عبادة و هكذا يصل الأمر

الى صناعة الأصنام وعبادتها.

فالتاريخ يُحدِّثنا بأن أبناء قاييل صنعوا تمثالاً لتعظيم ذكرى كبيرهم «وَدَّ» وأسّموه بذلك الإسم ولكن التعظيم تحوّل شيئاً فشيئاً الى مرحلة كان هؤلاء يضعون فيها جباههم على الارض ويعبدونه^٢.

٣- ان الإنسان كان ينظر نظرة احترام لبعض الموجودات لعلّة نفعها له ويعتبرها لذلك مظاهر لتجلّى الله تعالى، وهذا الإحترام تحوّل شيئاً فشيئاً الى شكل عبادة، وقد كانت عبادة الشمس والتار عند الإيرانيين القدامى أو آريي الهند القديمة من هذا القبيل.

ان هذه التصوّرات وأمثالها كانت السبب في ظهور الشرك و عبادة الصنم بين الناس وقد تعمق هذا الإنحراف وانتشر نتيجة كون الأجيال المتلاحقة لم تحقق فيه ولم تفكر في عقائد الآباء ولذلك وقعت في ضلال الشرك وتحيّرت في دروبه مبتعدة عن الطريق المستقيم للفطرة و هو التوحيد.

جهاد الأديان ضدّ الشرك

وقد عملت الأديان السماوية دوماً على إرجاع الناس من طرق الضلال والشرك الى سبيل التوحيد اللاحب فالقرآن الكريم يعرض لنا صوراً من ذلك العمل الدائب للأنبياء العظام في سبيل محو الشرك و توجه الناس الى الله الواحد و من ثمّ يمجدها لما بذل فيها من تضحيات.

ومن هؤلاء الأنبياء إبراهيم عليه السلام اذ يقول عنه:

٢- بحار الانوار الطبعة الجديدة ج ٣ ص ٢٥٠.

«إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَاكِفُونَ؟ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ
آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.» وحينها فكر إبراهيم في أن يقوم بعملية حية
تربوية ليوقفهم حساً على ضلالهم ولهذا فقد دخل إلى بيت الأصنام يوماً
و كسر أصنامهم بفأسه وعندما اطلع الناس على ذلك غَضَبُوا بشدة و
قالوا له «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ» وقد أجابهم بجواب
أوقفهم فيه على ضلال عقيدتهم وفساد تصوّرهم قائلاً «فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ
كَانُوا يَنْطِقُونَ» وحينها يصور القرآن الكريم موقفهم قائلاً «ثُمَّ نَكِيسُوا
عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَيُّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟»^٣.

إن هؤلاء القادة العظام، ذكروا للبشرية دوماً بأنها تستطيع ان
تتصل بالله مباشرة في أي مكان وآن وبلا أية واسطة فلا بُدَّ من ان يكون
التعظيم الكامل والخشوع لله تعالى وعظمته.

وأنه يجب التوجه الى الله تعالى وحده في العبادة وعدم التوجه الى
غيره ايّاً كان وبأي عنوان.

ولذا فإن العبادة ستكون مرفوضة تماماً اذا كان فيها شيء
من التوجه الى غير الله اي انها كانت لله ولأجل ذلك الغير.

نتائج التوحيد

١- الحرّية والكرامة

٣ مقتبس من الآيات القرآنية الشريفة من ٥١ — ٧٠ من سورة الأنبياء.

إن الإنسان المؤمن بوحداية الله وقدرته وعلمه بكل شيء وأن كل الموجودات مصنوعات ومخلوقات له تعالى، هذا الإنسان سوف لن يتملق الى أى شخص ولن تستطيع أعتى القوى وأكبر الثروات ان تجعله يخضع ويتوسل ويتصاغر أمامها وإنما يخضع ويخضع فقط في رحاب الله الواحد ويسجد في محراب عظمته ويضع جبينه على الأرض أمامه تعالى.

ولقد حرم الإيرانيون القدامى من الحرية الفردية والاجتماعية لأنهم تصوروا أن أكاسيرتهم المستبدين هم مظاهر لله ولذا فقد سلموا اليهم أمورهم بدون أى اعتراض.

ولكننا نشاهد ان التاريخ يحد ثناعن تصرفات المبعوث المسلم الى القائد الإيراني في معركة القادسية^٤ وانه دخل بين كل التشريعات و الزينة ومظاهر الأبهة والعظمة الظاهرية غير مكترث بها وإنما جلس على الأرض وعندما سئل عن أهداف المسلمين قال: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان (الباطلة) الى عدل الإسلام»^٥.

٢- العدالة الواقعية العامة

في ظل التوحيد لاسبيل لكل الإلهيتين الا أن يتبعوا القانون الإلهي القائم على أساس من الحكمة والعدل.

ومن البديهي أن اتباع القانون الإلهي يوجب اتساع نطاق العدالة

٤- القادسية اسم مكان في العراق يقع على بعد ١٥ فرسخا من الكوفة وقعت فيه معركة القادسية سنة ١٦ هجرية بين المسلمين والإيرانيين (راجع معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩١-٢٩٢).

٥- تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٦٩ - ٢٢٧١.

الأصيلة ومخوأي ظلم اوتعدّ على الحقوق.
 في حين ان المشركين على العكس من ذلك لا يستطيعون ان
 يقيموا العدل الواقعي فيما بينهم وذلك لأن كل مجموعة وقبيلة منهم
 اتخذت لها إلهاً متميزاً عن آلهة الآخرين واعتماداً على هذا الإله فانها
 تسمح لنفسها بالتعدى على حقوق الآخرين وبهذا ترتفع العدالة الواقعية و
 يحل محلها التفرقة والتحكم الظالم واشباههما.
 والنتيجة:

ان التوحيد بمعناه الواقعي يربّي الإنسان الحر، الصحيح الفكر،
 المتوجه، المطمئن الخاطر، ولا يدع يتخبط في الدروب المعقّدة للضلال و
 الظلم والإختلاف.
 ومن هنا يتوضّح لنا سرّ هذا القول الشريف «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ تَفْلِحُوا».

الدرس الثاني عشر

آيتها الواقع إلهما الخير والشر أم الله الواحد؟

الخير والشر

تخيلت مجموعة تدعى «الثنوية» أن موجودات العالم على نَمَطَيْنِ

خير وشر.

وعلى هذا الأساس فقد قالت بوجود مبدئين للعالم بحيث أن الخير مخلوق لأله الخير «يزدان» والشر مخلوق لأله الشر «أهرمن». والذي دفعهم الى هذا القول هو محاولة تنزيه الله من كل عيب و نقص و شر و لكنهم غفلوا عن أنهم وقعوا في حبال الشرك وقالوا بوجود شريك له تعالى هذا من جهة و من جهة أخرى فانهم وقعوا في خطأ جسيم عندما قسموا الموجودات الكونية إلى نَمَطَيْنِ — خير و شر وذلك لأننا لولا حَظُّنَا التَّظَام العام في العالم علمنا بأنه لا وجود مطلقا للشر المطلق وإنما «كل شيء في محله خير».

وقد تصور هؤلاء وجود افتراق بين وجود بعض الأشياء التي ظهرت لهم و كانها من نماذج الشر وبين وجود أشياء هي من نماذج الخير، و

عندها — و كما تخيلوا — حاولوا ان يحلّوا المشكلة بالقول بأن العالم له مبدآن فالحيرتان من مبدأ والشّرور من مبدأ آخر.

في حين أننا لودقّقنا النظر أكثر لعرفنا أن الكثير من موارد هاتين المجموعتين متحدة، ولا انفصال هناك بينها، فمثلاً: المطر خير لأنه ضروري للزراعة ولكن نفس هذا المطر يمكن ان يعتبر بالنظر السطحي شراً بأن يقال بانه سبب لتهديم بيوت الفقراء الطينية.

فن الواضح ان المشكلة لا تحلّ بالأسلوب الذي سلكه (الثنوية) إذ أن شرّ هذا المطر ليس وجوداً مستقلاً وممتازاً عن خيره بمعنى انه ليس للمطر وجودان ليقال ان احدهما (خير)، فهو من الله والآخر (شر)، فهو من مبدأ آخر.

اما حلّ المشكلة من زاوية النصوص الإسلامية (القرآن و الروايات) وما يقبله العقل السليم فهو أن نقول.

اننا لولاحظنا كل هذه الأشياء التي تبدو للتأظر السطحي، و كانها خالية من الخير مثل العطش، الجوع، الشدائد، الحساسيات العصبية، البرد، الحر و الحيوانات المؤذية... وغير ذلك لولاحظناها لابنظرة جزئية بل باعتبارها أجزاء للنظام العالمى المتناسق فإننا سندرك ضرورتها في النظام الكلي للعالم.

ولنحاول ان نعطي شيئاً من التفصيل ليتجلى لنا واقع هذا القول.

عوامل الفرار من الخطر

ان جسم الإنسان عبارة عن مجموعة من الأعضاء المركبة من لحم وعظم.. وهى ليست في أمان دائماً من كل خطر فإن النار لوحدتها قادرة

على ان تحوّلها الى رماد متطاير، وهذا الجسم عندما تصيبه الآلات القاطعة اوالتحطيمية فإنه لن يستطيع الوقوف أمامها فيكفي اصطدام واحتكاك واحد لتحطيم بنائه وهيكله... ومن هنا فان الله تعالى اعطى الإنسان بعض العوامل التي تُتيح له أن يكون في أمان من الأخطار الكبرى.

١- العطش والجوع — إذ يمكن أن لايلوح للإنسان السطحي منها أي خيري في حين أنها يقومان بدور مهم في حياة الإنسان اذإن الإحساس بهما هو ضمانه بقاء المليارات من الخلاياحية فلوم يملك الإنسان هذه الغريزة لم يكديّم وقت يذكر حتى تتحلل خلاياه البدنية للتقص في الغذاء والرواء وتموت وليس لهذا نتيجة الاموت المحتم.

٢- الإحساس بالألم والحساسيات العصبية وتعتبر من نعم الخلق الكبرى.

إذإن أعصاب الإنسان في الحقيقة تشكل شبكة دقيقة جداً للمخابرات داخل الجسم فما ان تلوح أية بادرة حتى تدق أجراس الإنذار باعثة الإنسان نحو محاولة تلافى الخطر ومعالجته.

فلوم يكن هذا الإحساس بالألم موجوداً فإن المرضى سوف لن يفكروا في العلاج، ولو غفلت الأعصاب اولم تدرك الحوادث غير الملائمة أمكن أن يذوب الجلد او اللحم على أثر المماسّة مع النار ليصبح بالتالى رماداً وهكذا بالتسبة للإصطدام بالأشياء الثقيلة الحادة اذايتمزق الجسم وتكسر العظام.

فإذا وجدنا من مثل هذه الإحساسات شيئاً من الألم والخشونة وجب علينا ان نعلم بأن ذلك لايتجاوز ما نحسه عند ما يشتعل الضوء الأحمر معلنا وجود خطر لا أكثر و كذلك نعلم بأن الإنسان محتاج لأن

يتحمل شيئاً من الآلام والصعوبات حتى يعود له سيره الطبيعي وتفتح أمامه سبل الحياة السليمة ليواصل مسيرته.

المشاكل وتربية الإنسان

يقول العلماء بأن عالم الطبيعة هو عالم الحركة والتطور والتكامل. وكل هذه ملازمة مع حصول المشاكل والصعوبات إذ أن هذه الأمور هي التي تصقل وترتّبى روح الإنسان وتصهر جوهره لتعيده صلباً قوياً يمكنه ان يتخطى كل العقبات.

ان نفس هذه الصعوبات هي التي ربت التوانغ والعظاء إذ أن أتون الآلام هو الذي ينتج لنا العقول المفكرة.

ان الوجود الإنساني لن يكون معطاء الا اذا مرّ بمرحلة تذوب فيها الغشاوات المادية... على أثر المصاعب ليجد له طريقاً من الأعماق المظلمة الى الخارج ويصل بالتالى وخلال مسيرة جادة الى الهدف المنشود.

إنّ الرجال العظاء هم الذين مروا في حياتهم بعمليات مدّ وجزر ورأوا المشاكل والأزمات الكثيرة... ومالم تحرق النار عود البخور فإنّ الروائح الطيبة سوف لن تعبق.

يقول شاعر فارسي:

«قَوْلِ مَطْبُوعِ أَرْدُونِ سُوزِنَاكِ، اَيْدِ كِهْ عُوذِ»

چُونِ هَمِي سُوزِدِ جَهَانِ آزِ وَيِ مُعَطَّرِ مِشَوَدِ»

ويقصد — أن الحديث الواقعي الطبيعي انما يصدر من قلب محترق

تماماً كالعود لن تفوح منه رائحة المسك فتملأ الدنيا إلا إذا احترق.

وقد كان نابليون يقول «ان الشدائد والآلام تصنع من ذهن

الإنسان ذهنًا أكثر تفتحًا وعطاءً».

ان الصعوبات والحوادث المرة تعتبر أحد العوامل المنبهة للطاقات الإنسانية الكامنة. حينذاك يستطيع الإنسان ان يحصل على الإنتصارات في مختلف المجالات المادية منها والمعنوية والعلمية والصناعية وتزيد منها شيئاً فشيئاً.

وهذا الأمر هو الذي يفسر لنا سرّ كَوْنِ أكثر العظماء من أعماق الطبقة الكادحة... لأنهم لا قُوا في مثل تلك الحياة الصعبة الصعوبات والعقبات ما خلق في أنفسهم قوّة أكبر لِمُواجهتها ومن ثمّ الإنتصار عليها و طى طريق العظمة.

وهنا أيضا يقول الشاعر الفارسي:

«تَا نَبِيئِنْد رَنْجِ سَخْتِي مَرْدِ كِي گَرْدَدِ تَمَامِ
تَا نِيَايِدْ بَاذْ بَارَانْ كُجَا بُوِيَا شَوْدِ».

ليؤكد على:

أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَكْمَلُ إِلَّا إِذَا مَرَّ بِالْآلَامِ وَالْمَصَاعِبِ، كَالرَّوْدِ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْزِلْ، الْمَطْرُوتِ هَبَ الرِّيحِ فَلَنْ يَفُوحَ أَرْيَحَهُ.

إنّ تاريخ العلوم والحضارة يؤكد لنا ان تقدّمهما كانت تصحبه الشدائد والآلام، إذ أنّ نفس هذه الشدائد هي التي تدفع الإنسان للحصول على وسيلة للخلاص فالحاجة أم الإختراع اذ تدفع الانسان نحو التحرك والوسيلة التي تقوده الى وضع أحسن...

وعلى هذا فإنه من الخطأ الفاضح ان يُطلق بعض الأشخاص غير المطلعين على دور هذه الشدائد في الحياة إسم «الشر».

مقياس الخيرات والشّرور

ان نقطة الخطأ عند الأريين القدامى تكمن في أنهم كانوا يعتبرون البرودة والحرارة والحيات والحشرات اللاسعة وغيرها، من انماط الموجودات الشرية لأنهم جعلوا أنفسهم هم مقياس للتمييز بين الخيرات والشّرور في الكون ككل.

في حين أننا لا يمكننا ان نجعل ربح الإنسان ولذته وخسارته وألمه مقياساً لذلك بل يجب ان نلاحظ دور كل شيء في نظام الحلقة الكوني. ان نفس البرودة والحرارة كانتا بالنظر الخاطئ القصير لذي هؤلاء من الشّرور في حين أنها في نظر العالم الطبيعي الذي يلحظ الكون ككل من الصّروريات الحيائية المفيدة جداً لتكامل الاحياء والنباتات. إن أسلوب هؤلاء في التفكير يشبه تماماً ما لوتصورنا ان التمثل بدأ يفكر في الإنسان ومصنوعاته فيحكم بأن الإنسان لا أثر له سوى سحق التمثل وإفناؤه أو أن يقول بأنه مادامت الطائرة أو السيارة غير مفيدة لنا فأنها عديمة الفائدة أو مضرّة.

ترى لو أن التمثل بدأ يفكر هكذا حول الإنسان فهل يمكننا أن نجيزله ذلك؟ ولكن ما هو سر الخطأ في تفكيره هذا؟ أليس لأنه قائم على أساس جعل المصالح والمفاسد الشخصية مقياساً للخير والشر. إن هذا الأسلوب من التفكير يشبه أيضاً ما لواعترت الأقوام الساحلية التي تتواجد في سواحل المحيط الهندي بخار الماء الذي يحول جو مناطقهم الى جوّ خانق رطباً، من اقسام الشّر باعتبار أنه يعيق عليهم تنفسهم ويشل من فعاليتهم... فهل هذا المنطق منهم يعتبر صحيحاً خصوصاً إذ لاحظنا الآثار الحيائية الكبرى لمثل ذلك البخار الذي يمر على

البلدان الجافة فيروها ويغمرها بالخير العميم فترتوي الأشجار ويستحسن الجوف يضمّن حياة الملايين من أفراد الإنسان؟
 وهنا أيضا يكمن الخطأ في تفكير هؤلاء في انهم جعلوا مصالحهم الخاصة مقياساً للخير والشر ولم ينظروا إلى النظام الكلي للوجود.
 إننا بملاحظة ما سبق نصل إلى هذه النتيجة وهي أنه لا ينبغي لنا بمجرد أن ألقينا نظرة سطحية على شيء ان نحكم عليه بأنه لافائدة فيه أو أنه شر بل يجب ملاحظة دور خواصه وآثاره في مجموع النظام الكوني العام لا في زماننا الحاضر فحسب بل في جميع أدوار التاريخ الإنساني بما يشمل المستقبل أيضا ومن ثمّ نحاول الحكم عليه.

إله خير وإله الشر

لحد الآن توضح خطأ الفرس القدامى الذين كانوا يعتقدون بالهتين أحد هما للشر ويسمى (أهر يمن) والآخر للخير ويسمى (يزدان) على أساس انقسام الموجودات في العالم إلى هذين القسمين ذلك لأنهم و دون أن يلتفتوا ويتعرفوا على فلسفة وجود هذه الموجودات والحكمة من وراء ذلك، و دون أن يأخذوا بعين الاعتبار نظام الخلقة العام قد قسموها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى جعلوها مخلوقة لإله الشر والثانية لإله الخير و تصوروا بأن المعركة قائمة دائماً بينهما أي بين الإلهين فيقوم (أهر يمن) بالأعمال الشريرة في قبال (يزدان)¹.

١- ما يقال من ان (أهر يمن) ما هو إلا الشيطان (إبليس) الوارد ذكره في القرآن ليس..

وهكذا نراهم يخوفون الناس من الغيلان والأرواح الشريرة حتى أنهم اعتقدوا بأن (غول الموت) قد دخل الى الماء ولذا فهو يقيد يدي الإنسان ورجليه و يخنقه بالتالي ولهم في هذا المجال عقائد خرافية اخرى تلقى على حياة الإنسان ظلالة من الرعب والوحشة^٢.

فلم يكن اولئك يتبعون — اذن — أسلوب المفكرين في الحكم و إنما كانوا يتبعون مصلحتهم و أرباحهم الشخصية و يجعلونها مقياسا للخيرات و الشرور في الكون.

إن المحققين في تاريخ ايّ شعب كان قديكونوا مشكورين على تحقيقهم و كشفهم عن بعض المجاهيل ولكن ذلك يجب أن لا يكون مدعاة لخلق الحقيقة المنطقية و نشر العقائد الباطلة و إسكات صوت الحق. اننا يجب ان نعتز بالإسلام العظيم الذي نور الأمم بنوره العميم و منحها نظرة رائعة أخرى و نتبع أساليبه المعطاءة متجنبين كل صوت حاقد يدعو تحت اي اسم الى تركه و الرجوع الى عهد الخرافة.

ان الأمة المسلمة تعتبر النار كسائر الموجودات مخلوقة لله تعالى... كما انها لن تخاف من تلك الغيلان الخيالية الخرافية التي صورها اولئك... انها تنظر الى العالم على اساس انه عالم خير متناسق و انه انما بدأ سيرته على اساس من الرحمة التي تنبع من الله الواحد الرحمان الرحيم... و تعتبر مسألة (يزدان و أهر يمن) من الخرافات الجاهلية.

بصحيح على الإطلاق إذ أن الشيطان مخلوق أولاً ثم انه لا يستطيع عمل اي شيء و ايجاده و لذا فإنه لا يستطيع ان يحارب الله تعالى.

٢ — «ونديدا اوستا» الفصل الخامس ص ١١٨.

على أنه يجب أن نلتفت إلى أننا لن نمنع مطلقاً و كما أشرنا من قبل
من أن تقوم تحقيقات علمية للإطلاع بشكل أكبر على عقائد الأمم السابقة
ولكن لغرض الإصلاح وكسب العبرة لاغير.

الدّرس الثالث عشر

الله العادل

نظرة الى الدروس السابقة

قرأنا وتعلمنا أنّ:

١- الوجود ونظامه العجيب. أصدق شاهد على وجود خالق عليم

قدير.

٢- عِلم الله تعالى وقدرته لا يمكن ان يقيمها تفكيرنا المحدود...

إذ أنّ ما نعلم به ونحسه في هذا الكون انما هو جزء يسير... من عالم جليل عظيم للخلقة يحوي ما لا يحصى من جوانب العظمة التي يشكل كل منها شاهدا حياً على قدرته وعلمه اللانهائين.

٣- الله غني مطلق وغير محتاج الى اي شيء في قبال الإحتياج

الدائم لباقي الموجودات.

٤- نعمة الله تعالى تفيض دائماً على عباده نظراً لرحمته المطلقة

فهو تعالى يقول:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١.

و الآن... نحن نسأل... هل يصدق العقل ان الله يظلم... مع كل هذه النعم التي اعطاها لجميع العباد؟! اننا نعلم ان الظلم حصيلة، الجهل، والعجز، وطلب الرئاسة و أمثال ذلك... وكل هذه الأمور لا مجال لها في ذات الله المنزهة. ولو كنا بصدد البحث عن العوامل الجذرية للظلم لوصلنا الى العلل التالية:

١- الخوف من الانهيار

ان صاحب العمل الذي يخاف من الانهيار الإقتصادي و ذهاب المنافع مع افتتاح مصنع آخر... يحاول بما يمكنه من وسائل ان يحطم منافسه الا ان يكون ذا وجدان يقظ وإيمان قوى.

٢- الحرمان

يمكن ان نتصور إنسانا يشس من استرداد حقوقه فإنه تعتريه حالة متطرفة للقيام بمختلف الأعمال التي يحتمل ان تصيب خصمه بخسارة من نوع مالكي يعوض عن حرمانه.

ان رد فعل الحرمان في بعض الأشخاص يمكن ان يتحول الى شكل جنائى... فهم نظراً لعدم وصولهم الى غاياتهم يفتعلون الحوادث مثلاً وقد يلتذون بقتل و حرق الطبقة المظلومة... و تتحول انات المظلومين في نظرهم الى نشيد مطرب...

٣- الجهل

ان القوانين الوضعيية التي وضعها الفكر البشري القاصر تحوي

الكثير من الموارد التي تشكل ظلماً وخرقاً للعدالة... وذلك نابع من ان العلم البشري محدود بمحدوده المادية في حين يقع عالم مليء بالمجهولات خلف حدود إدراك الإنسان.

ان جزءاً من انواع الظلم المححف الخائق ممانشاهده من نظرة و تعامل مع الجنس البشرى الأسود، نابع من هذا السبب.

فهناك عدة من اولئك الذين تصوروا أنهم وصلوا الى الحقيقة ظنوا أن الفضيلة والعظمة ترتبطان بلون البشرة ولذا فيجب ان يعيش البعض صنوف الحرمان نظراً للون بشرتهم... في حين ان ميزان الفضيلة والعلو هو العلم و الصفات الإنسانية العالية... والأسود والأبيض في ذلك سواء.

ان الأمور السابقة و امثالها التي تنبع من منيع الجهل والعجز هذه الأمور لا مجال لها في ذات الله الطاهرة...

فهو العالم المطلق والقادر المطلق، وليس يحتاج لأي شيء حتى يخاف من فقدانه... وعليه فلا معنى لتصور صدور الظلم منه.

فالمسألة اذن مسألة واضحة جدا... اما اولئك الذين يشكون فيها... فالدافع لهم هو عدم توجيههم لما قلناه أو أنهم لم يدركوا معنى العدالة.

ماهى العدالة؟

العدالة هي اعطاء كل شيء حقه وعدم التمييز بين الأشياء بدون جهة فشلا: لو عينت المدرسة درجة للنجاح والصعود من صف الى صف آخر فكل من حصل عليها كان له الحق في النجاح... وفي هذا المثال ليس ينبغي لمدير المدرسة ان يفرق بين الطلاب بدون سبب فيمنح احدهم حق النجاح في حين يحرم الآخرين... فع انهم حصلوا على تلك الدرجة،

يحرّمهم حقوقهم من الاستفادة من الصف الآخر... فخلق ذلك التمييز بينهم ظلم.

أما فيما إذا لم يكن في البين حق وإنما كان المجال مجال انعام و تفضل فإن جعل بعض الفروق بين الذين انعم عليهم لا يعد من الظلم مطلقاً.

ولنضرب لذلك مثلاً بشخص أراد أن يستضيف بعض المساكين فإذا اختار جماعة منهم دون غيرهم، أو إذا فرق من حيث الإهتمام بين المدعوين فليس بظالم... لأنهم لم يكونوا ذوى حق حتى يستحقوا أي حق... بل إن كل شيء يعطونه يعدّ تفضلاً وإنعاماً.

إن رعاية المساواة إنما يكون إلزامياً فيما إذا كان للجميع حق واحد مشترك، أما فيما إذا لم يكن هناك أي حق فلا معنى هنا للمساواة وجعلها رمزاً للعدالة... فالتمييز والحالة هذه لا يعد ظملاً وعدواناً.

وعلى هذا فإن هؤلاء الذين يشكون باننا نجد تمييزاً وتبعيضاً بين الموجودات الكونية، وأنه لماذا هذا الاختلاف؟ ولماذا لم يخلق الله الجميع على حد واحد وبدون أي اختلاف...؟ ويجعلون ذلك اشكالا على العدالة الإلهية مخطئون.

وذلك لأنه إذا لم يخلق الله أحداً أصلاً أو أنه إذا اختلفت نعمته على الأفراد والموجودات فإنه لم يمنع أي شخص حقه ليكون ذلك ظملاً. ولكن لأن الله عليم حكيم ولا يفعل كل شيء بلامصلحة و سبب فإن السؤال عن علة هذه الاختلافات في محله.

ترى هل إن هذه الأنماط من التفاوت لازمة لهذا الكون؟
أو أنه كان من الأفضل أن لا يوجد ذلك الاختلاف؟

هذه تساؤلات نحاول ان نجيب عليها في الدّروس التّالية — ان شاء الله تعالى.

الدرس الرابع عشر

سرّ التفاضل والاختلاف في حياة الإنسان

سرّ الاختلاف في عالم الخلق

لا بد وأنكم قد سمعتم باسم السفينة الفضائية «ابولو» والتي تعتبر نموذجاً جامعاً محيراً للتقدم الرائع في المجال العلمي والتكنولوجيا. لقد تجاوزت السفن الفضائية بالإنسان أجواء الفضاء ومدت من خطوته القصيرة حتى جعلته يحط على القمر... وفتحت له ابواب عالم مجهول.

وإذا لاحظنا هذه السفينة وجدناها مركبة من مجموعة ضخمة من القطع الصغيرة الكثيرة والأجهزة المختلفة حجماً وتعقيداً من مثل سفينة القيادة، السفينة الأم، الكبسول الفرعي الهابط على القمر، جهاز الصعود، منابع الطاقة أجهزة الإرسال والإستقبال والتوجيه، التوربينات المولدة للكهربائية، أجهزة الأمان، والوسائل الكافية للتغذية، الماء والمواد الأخرى، وغير ذلك من الأجهزة... ولكل منها عمل خاص تقوم به. ومن الواضح انه لو لم تكن تلك الأجهزة المختلفة وذلك الاختلاف في الأجهزة لم تولد ابولو ولم توجد، ولم تستطع ان تتغلب على مختلف مشاكل الطريق الطويل الصعب لتقطعه وفي قلبها الملاحان.

والذي حصلنا عليه بعد ملاحظة المثال السابق هو أن وجود الاختلاف أمر ضرورى فى أية مجموعة متناسقة مترابطة. والأن فلنلق نظرة على عالم الوجود لنعرف ان الاختلاف والإنحاء والإستواء فى هذا العالم لم يكن عبثا وبلا سبب. ولاريب فى أن الجمال والتعقيد فى العالم معلول لذلك الاختلاف فى أجزائه.

ولو كان العالم على شكل واحد وبمستوى واحد تماما ولم يكن فيه كل هذا الاختلاف فى الأشكال، الموسع للنظرة والخالق للفكر والمهيج للشعور فلا معنى اذن لوجود الإنسان... الذى يشرب الماء، ويطبخ النبات ويأكله... ويتعلم الحركة من الأمواج المندفعة، والوقار والسكون من السكوت الطاهر للصخور المتواجدة بعيداً، والتفتح من البراعم الربيعية البيضاء والظهاراة من سحر الليالى الربيعية التى ترش الطل على حدود الورود والمرونة والسهولة من الغدران والتواضع من الجداول المترققة. اذن فوجود الكون وجماله معلول لوجود هذا الاختلاف، وهذا الاختلاف لا يمكن ان يقال انه عبث كما لا يمكن ان يقال بأنه مخالف للعدالة.

ان مخالفة العدالة هى ان توضع قوانين غير متساوية فى ظروف و شرائط متساوية تماما.

وقد نهبنا فى الدرس السابق ان الظلم انما يتصور فى مورد يكون لمجموعة معينة الحق فى الإستفادة المتساوية من شىء معين ولكنهم يعاملون بشكل متفاوت فى هذا المجال.

اما اجزاء عالم الوجود فلم تكن تملك وجوداً قليباً ولم يكن لها

بالتالي اي حق مسبق لتكون التفرقة والتمييز بينهما موجبة للظلم.

و يجب القول بأنّ عالم الخلقه انما يشكله هذا الإختلاف نفسه.

فلو لم يكن هناك اختلاف لم يكن هناك عالم، ولم يكن هناك أكثر من عنصر واحد... إن هذا الإختلاف في الخلقه هو الذي يوجد: الذرات، المنظومات، المجرات، الأشجار، النباتات، والحيوانات.

والآن لننظر الى الإختلاف الموجود بين افراد الإنسان.

فاختلاف افراده داخل في دائرة الإختلاف العام... فاذا أشكل

البعض بانه لماذا كل هذا الإختلاف في الذوق و الذكاء؟ وقيل بانه لِمَ لم يكن الجميع متساويين في ذلك؟. وجب ان يشكل بانه لم لم يمتلك الجماد ايضا ذوقا وذكاء؟!.

ولكن الواقع انه لا اشكال في أى من الموردين اذ الإنتقاد و

الإشكال انما يأتي في المجال الذي يضيع فيه حق معين... في حين ان الموردين كليهما لم يكونا موجودين سابقا ليكون لهما اي حق فرضا ويكون التفاوت و التفریق بينهما مخالفا للعدالة.

والسقطه الأخرى التي يجب التوجه اليها هي ان الله تعالى كلف

كل فرد والزمه بتكاليف تتناسب مع استعداداته وطاقاته ولم يكلف نفسا بغير وسعها الجسمي و تقبلها الذهني وهذا الأمر يعبر عن واقع العدالة.

و كمثال على ذلك لو أن مدير ثانوية ما وضع أسئلة هي

في مستوى الصف السادس الثانوي لطلاب الصف الأول فإن ذلك ظلم و لكنه لو طلب حل المسائل الرياضية السهلة من الصف الأول وحل المشاكل الجبرية المعقدة من طلاب الصف السادس فانه ليس هناك اي

أحد ينسب له الظلم بل يعتبر في هذا المجال عادلا بتمام معنى الكلمة.
وعلى هذا فلو أنه نظر الى الموجودات المختلفة بعين واحدة وحملهم
مسؤولية واحدة فإن الإختلاف في خلقهم خلاف العدالة.
ولكننا قلنا بأنّ المسؤوليات هي في مستوى الإمكانيات فلا ظلم
اذن في هذه الصورة.

فلو أردنا من مسمار صغير في السيارة ان يقوم بواجبات محركها فان
ذلك خلاف العدالة ولكن لو اردنا من كل شيء وظائف تتناسب مع
قدرته فإننا قد اقرنا العدالة.

علاوة على هذا ولأننا نعتقد بأن الله تعالى حكيم وانه لا يوجد أي
شيء بدون مصلحة، وان هناك نظاما رائعا يحكم هذا الكون بحيث ان
كل نقطة من نقاطه لم توضع في محلها إلا وفق حساب دقيق وقد أشرنا في
الدروس السابقة الى انه ليس هناك أي شيء في الكون وجد عبثا و
بلا فائدة... و اذا بدت بعض الموارد وكأنها عديمة الفائدة في نظر بعض
السطحيين... فالواقع هو أن هذا الفهم معلول للجهل وقصور الفكر فليس
عدم الوجدان دليلا على عدم الوجود.

والرجل السعيد هو الإنسان الذي يستفيد من كل الظروف في
مواصلة سيره التكاملي، فإن كان غنيامد يده الى الفقراء والمساكين
واليتامى وساعدهم على مواجهة الحياة وخطى في طريق تكامله خطوات
أخرى وعاد ذاروح عظيمة انسانية، وان كان يستطيع بدلاً من ذلك ان
يصرف امواله في مجال اسهل وألذ ماديا بلا أن يكتسب اي درجة تكاملية.
وان كان معدما ينمى في نفسه الصبر والقناعة والعزة ويحطم صخرة
المشاكل بساعد العمل والنشاط والتحمل بدلاً عن التجاوز والتعدي على

اموال الآخرين و حقوقهم .

فكل مراحل العلو و الهبوط في هذه الحياة تعتبر طريقا للتكامل فيجب ان تتحول قمة الطريق و مضائقه الى خطوات على هذا الطريق .
و لسنا نقصد ان يلقي الإنسان نفسه في المصاعب و المشاكل و الفقر... اذ يعتبر ذلك عملا قبيحا اذ اننا لم نستفيد من الإستعدادات و الإمكانيات التي منحنا الله اياها، بل نقصد الى اننا لوقنا بكل ما يمكننا من سعى و عمل و لكننا لم نوفق في الوصول الى شيء أو أن الأمر انتهى بنا من حالة الثراء و الراحة الى حضيض الفقر و الصعوبة فيجب و الحالة هذه ان لانياس و انما نعلم بأن كل حالة من الحالات، العلو و الهبوط و الراحة و الصعوبة تعتبر ميدانا جديداً للتجارب الروحية التي يجب ان نستفيد فيها من تلك الحالة بإعمال فكرنا الدقيق نمواً و تقدماً و تكاملاً .
ان اولئك الذين يمتلكون مثل هذا المنطق الحياتي لا يرون في اي جانب من جوانب الحياة و لا في اية حالة من حالاتها أي خلاف للعدالة و المصلحة... و يعتبرون انفسهم منتصرين في مختلف الحالات .

يقول القرآن الكريم في هذا المجال :

«وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ»^١.

إن الهدف من التجربة الإستفادة من الشروط الموجودة... فكل حالة تعرض للإنسان انما هي لتكامل روح الإنسان و هذا هو عين اللطف و العدل .

كانت هذه هي فلسفة الإختلاف و انماط الصعود و الهبوط التي لا تتنافى مطلقاً مع مبدأ العدالة الإلهية.

ولو أننا لم نستطع العثور على فلسفة شيء معين من حوادث الكون فلا معنى لوصف حالته بصفة الظلم وذلك لأنه موجود و مخلوق الخالق لا مجال في ذاته لأتى ظلم.

و هذه حقيقة رأيناها بوضوح في ملامح الحوادث التي عرضت لنا وللآخرين... فكم من حادثة تصورناها مضرّة ولكن جمالها وفائدتها تبينت لنا بعد لأي من الزمان.

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم «وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^٢.

الدّرس الخامس عشر

دور الأنبياء في قيادة البشرية وهدايتها

لأَيِّ شيء خلق الأنسان؟

هل أن الله خلق البشرية ليكون أفرادها في مجال الإنتاج أشبه
شيء بالقطع الصّغيرة في آلة صناعية كبيرة... فيكون الهدف مجرد وجود
الإنسان الصناعي لاغير؟!

هل أن خلق الإنسان كان فقط لينال لذاته و ينعم بها؟

وهل أنه خلق لأجل ان يكسد الثروات من شتى الطرق
الواضحة منها والخفية... وذلك لإشعال مصباح حاجاته المادية فحسب؟
ثم... أليست هناك فكرة أسمى في الين؟

لقد تصوّر الكثيرون ممن لم يصلوا إلى عمق الواقع الإنساني ا ولم
يقيموه كما هو عليه... ان كل ما في الإنسان هو هذه الجوانب المادية...
غافلين او متغافلين عن الجوانب القيمة الأخرى.

اما العلماء الإنسانيّون المطلقون فهم يقولون بأنّ الإنسان ذو أبعاد

ثلاثة:

١- الحياة الشخصية المادية.

٢- الحياة الاجتماعية.

٣- الجانب الروحي المعنوي.

فاولئك الذين ركزوا أنظارهم على البعد الأول وقالوا بالحرية المطلقة و ان كانت هذه الحرية مضرّة بالإنسان هؤلاء غفلوا عن الشخصية الإنسانية الرائعة لأنهم غضوا النظر عن البعدين المهمين الآخرين. و كذلك اولئك الذين ركزوا على البعدين الأولين و لم يلتفتوا الى الثالث فهم يوجدون جواً عديم القيم الأخلاقية والمعنوية الأصلية. يقول «توين بي» العالم الإجتماعي والمؤرخ الإنكليزي الكبير في مقابلة له مع مندوب مجلة «لايف»:

«لقد سلمنا انفسا للطبيعة المادية فحصلنا في النتيجة على الإكتفاء في جانب الحس المادي ولكننا عدنا فقراء محتاجين من حيث المعنى والروح؛ ولكني أعتقد أن الفرصة مازالت سانحة لكي نعود من ذلك الطريق و نلجاء الى الدين»^١.

فالباحث المتعمق الدقيق الملتفت الى النتائج يعلو على البعدين الأولين ويلاحظ الإنسان والهدف من خلقته من خلال الأبعاد الثلاثة. و ذلك لأنه و طبقاً لملاحظاتنا الذاتية وشهادة كبار العلم و الفلسفة فإن البعد الثالث يمكن ان يمنح الإنسان القدرة على التخطيط الناجح للدخول في ميدان الحياة الشخصية والاجتماعية والخروج منها بالظفر والكمال... والتصور الصحيح هو هذا الاخير...

١- نقلنا عن مجلة «مسائل ايران» سنة ١٩٦٩.

فعلى الإنسان ان يعرف الطريق الى تكامله في مختلف الجوانب لأنه خلق اساسا لهذا الهدف.

والآن يثور هذا السؤال وهو:

هل بإمكان الوجدان والفترة ان يقودا الإنسان الى التكامل في جميع الأبعاد؟

ولأجل معرفة الجواب يحتاج الأمر الى شيء من التحليل:

الوجدان والفترة

ينكر البعض من علماء النفس وجود الوجدان ويعتبرون مانسميه بالوجدان والفترة من نتائج وآثار التربية في اوائل مراحل الطفولة وفي قبال هؤلاء يقف مفكرون كبار مثل «جان جاك روسو»^٢ فيعتقدون بوجود قوة خفية في اعماق الوجود البشري تستطيع ان تميز الخير من الشر. ان الأطفال الذين لم يتأثروا بعد بالمحيط ولم ينحرف وجدانهم بعد يدركون اصالة الخيرات والشرور وهم يعلمون بأن الخيرات والشرور ليست من الأمور التي يتوافق عليها الناس.

نحن نقبل ان بعض الأشياء الحسنة والقيحة تابعة للعادات والرسوم وذلك من مثل لبس بعض انواع اللباس، واكل بعض انواع الغذاء وغير ذلك اذ في نفس الوقت الذي تكون فيه حسنة هناتكون قبيحة هناك... ولكن كل شخص احتكم الى العقل وامتلك شيئاً من

٢- يقول روسوحتى لو فرضنا اننا لم نستطع بطبيعتنا ان ندرك اصل الوجدان و ماهيته. لكن هناك شيئاً في اعماقنا يشهد باناه موجود فينا حتماً (اميل الصفحة ٢٠٧).

الحكمة لا يستطيع مطلقاً ان يرجع كل الخيرات والشّور الى هذه المجموعة و ذلك لان الأمانة والعدل والوفاء بالعهد ومساعدة المحتاجين وخدمة المجتمع، والأخوة والمساواة وغير ذلك... مما له جذور عميقة في اعماق الإنسان ووجدانه في حين ان الظلم، ونقض العهد، والخيانة والأنانية وغيرها اعتبرت وتعتبر قبيحة في كل المجتمعات وفي مختلف الأزمنة ولا يمكن ان يجعل قبورها نتيجة توافق وعقد اجتماعى .

فيجب الاعتراف بالوجدان والفتنة ولكن مع هذا الإلتفات اللازم وهو — ان الوجدان لا يستطيع بمفرده النهي الى الإنسان بشكل كامل، ذلك لأن الوجدان يحتاج الى تربية خاصة، وهو كالمعادن يحتاج الى عملية كشف واستخراج والآفهو يختلط بالإنحراف ويقع تحت تأثير الأجواء الفاسدة حتى يصل الأمر ببعض علماء النفس الى عدم معرفته و انكاره.

والشاهد الصادق على هذا المدعى هذه الأخطاء الفضيعة الكثيرة لأفراد البشرية... إذ ان هداية الوجدان لو كانت كافية لوحدها لفتح كل الطرق أمام الإنسان و ايصاله الى منبع السعادة لما وقع الإنسان في خضم من الإشتباهات، وراح تائهاً متحيراً هكذا في حياته.

نعم لم يكن الوجدان قادراً على ذلك. كلا. ولا الأفكار الإنسانية مهما خلقت وتعمقت فانها أعجز من حل هذا المشكل. وهذا هو السر في احتياج الإنسان الى هداية الأنبياء.

الإيدولوجيات الإنسانية

لقد فكر الإنسان في النظام الإجتماعي وطرح نظريات كثيرة

لمعرفة النظام الأصلاح للمجتمع والفرد وذلك منذ عدة قرون قبل المسيح الى اليوم ولكن لأن الإنسان لم يكن مطلعاً على كل أسرار السعادة و تكامل مختلف الجوانب فيه، ولأنه يجهل الكثير فانه لم يستطع ان يتوصل الى النظام الأصلاح الذى يشبع كل حاجاته المادية والمعنوية بشكل عادل و يحقق كل مقتضيات الواقع الفطري للإنسان.

يقول الدكتور (بيلر بروز): قبل سنوات مضت سمعت «انيشتاين» في برنستون وهو يقول: ان العلم يطلعنا على ما هو موجود ولكن الدين والوحي هو الذى يطلعنا — لوحده — على ما ينبغي ان يكون^٣.

ويقول فيكتور هوجو: كلما ترقى الإنسان و تطور كان احتياجه للدين اكثر^٤.

والإشكال المهم الآخر الذى يجعل العقل البشري لوحده قاصراً عن منح السعادة للإنسان هو:

اننا لو فرضنا له من القدرة بحيث يستطيع ادراك النظام الأصح كاملاً فانه يفتقد ضمانة التنفيذ... فنحن نرى الكثيرين من الناس ادركوا تماماً بالبراهين العقلية والعلمية مضار الخمر والقمار والسرقة والجناية وغير ذلك... ولكنهم مبتلون بالإتيان بتلك الأمور في نفس الوقت.

٣— كتاب فائدة ولزوم دين (فارسي) ص ٥ نقلا عن (الثقافة الإجتماعية) ومقال

الدكتور بيلر بروز تحت عنوان (العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام).

٤— نفس المصدر ص ٢ نقلا عن كتاب (آيين سخنورى) ج ٢ لذكاء الملك

فروغى.

و هانحن نرى اليوم الأمم المتحدة باعضائها من امم العالم مازالت اعجز ما تكون عن تطبيق المنشور الذي صادقت هي عليه... و مازالت بعض مقترحاتها و هي لا تتجاوز مجال الكتابة لاغير... ولكن لماذا ذلك؟ ان ذلك نابع بلاشك من ان العقل البشرى لوحده لا يمتلك ضمانة التنفيذ... فلا يلتزم هو نفسه بما آمن به واقتنع بصحته.

اما الأنظمة السماوية فلا يتطرق اليها احتمال الخطأ والإشتباه لأنها تنبع من منبع العلم اللامحدود... بالإضافة الى ان المبشرين بها هم الأنبياء الأطهار مما يترك اثراً أعمق في النفوس.

هذا مع ملاحظة ان الجزاء الذي قدر في تلك الأنظمة على فعل الواجبات و ترك المحرمات او العكس يجعلها تمتلك ضمانة عملية رائعة فالعقل اذن لا يمتلك لوحده ضمانة التنفيذ الا ان تسند ادراكاته و تؤيدها قوة غيبية.

و لهذه الجهة فإن الوجدان والتفكير لا يستطيعان ان يقودا الانسان نحو سعادته الواقعية وانما يشكلان ارضيتين مساعدتين لتأثير الوحي و تقبل الأنظمة الألهية التي يحملها الأنبياء... فهما اذن محتاجان لعملية تربوية سماوية توجههما الوجهة الصحيحة و تدفعهما للعمل لصالح التكامل الإنساني المنشود.

يقول أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام في اول خطبة من نهج البلاغة فبعث فيهم رُسُلُهُ وواتر اليهم أنبياء ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكروهم منسي نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول^٥.

٥ — نهج البلاغة ص ٢٤ من شرح فيض الاسلام.

ثم انه لو فرضنا ان الإنسانية تستطيع ان تدرك النظرية الصحيحة و لكن هل يترك المصلحيون والأقوياء والمترفون تلك النظرية على صفائها لتصل الى الناس فيميزوا بين الحق والباطل... انهم ولجورد مخالفتها لمصالحهم سيعملون بكل جد على تشويه صورة تلك النظرية و معطيائها... لأجل الوقوف بوجه الفهم الصحيح لها من قبل الناس و اتباعها بعد ذلك.

و على العكس فالقوانين الإلهية يمكن ان يدرك الناس صحتها بكل سهولة نظراً لاقترانها بالمعجزات وعلامم الصدق التي يجربها الله تعالى على يد الأنبياء فيلجأون بالتالي الى الأنبياء... فإن للأنبياء الحجة الواضحة تماماً على جميع الناس وحتي اولئك المنكرين فإنهم لا يستطيعون التذرع بأية وسيلة لأجل التخلص من طائفة المنطق والواقع.

ضرورة بعث الانبياء

لما آمننا بأن:

ا- التكامل من جميع الجوانب الشخصية والاجتماعية والمعنوية من أهداف خلق الإنسانية.

ب- الفطرة والوجدان لا يكفيان لوحدهما لهداية البشرية نحو الكمال.

ج- ان التفكير والنظريات الإنسانية لا تستطيع ان تلبى كل الحاجات الإنسانية الواقعية بشكل كامل اولاً، وانها لا تمتلك ضمانة التنفيذ ثانياً.

د- بعثة الانبياء وثبوت نبوتهم يجعل الحق واضحاً للجميع ولا

يدع مجالاً للتذرع بالجهل وعدم معرفة الطريق من قبل اى احدٍ .
لما آمننا بكل هذا فقد توضحت لنا ضرورة بعث الانبياء بالنسبة
للتكامل الإنساني و ان ستر اختيارهم (ع) هو هداية البشرية الى اشباع ما
تحتاجه في سيرها التكاملي لتخطوفي طريق سعادتها الواقعية... ولا يمكن
ان نتصور ان الله تعالى وهو الحكيم خلق الإنسان وتركه بدون برنامج و
قانون و تكليف في هذا العالم، اوسلم امره بيد من انخرقوا من صراط الحق
و الأقوياء ليجعلوه الى مصالحهم الباطلة و يمنعونه بالتالي من مواصلة مسيرته
التكاملية. يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتاب الشفاء: فالحاجة الى
هذا الإنسان في ان يبقى نوع الناس و يتحصل وجوده أشد من الحاجة الى
اثبات الشعر على الأشفار و على الحاجبين، و تقعر الأخص من القدمين، و
اشياء اخرى من المنافع التي لاضير فيها في البقاء بل اكثر ما لها انها ينفع
في البقاء و وجود الانسان الصالح لان يسن و يعدل ممكن كما سلف
منا ذكره فلا يجوز أن يكون العناية الاولى يقتضي تلك المنافع ولا يقضى
هذه التي هي أسهاً.

و يروي لنا هشام بن الحكم ان الإمام الصادق عليه السلام قال
للزنديق الذي سأله من اين اثبت الأنبياء و الرسل؟: انما اثبتنا ان لنا
خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكما
متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسه، فيباشروهم و يباشروه، و
يحتاجهم و يحاجوه فيسألوه عن واجباتهم، ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون
عنه الى خلقه و عبادته و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم
في تركه فناؤهم. فثبت الأمرون و الناهون عن الحكيم العليم في خلقه

والمعبرون عنه جل وعز وهم الانبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه
 حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس — على مشاركتهم
 لهم في الخلق والتركيب — في شىء من احوالهم مؤيدين من عند الحكيم
 العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان ما اتت به الرسل
 والأنبياء من الدلائل والبراهين. لكيلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه
 علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته^٧ ومن الطبيعي ألا تكون النظم
 السماوية قد ركزت على جانب معين دون غيره... وانما هي تتناول
 الانسان من جميع الجهات المرتبطة به من مثل — الحكم. العدالة.
 الاقتصاد. الحكمة. الطهارة. الشرف. الأخوة. المحبة. المساواة. الهداية.
 التبرية. العلم. القدرة. الوظائف الفردية. والاجتماعية. العبادات. و
 كذلك القوانين التشريعية الكلية التي توضح الطريق بالنسبة للمسائل
 الجزئية وغيرها... فانها كله ملحوظة مستهدفة في الإيديولوجيات الدينية
 مخصوصا في النظام الخاتم للنظم... ولهذا فهي تصوغ الإنسان وتبنيه
 بشكل يستطيع معه ان يتكامل في أبعاده الثلاثة الأنفة المذكورة^٨.

كما ان النظرية السماوية لا تنظر الى طبقة معينة دون غيرها بل
 هي ناظرة الى كل الطبقات ومدافعة عن حقوق كل الافراد... ومن هنا
 فان من الخطأ ما تصوره البعض حول الدين من انه من ايجاعات الطبقة
 الحاكمة والمترفين، وان الطبقات الاقطاعية او الرأسمالية اخترعته ليحفظ
 لها مصالحها الخاصة... فهو لاء في الواقع لم يطلعوا على التعاليم الدينية ولم

٧— اصول الكافي ص ١٦٨ طبع الاخذى.

٨— من الطبيعي اننا نقصد بالنظم الالهية والدينية.. تلك التي لم تحرف بل بقيت

سماوية خالصة.

يدققوا في واقعها، ان لم يكونوا مغرضين.

إن التاريخ لشاهد حي على أن طبقة الأشراف والمترفين الأثرياء لم يكن لها أى تأثير في نهضات الأنبياء بل ان الأديان السماوية كانت تحارب دائما تعديات الإقطاعيين والرأسماليين وظلمهم.

ان ستريمان القادة والعلماء والفلاحين والفقراء والآخرين يكمن في كونهم قد رأوا أن حاجاتهم الفطرية والعاطفية لن تحقق إلا في ظل نظمه الواضحة... و توضح لديهم ان الدين وحده هو الذى يستطيع ان يوصلهم جميعا الى الكمال الواقعى هذا بالإضافة الى ملاحظة ذلك التلاؤم الرائع بين ما يدعو اليه الدين وبين عقولهم وفطرتهم.

ولحسن الحظ فإن العلماء اليوم يدركون قيمة الدين اكثر من غيرهم ويعتقدون ان الراحة الحقيقية والحياة الكاملة يجب تحصيلها في ظل الدين والإيمان بالله تعالى.

ولهذا السبب نجدان حركة التحقيق والمطالعة في مجال الأديان من قبل المحافل العلميّة الرسميّة والجامعيّة في اوربا قد اصبحت اعرق و اسرع في المائة سنة الأخيرة.

ضرورة المعاجز

بعد ان توضح لدى البشرية انها لكي تصل الى سعادتها في جميع الجوانب تحتاج تماما الى هداية الأنبياء و انها تستطيع في ظل برامجهم وسعيهم لاغيران تضع أسس البناء العظيم الخالد للتكامل الإنساني... بعد ان توضح لها ذلك فانها ستحمل كل معاني الحب والإخلاص التي تقترن بالإحساس بالإيمان القلبي بالنسبة لهؤلاء المرين العظام والقادة المعصومين

المضحين.

وتصل هذه العلاقة والإيمان الى حدلا يتوقف الناس عن تقديم اي تضحية في سبيل تحقيق اهداف الأنبياء وما أكثر ما يقدمون ما يريده الأنبياء على ما تريده انفسهم.

ولكن هذا النفوذ الواسع جداً والعميق جداً للأنبياء ومحبة الناس وإيمانهم بهم أغرى البعض من المصلحين الطالبين للجاه والمقام ان تسول لهم انفسهم الخبيثة سوء الإستفادة من هذا الأمر لكي يكونوا عن طريق ادعاء النبوة اصحاب نفوذ وجاه ليصلوا الى ما تشبهه انفسهم الدنيئة.

وعلى هذا فلا يمكن — اذن — الإيمان بأى شخص ادعى النبوة و احاط به عدة من الناس كأتباع له وذلك بدون تحقيق وتدقيق في صحة مدعياته اذ يمكن ان يكون كذباً كما رأينا الكثير من أمثال هؤلاء الذين ادعوا النبوة كذباً واتبعهم بعض الضلال.

ولأجل ان يعلم صدق مدعى النبوة وواقعيته يلزم ان يأتي بشاهد على صدقه ليطمئن الناس الى قوله ويقبلوا دعوته وبهذا يمتاز ويفترق الأنبياء الواقعيين عن غيرهم.

وهذا الشاهد والعلامة التي توجب معرفة الأنبياء الحقيقيين يسمّى المعجزة ولأجل ان لا يقع العباد في الأشتباه ويتخلصوا من حبايل الكذابين والمفسدين فقد اعطى الله تعالى جميع الأنبياء المعاجز لئلا يلتبس على الناس الأمر، وتبدولهم الحقيقة ناصعة واضحة.

وهكذا فقد علمنا — لحد الآن — ان الأنبياء الإلهيين يجب ان تكون لهم معاجز ليعلم الناس انهم مبعوثون من الله تعالى وان ما يقولونه

صحيح وواقع وبالتالى فهم يطمئنون الى اقوالهم وينفذون اوامرهم و تعليماتهم على اساس من العقيدة والإيمان.

ماهى المعجزة

ان المعجزة تعنى: الأعمال التي يقوم بها الأنبياء بإرادة الله ومشيته ولأجل اثبات صحة ادعائهم الرسالة في حين يعجز الآخرون عن القيام بها. المعجزة انما تكون لإثبات الرسالة فقط

كان البعض من الناس المتعللين بكل شىء يطلبون من النبي ان يفعل كذا وكذا لالاجل اقتناعهم بصحة دعواه بل لأجل العناد و المعارضة والوقوف بوجه الرسالة... وقد وصل الأمر ببعضهم ان طلب من الرسول القيام ببعض الأمور المستحيلة عقلاً... ولكن لما كان هؤلاء الأنبياء قد قدموا المعاجز التي تكفي دليلاً طبيعياً على صحة دعواهم فانهم لم يكونوا ليلقوا بالألمثال هؤلاء... و كانوا يفهمونهم بأن وظيفة الأنبياء هى الهداية و البشارة والإنذار... وان المعاجز انما يؤتى بها باذن الله و في حال الضرورة لاغير... وهذا هو القرآن الكريم يأمر النبي العظيم بان «قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ»^١.

و كذلك يقول «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»^{١٠}.

٩- سورة العنكبوت الاية ٥٠.

١٠- سورة المؤمن الاية ٧٨.

الدرس السادس عشر

الأنبياء معصومون لماذا و كيف؟

لقد شاء الله بمقتضى رحمته وحكمته أن يختار الأنبياء عليهم السلام لكي تعرف البشرية تحت قيادتهم وهداهم الصراط المستقيم وتميزه عن طرق الضلال والهوى والانحراف، وتستطيع أن تخطو على الطريق إلى قم العلاء والكرامة الواقعية والكمال والصفات الحسنة.

ولهذا السبب أيضا فإن الله الرحمن الحكيم نزه أنبيائه ورسله عن أى معصية أو اشتباه وبكلمة مختصرة فإنه جعلهم معصومين لكي يستطيعوا أن يقودوا الإنسانية نحو التكامل الواقعي في جميع المجالات. ونحو الطاعة والتسليم الكامل لأوامر الله بلا أى اشتباه أو خطأ. وأوضح من ذلك أن نقول:

إن نفس الأمر الذي أوجب بعثة الأنبياء أوجب أن يكونوا معصومين ومنزهين عن أى ذنب وانحراف و اشتباه و خطأ وذلك لأن الهدف من بعثة الأنبياء هو إيصال البشرية إلى الهداية والتربية السماوية وهذا الهدف انما يتحقق في ظل عصمة الأنبياء والرسول إذ من الواضح أن القيام بالأعمال القبيحة والمنكرة والذنب وكذلك صدور الخطأ والاشتباه كل ذلك يبعث على نفور الناس وعدم

اعتمادهم وتشكيكهم في هؤلاء الأنبياء مما يؤدي الى عدم إمكان تحقيق الهدف المنشود وهو الهداية والتربية.

ومن الطبيعي أننا نعلم أن أي عاقل حكيم لا ينقض بنفسه ما استهدفه هو بل يراعى كل شيء مؤثر في عملية الوصول الى الهدف و تقر به.

فمثلاً لو أن شخصاً صمّم على عقد مجلس يحتفل فيه بمناسبة ما... و رغب في أن يحضر الوجهاء المعروفون في ذلك المجلس، و علم بأنهم لن يحضروا إلا إذا أرسلت اليهم دعوة خاصة وبشكل معين، فمثل هذا الشخص سوف لن يرسل اليهم رجلاً يتنفرون منه بل يسعى لكي يهتبيء الدعوة بشكل يقبل معه الجميع دعوته، وإلا فإن عمله لن يعد عملاً عقلاً نياً حكماً بل يعتبر قبيحاً وغير مقبول.

والله الحكيم الرحيم تعالى قد راعى كل شيء دخيل أساساً في تحقيق الهداية والتربية الانسانية، ولم يشأ (تعالى) ان يتبع الناس اشخاصاً منحرفين طائشين لبيتعدوا عن تكاملهم الواقعي، لذا فقد أرسل الأنبياء المعصومين لتحقيق (الهداية والتربية) للمجتمع الإنساني بأفضل أسلوب ممكن.

و هانحن نتعرض بشيء من التفصيل الى علل كون الأنبياء عليهم السلام معصومين.

١- مبدأ التربية

عرفنا في الدروس الماضية أن الهدف الرئيس من بعثة الأنبياء هو تربية الإنسانية.

كما أنه من الواضح أنه في عملية التربية يجب أن يتوفر الجانب العملي في المربي فإنه أكثر تأثيراً من الجانب اللفظي .
 إذ أن أنماط السلوك عند المربي يمكنها أن توجد تحولات عميقة الأثر في حياة الإنسان، وذلك لأن مبدأ المحاكاة - وهو من المبادئ النفسية المسلمة - يدفع الإنسان ليحاكي شيئاً فشيئاً ذلك السلوك الأمثل للمربي ويتخلق بأخلاقه ويسلك طرائق سلوك... حتى تتحول نفسه الى نفس شفافة تقبل الألوان التربوية كما يتقبل سطح الماء الصافي الرقاق انعكاسات السماء الصافية الزرقاء.

إن القول وحده لن يستطيع أن يقوم بعبء الدور المفروض في المجال التربوي وإنما نحتاج في عملية التربية الكبرى للبشرية - وهي سرّ بعثة الأنبياء - الى ان يكون الأنبياء ذوي صفات خاصة و سلوك متميز ظاهر من ان يشوبه لون معصية أو اشتباه، وذلك لكي يستطيعوا أن يقودوا العالم الى الهدف المقدس الخير المنشود.

و واضح ان الأنسان المذنب العاصي وحتى لو أنه أخفى معصيته و أظهر للناس ضرباً من التقوى والورع، فإنه لن يمتلك تلك الطاقة الروحية القوية الثابتة التي تستطيع ان تؤثر في شخصية الآخرين تغيرات اساسية.

فالذي لا يمتلك ارادته أمام الخمر مثلاً لا يستطيع أبداً أن يتقدم خطوة واقعية في سبيل منع الآخرين من شربها ولا يمتلك بالأحرى تلك الإرادة الصلبة التي يتطلبها هذا الأمر.

ان التنفر الشديد و التأثير البالغ الذي كان يلاحظ في الأنبياء الكرام و خصوصاً في الرسول الأعظم، محمد صلى الله عليه وآله وسلم

عندما يلاحظون وقوع المعاصي والآثام لهو أروع شاهد على تنزههم عن الذنوب مطلقاً.

إن سرّ التقدم الرائع للأنبياء كان يكمن في مطابقة أقوالهم لأفعالهم. ونفس هذا التطابق بين القول والعمل هو الذي يستطيع إيجاد التحولات العظيمة في الأيديولوجيات الإنسانية ويغير المجتمعات ويقودها نحو الكمال.

٢- التقبل والإطمئنان

كلما كان إيمان الناس بالقائل واطمئنانهم به أكثر كان مدعى تقبلهم لدعوته واستجابتهم لها أكثر والعكس بالعكس.

ولهذا الأمر فإن الأنبياء يجب أن يكونوا بطريق أولى متحلين بالصفات الأخلاقية العالية الخالية من أي شائبة ذنب بل أي شائبة خطأ و اشتباه لأنهم المبلغون لأوامر الله والمانعون من تردى الناس في هوة الذنوب والتلوّث بالمعاصي. وذلك لكي يكون اعتماد الناس عليهم واطمئنانهم بهم أكثر فيقبلوا أقوالهم وهداياتهم ويسعوا أكثر في سبيل إنزال برامجهم الحياتية وأوامرهم الإصلاحية إلى مجال التطبيق ويعتقدوا من الأعماق أنهم قادتهم ورادتهم... وذلك يؤمن السير على طريق الهدف من بعثة الأنبياء وهو هداية الناس نحو التكامل في جميع الجوانب من حياة البشرية... وبدون ذلك فإن هدف البعثة سوف لن يتحقق وهذا الأمر بعيد جداً عن حكمة الله تعالى.

إن هذه العصمة واللياقة التامة الخارقة للعادة لدى الأنبياء هي التي جعلت الناس يتعلقون بهم إلى الحد الذي كان بعض الأتباع معه

يدوبون حبا وتعلقا بشخصياتهم المقدسة ويضحون بكل ما يملكون في سبيل تحقيق أوامرهم وطاعتهم ونشر دعوتهم.

ولكن كيف يمكن ان يكون إنسان ما منزها من كل ذنب و معصية؟ هذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

أ — المحبة الواقعية

إن الأنبياء الالهيين كانوا صورة مجسدة للحب الإلهي. ولماذا لا يكونون كذلك وهم قد بلغوا بنظرهم العميقة الشاملة حدًا ساميًا من المعرفة الإلهية فعرفوه تعالى أكثر من غيرهم ورأوا أن عظمته وجلاله أسمى وأعظم من أي شيء آخر، و علموا بأنه تعالى أهل المحبة والطاعة فلم يكن لهم في حياتهم إلا ان يحققوا رضاه. ولم تتعلق قلوبهم إلا به وكل شيء لديهم فداء له... فهم على وعي متكامل بعظمة معبودهم وجلاله.

ولهذا السبب فإن الأنبياء كانوا في المجال التبليغي يتقبلون التعرض لكل المشاكل والحوادث الصعبة. وتراهم في قلب الأزمات الشديدة يتوجهون بوجه طلق ملؤه الاطمئنان والخضوع والإجلال الى الله تعالى... وتغمر أرواحهم هالة من سرور إذ يتصوّرون أن كل تلك المتاعب إنما هي في سبيل الحبيب الواقعي.

إن التاريخ قد سجّل مواقف هؤلاء الرجال السماويين وهذه المشاعر الوهاجة... للهداية كما سجّل ردود الفعل السيئة التي كان يجابههم بها ذوا المصالح الدنيوية الضيقة...

ولكن هل كان لذلك الصمود أمام المشاكل سبب سوى التعلق بالحُب الإلهي وإطاعة أوامره تعالى؟ كلا.

فالذين يضحون بكل شيء في سبيل حبيبهم ولا ينطقون بأي شيء

الامير يده ولا تخلواى ناحية من زوايا نفوسهم وتفكيرهم من ذكره تعالى، هؤلاء كيف يمكن ان نصدق بأن تحدثهم انفسهم بالعصيان، و يميلوا اليه؟ كلابل نراهم و كل وجودهم مسخر للطاعة و العبودية و الحب الإلهي الرائع.

فقد قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم «يا رسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال. ألا أكون عبداً شكوراً»^١. ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً الى صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم «حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً و نذيراً خيراً البرية طفلاً و أنجبها كهلاً. اطهر المطهرين شيمه، و أجود المستمطرين ديمه»^٢.

فهو إمام من اتقى و بصر من اهتدى^٣.
نعم ان المعرفة الكاملة للأنبياء و حبهم الصادق العميق لله قد اوجدا الصيانة و العصمة حيث انه علاوة على عدم اقدمهم على الذنب فانهم لم يكونوا يريدون او يفكرون فيه.

ب- النظرة الدقيقة الكاملة للأنبياء

تختلف النظرات لهذا الكون من انسان لآخر فنجد أن الشخص الجاهل غير المطلع تختلف نظره الى الميكروبات و الآنية المتلوثه بها عن نظرة الطبيب الحاذق تماماً.

فإن الطبيب الذي قضى السنوات الطوال في البحث حول

١- نور الثقلين ج ٣ ص ٣٦٧.

٢- نهج البلاغة عبده ص ٢٠٠.

٣- نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢٩.

الميكروب و وضعه مرّات عديدة تحت المجهر ورآه بأَم عينه ثم رأى عاقبة أولئك الذين لم يتجنبوا الميكروبات والأشياء المتلوثه بها... ان هذا الطبيب لا يمكن ان لا يعتني ولا يلقى بالأل للميكروبات وخطرها.

ولهذا نجد ذلك الشخص الجاهل يقدم على شرب الماء المتلوث بالميكروبات ولا تهمة آثار ذلك العمل في حين نجد ذلك الطبيب غير مستعد مطلقا للقيام بذلك بل هو لا يفكر في ذلك.

والدافع الوحيد لذلك الاجتناب هو العلم والاطلاع المتوفر لدى الطبيب بمضار الميكروبات تماما كالدافع الذي يمنع ذلك الجاهل من الأكل من القمامة باعتبار أنه مطلع هنا على التلوث الشديد المنفر للنفس... ولكننا نجد أن الطفل في سنته الأولى ما ان تصل يده الى تلك القمامة حتى يحاول ان يضع شيئاً منها في فمه.

هذا وهناك نقطة اخرى لها أهميتها؛ ذلك ان الكثير من الناس قد لا يعيرون اهمية لازمة للأضرار التدريجية في حين انهم يستوحشون من الأضرار الفجائية ويمنعون ورودها عليهم.

وكمثل على ذلك ما نلاحظه من ان الشخص قد يتقاعس عن الذهاب الى طبيب الأسنان لقلع احد أسنانه اذا اصابه التسوس فهو يتماهل ويستوف الأمر حتى تفسد كل اسنانه وقد يجر ذلك الى الآم و مضار جسمية وقد ينتهي الأمر الى الأمراض الصعبة ولكن هذا الشخص نفسه ما ان يحس بألم وأعراض التهاب الزائدة الدودية وخطرها الجدي الآتي فإنه يسرع الى الطبيب الجراح ويسلم نفسه لمبضعه.

فإذا رأينا طبيباً عالماً قد اعتاد على شرب الخمر فإن سبب ذلك لا بد أن يرجع الى عدم الاطلاع الكامل على مضارها المعنوية والروحية اما

مضارها التدريجية فهو يتغاضى عنها اشباعاً لشهوته ورغباته النفسية. ان الأشخاص العاديين ينظرون نظرة سطحية الى الذنب ولا يلتفتون بتمام المعنى الى تأثيره في مختلف الجهات المادية والمعنوية. اما الانبياء — ونظراً لنظرتهم الواقعية وعلمهم الواسع بمعونة قوة أعلى — فقد كانوا يتفوقون على الجميع ومطلعين اطلاقاً واقعيًا كاملاً على تأثيرات الذنب حتى انهم كانوا يرون آثار الذنب التي تتجسّم في عالم الآخرة بمشاهداتهم الباطنية... ولذا فلم يكونوا ليسلموا انفسهم لحظة واحدة لميولهم النفسية ويلوثوا انفسهم بالذنب بل لم يكونوا ليسمحوا لانفسهم بالتفكير فيه.

ان الانبياء كانوا يرون آثار الذنب في عالم البرزخ والآخرة و يشرحون ذلك للناس... فقد وردت روايات عديدة عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المجال وهذا نموذج منها.

«عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام انه قال: دخلت انا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي بكاء شديداً فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي ليلة أسري بي الى السماء رأيت نساء من أمّتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن؛ رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها و رأيت امرأة معلقة بلسانها، والحميم يصبّ في حلقها... و رأيت امرأة تأكل لحم جسدها، والنار توقد من تحتها ورايت امرأة قد شدّ رجلاها الى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب...»

ورأيت امرأة تقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقار يض من نار... ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج

من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار. فقالت فاطمة: حبيبي وقرّة عيني، اخبرني ما كان عملهن و سيرتهن حتى وضع الله عليهن العذاب؟ فقال: يا بنتي! اما المعلقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطي شعرها من الرجال. واما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها... واما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنّها كانت تزين بدنّها للناس واما التي شد يدها الى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب. وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة... واما التي كان يقرض لحمها بالمقاريض فإنّها كانت تعرض نفسها على الرجال... وأما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنّها كانت قينة نواحة حاسدة ثم قال (ص) ويل لإمرأة اغضب زوجها وطوى لامرأة رضى عنها زوجها^٤.

كما انه (ص) كان يتحدث عما رأى في رحلة المعراج اذ مرّ على قوم معلقين بعراقيهم بكلايب^٥ من نار. وعند ما يسأل (ص) جبرئيل عن ذنب هؤلاء يجيبه هؤلاء الذين اغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام. ثم يمرّ على قوم تخاط جلودهم بمخائط من نار. فيسأل جبرئيل «ما هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حل»^٦.

٤- بحار الانوار ج ١٨ ص ٣٥١.

٥- العرقوب - عصب غليظ فوق العقب والكلايب جمع الكلاب - حديدة معطوفة

يتعلق بها اللحم وغيره.

٦- بحار الانوار ج ١٨ ص ٣٣٣.

ولقد قال (ص) «ومن أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل»^٧.

كما ان له صلى الله عليه وآله وسلم احاديث كثيرة حول شارب الخمر وسائر المعاصي... وهى تستطيع لتأملها الإنسان ان تمنع الإنسان العادي من الذنب فكيف بالنبي صلى الله وآله وسلم والأنبياء الذين كانوا يرون آثارها البرزخية والأخروية.

و مجمل القول ان ذكر الآخرة ورؤية آثار الذنب في ذلك العالم كان يشكل اقوى عامل يحفظ الأنبياء من المعصية والتلوث والانحراف. يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: **وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَا لَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَآتَيْنَاهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**^٨.

٧- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٣٣٦.

٨- سورة (ص) الآيات ٤٥ - ٤٧.

موسى كليم الله

عندما ولد النبيّ موسى عليه السلام كان القبط والأسباط يسكنون معاً في مصر. وكان الفراعنة الذين يحكمون مصر من القبط في حين كان الأسباط من ابناء يعقوب عليه السلام ويطلق عليهم اسم «بني إسرائيل».

وكان مهديّ بني إسرائيل الأوّل هو أرض كنعان وبعد أن أصبح يوسف من بينهم عزيزاً لمصر هاجروا من كنعان الى مصر وسكنوا فيها ولم يكن عددهم في البدء كبيراً، ولكنهم تكاثروا بالتدريج الى حدّ الذي أصبحوا معه يشكلون شعباً ذا كثرة عديدة وعزة وقوة.

وقد فقد هؤلاء عزّتهم وشوكتهم مع فقدان يوسف عليه السلام و عصيانهم وسلوكهم المنحرف... وبلغ بهم الحال ان تسلط عليهم القبط و استثماروهم و كلفوهم بالأعمال الشاقة الثقيلة ولم يتورعوا عن اى ظلم و استبداد بحقهم.

وقد أوغل حاكم مصر القبطيّ و (يلقب بفرعون) في دماء

الأسباط و كانت له من القوة والهيبة ما يجعل اى تصور لمقاومته ضربا من الخيال.

وقد بلغ به الغرور أن ادعى لنفسه (الألوهية) ودعا الناس لعبادته وجرّهم الى مهوى الشرك وعبادة الأصنام.

ولكن فرعون هذا كان غافلا عن امرهم وهو أنّ الله لن يترك الناس بعيدين عن مصادر الهداية، ولم يكن يعلم بأنّه قد جرت سنة الله على ان يبعث الأنبياء على فترات لينقذوا الناس من الظلم والجهل فلم يحتمل ان تمتد يد الغيب. وتنقذ الانسان.

و تنبأ بعض المنجمين لفرعون بأنه ما أسرع أن يولد في بني اسرائيل مولود له خطره البالغ على حكمه. فغضب فرعون وأمر — دون تردد — بان تذبح ابناء بني اسرائيل حتى لا يبقى من ابنائهم احد.

ومع كل هذا فقد ولد موسى عليه السلام.

ولأنها كانت تحتمل الخطر فقد قامت أمه رغم كل جهالة وبإلهام وإرشاد من الله (تعالى) بوضعه في جوف صندوق وسلمته لتيار نهر النيل المتدافع لكي تلتقمه الأمواج.

* * *

... وحينما كان فرعون وزوجته قد أطلا من على شرفة قصرهما الباذخ ليتفرجا على امواج النيل، لاح لهما ذلك الصندوق الذي يعلو و يهبط مع الأمواج فأمرأ بجلبه، وما ان فتح الصندوق حتى بدا فيه مولود نائم بهدوء رغم كل ضوضاء الامواج المتلاطمة... وعندما رأت زوجة فرعون ذلك الوجه الطاهر البريء الصغير لم يرض عاطفتها ان تسلم ذلك الطفل البريء لرحمة الامواج مرة اخرى... لقد احسّت أنّها تحبه، وأن حبه

يلا مس شغاف قلبها... وحينذاك طلبت من فرعون ليمسح بقاء الطفل في القصر و تبنيه من قبلها ورضى فرعون على أمل يكون هذا الولد المتبني نافعا له و معينا في يوم من الأيام.

و لم يقبل الطفل الرضيع ان يلتقم ثدي أى مرضعة كانت قد جلبت لذلك الغرض... و كانت هذه من المشاكل.

و لم تمض فترة حتى استطاعت أم موسى ان تجدها طريقا الى بلاط فرعون كمُرْضعة لتحتضن ابنها الحبيب و تلقمه الثدي الملىء باللبن و الحنان^٢.

ما أروع ذلك؟

إن فرعون يربيّ عدوّه الوحيد في احضانه هو!

وهكذا كبر موسى عليه السلام و اشتد ساعده، و منحه الله تعالى العلم و الحكمة... و رأى أمامه في بلاط فرعون كل انماط الظلم و لكنه لم يكن ليشارك في عمليات الظلم بل كان يتألم للمظلومين و يبحث لهم عن طريق للخلاص.

و في احد الأيام و عندما كان يعبر الطريق وجد شخصا من بني اسرائيل وهو في صراع مع احد أتباع فرعون و الفرعوني يظلمه و يقهره و ما ان رأى الإسرائيلي موسى عليه السلام حتى طلب منه المعونة فتقدم موسى و وكر الفرعوني فكانت الوكزة كافية في القضاء عليه.

و ابتعد موسى عن ذلك المكان و في اليوم التالي وجد نفس ذلك الشخص وهو في عراك مع فرعوني آخر، و عندما لمح ذلك الشخص طلب منه المعونة للمرة الثانية فالتفت موسى الى ذلك الإسرائيلي و قال له (أَنْتَ

لَعَوِيٌّ مُبِينٌ) وتقدم لبيعه عن الفرعوني فظنّ الإسرائيلي ان موسى يريد ان يضربه هو فصرخ:

أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ .

وبعد هذه الحادثة كان موسى يعيش مترقبا قلقا ولكن الفرعونيين كانوا قد علموا بأن قاتل ذلك الفرعوني لم يكن سوى موسى عليه السلام و من هنا فقد شاور فرعون خاصته في قتله .

و حينما بدأ الأتباع يبحثون عنه للقبض عليه اخبره رجل خير بالخبر طالبا منه الفرار قائلا له:

«يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» .

و خرج موسى بكل ألم من مصر و توجه نحو (مدين) وهو يدعو الله تعالى قائلا (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

و ورد ماء مدين و توقف عند بئر ماء هناك و وجد أمة كثيرة من الناس هناك جاءوا ليسقوا حيواناتهم ... و وجد هناك على معزل من الناس امرأتين معها قطيع من الغنم تنتظران فرصة السقي ، و تقدم موسى عليه السلام سائلا اياهما: ما خطبكما؟ فقالتا إنّ لنا أباشيخا و لذا فقد اضطررنا للإتيان بهذا القطيع الى البئر وها نحن ننتظر حتى يخلو المكان لكي نسقي القطيع .

و تقدم موسى عليه السلام و سقى القطيع ، و رجعت المرأتان الى حيهما ... أمّا هوفلما كان جائعا و تعباً فقد آوى الى ظل هناك داعيا الله ان يرسل له رزقا و هو يقول «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» . و لم تمر فترة حتى جاءته إحدى المرأتين تمشي على استحياء قالت

ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا... و كان ابوالبنتين هو نبي الله الصادق «شعيب» عليه السلام.

و نهض عليه السلام قاصدا حيهما طالبا من البنات ان تمشى خلفه و ترشده على الطريق معللا ذلك بأنه من اهل بيت (بيت الأنبياء) لا ينظرون الى النساء حتى من الخلف.

فلما وصلا الى الأب شعيب عليه السلام وقص عليه قصته قال له شعيب مطمئنا «لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

و تقدمت تلك البنات التي جاءت الى موسى و استدعته و قالت لآبيها «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ».

و قام شعيب الذي اطلع على امانة موسى و نزاهته بتزويجه من احدى ابنتيه، و وفقاً للعقد الذى عقده موسى عليه السلام مع شعيب فقد بقى عشر سنوات هناك مشغولاً خلالها بتمشية أمور شعيب فكان اكثر اوقاته يرعى له الغنم و يحفظها^٣.

و بعد انتهاء الأجل سار موسى بأهله نحو مصر و في إحدى الليالي الباردة الحالكة السواد ضل طريقه... و كان الظلام مخيماً على كل مكان فلم يكن الطريق الصحيح متميزاً عن غيره و بقى موسى و عائلته حائراً لا يدري اين يذهب و أجال بصره فلمح ناراً على البعد فقال لآهله: امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً و لذا فاني سأوجه اليها لعلى آتبيكم منها بقبس أو أجد على النار هدىً - اى من يهدينى - و اسرع الى النار و ما ان وصل الى هناك حتى جاءه النداء المقدس من جانب الشجرة التي كانت هناك.

«... يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ...» «وَأَنَا

اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ. إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ»^٤.

و كانت لموسى عليه السلام عصا يتوكأ عليها ويستعملها في بعض أعماله الأخرى كأن يقطف بها لأغنامه أوراق الأشجار.

وفي ذلك الوحي الأنف أمر بأن يُلقَى عصاه على الأرض ولما فعل ذلك وجد العصا قد تحولت الى ثعبان مبین... وهنا فرّ موسى من خوفه ولم يلتفت وراه وحينذاك جاء النداء يأمره بالرجوع فاطمأن لأمر الله ورجع وأخذ العصا فعادت في يده الى حالتها الأولى بإرادة الله، ثم أمر موسى بقول تعالى (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ) ولما ضمها وخرجها وجدها بيضاء منيرة بنور لا يؤذي البصر.

... كانت هذه هي معجزة موسى عليه السلام وقد منحه الله إياها لكيلا يتردد فرعون والفرعونيون في نبوته ولكي تكون هذه القدرات الغيبية شاهداً على صدق مدعاه. وهكذا أمره تعالى بأن يذهب الى فرعون... فقد بدأ عصر رسالته وفي البدء أخبر موسى فرعون بقول ليت بكونه نبيا ودعاه الى عبادة ربه وسأله عن رغبته في تزكية نفسه قائلاً:

«هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ، وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ؟» فسأله فرعون: ومن ربك؟ فأجاب موسى بأنّ ربه هو الذي خلق السماء والأرض وانه خلق كل شيء.

وغضب فرعون من هذا الجواب وقال:

٤— مستفاد من سورة القصص الآية ٣١، ومن سورة طه الايات ١٣ — ١٦.

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» وهدد موسى بأنه سيعاقبه أشد العقاب اذالم يعبده هودون الله.

فقال موسى عليه السلام «قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» قال فرعون «إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبین ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين.

وعجب فرعون من ذلك أشد العجب فمن جهة يجد الواقع امامه متمثلا في موسى وآيات رب موسى ومن جهة أخرى فإن سلطته و استبداده على مصر والمصريين و أنانيته و أهواءه تمنعه من التسليم للواقع و اطاعة موسى عليه السلام... نعم لقد تحير أمام هذه الآيات البيّنات و بدأ يحدث نفسه: ما ذا لو اتهم موسى بالسحر؟! ولما استقر على هذا هو و بطانته اطلقوا هذه التهمة و نشروها بين الناس و هي أن موسى ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم.

و استقر الرأي على ان يرجأ البت في امره حتى يدعى السحرة الماهرون ليفضحوه، و أرسل فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل ساحر عليم، و جاء السحرة فرعون و طالبوه بالأجر عند غلبتهم فوعدهم بالأجر والقرنى منه.

و في الموعد المقرر تجمع هؤلاء السحرة و هم وفق تصورهم البسيط يظنون انهم سيغلبون موسى بسحرهم فيتقربون الى فرعون و التقي هؤلاء حبالهم و عصيتهم و خيل للناس المتفرجين على هذا الاستعراض للطاقت انها حيات تسعى فنغرت أفواه الناس لهذا المرأى ولكن موسى كان مع الله والأفضل ان نقول بأن الله كان مع موسى عليه السلام فما ان وصل الدور

اليه حتى التقي عصاه البسيطة نحو تجمع سحرة فرعون و اذا بالجميع يرون تلك العصا وقد تحولت الى ثعبان عظيم دار دورة ثم اتى على ما صنعه السحر فالتقمه و كأن لم يكن شيئاً من قبل.

و أمام هذا الإعجاز الرائع كان السحرة اسبق الناس للاعتراف بالواقع والتسليم لموسى عليه السلام و الإيمان بالله فقد صرخوا بقلب و صوت واحد: آمنا برب موسى و هارون^٥.

قالوا هذا بعد ان وقعوا ساجدين لله تعالى و عظمته و طلبوا العفو والغفران.

و اشتد غضب فرعون و هددهم بشدة ولكنهم إذ أدركوا أحسن من غيرهم الفرق بين السحر و المعجزة و علموا بأن موسى ليس بساحر و أن قدرته قدرة إلهية، آمنوا بذلك و لم يأبهوا التهديد فرعون الذي قال لهم: «آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ».

فقال السحرة: «لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضُ مَا أَنْتَ فَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا» «رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وَتوفنا مسلمين».

و رغم كل هذه الكلمات النارية لم يتحرك ضمير فرعون و الفرعونيين اذ كانوا معجبين بجاههم و قدرتهم.

٥- هارون (ع) اسم اخي موسى (ع) و قد كان نظراً لبيانه و لسانه الواضح عوناً لآخيه في كل مكان يناصره و يحميه في دعوته.

و اتجه الظلم الشديد الى بنى اسرائيل فاما النساء اللائى لم يكن يتوقع اى خطر من جانبهن فإنهم كانوا يبقونهن على قيد الحياة ويكلفونهن بالأعمال الشاقة و أما الأولاد والشباب فقد كانوا معرضين دائما للقتل والإبادة... وقد ابتلاهم الله حسامرات عديدة ببلايا مختلفة لكي يعتبروا وكلما اصابوا ببلاء جاءوا الى موسى وقالوا بأننا نعاهد الله لئن رفع عنا البلاء لنكونن من المؤمنين، وعندما يرتفع البلاء فإنهم يعودون الى حالتهم السابقة من العصيان وينسون ميثاقهم.

واخيراً قال فرعون لقومه:

«ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» وهنا قال موسى عليه السلام: «إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» وفي هذا الأثناء انبرى رجل كان يخفى ايمانه وقال للناس المغفلين «اتَّقِنُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» واصر فرعون على تنفيذ ما قاله قائلاً:

(ما أرى لكم إلا ما أرى) وهنا قال ذلك الرجل المؤمن «يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادَ وَ ثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» وذكرهم بعذاب الله يوم القيامة وانهم لن يجدوا ملجأ منه تعالى لو أراد ان يعذبهم بنار جهنم.

ولكن فرعون لم يعتن بلانذار ذلك الرجل، ومضى ينفذ ما صمم عليه والتفت الى وزيره هامان قائلاً:

«يَا هَامَانَ ابْنُ لِي صَرِّحاً لَعَلِّي آتِلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى».

ولكن ذلك الرجل المؤمن عاد يكرر دعوته الى الحق قائلاً .

«يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزِيهِ الْإِمْثَلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَيَا قَوْمِ مَا لِي
أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ
أَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ . لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدُّنَا
إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَقْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .»

ولكن فرعون والفرعونين لم يلتفتوا الى كلامه ولم يرجعوا عن غيهم
و صلاحهم ولكن المؤمن كان قد أدى امانته «فَوَقَّيْهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا
وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ .»

وبالتالى فقد أمر الله موسى عليه السلام بأن يخرج بتلك الفئة
المظلومة من مصر، وامتثل لذلك الأمر وسار بنى اسرائيل تحت جنح
الظلام متجهاً نحو البحر الأحمر وهم خائفون من ان يقوم فرعون و اتباعه
بمطاردتهم و هكذا كان الامر فقد حشد فرعون قواه لمطاردتهم و القضاء
عليهم و ما ان رأى بنو اسرائيل تلك القوى العظيمة حتى وقعوا فى حيرة و
ذهول ولم يجدوا لهم اى ملجأ للخلاص فن ناحية كان البحر بأمواجه
المتلاطمة و من ناحية أخرى كان فرعون وجيشه اللجب فلا ملجاء الا الى
الله تعالى فتوسل موسى عليه السلام و تضرع و لجأ اليه فجاءه الأمر ان
أضرب بعصاك البحر و اعبره، و كانت تلك العصا للمرة الثانية الشىء

الذى تجلت فيه قدرة الله تعالى، وضرب موسى بعصاه البحر فانفلق البحر وبدا طريق يا بس فيه و كأن هناك جدارين يفصلان جانبي الماء وعبر موسى وبنو اسرائيل... وما ان وصل فرعون بجيشه ورأى الامر فكر ملياً أيرجع على اعقابه أم يخوض البحر؟ انه يرى امامه كيف عبر موسى وقومه البحر سالمين، إن أهواهه وانحرافه منعاه من ان يؤمن بهذا الإعجاز الخارق، وامرجيشه بان يعبر البحر عن ذلك الطريق و نزلوا جميعا الى البحر مسرعين كما يلحقوا بموسى وقومه وفيما كانوا ثملين بنشوة الغرور والقوة اذا بجدارى البحر ينهدمان و تحول الطريق اليابس الى عمق من اعماق البحر و تدافع الموج الغاضب، نحو فرعون وجيشه، وما ان رأى فرعون الخطر بأم عينه حتى اعلن إيمانه برب موسى و هارون و ندم على معارضته ولات ساعة مندم لقد جاء إيمانه فى وقت متأخر جداً و غرق الجميع و فثوا من الحياة و طواهم التاريخ.

هذا المنظر يصوره القرآن الكريم ادق تصوير فيقول تعالى:

«وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ؟ فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ بَدَنِكَ ۗ لِيَتَّكِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْكَيْدَ عَلَى الْكَيْدِ لِيَمْلِكُوا عَلَى الْبَشَرِ ۗ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ»^٧.

٦- فرعون: هو الاسم العام لكل حكام مصر القدامى، و كان الفرعون المعاصر لموسى (رئيس الثاني) وقد اكتشف جسده المحنط سنة ١٨٨١ و هو الآن فى متحف القاهرة.

دائرة معارف «امر يكانا» فى شرح الكلمات: Rameses 11, Hummy

٧- سورة يونس الايات ٩٠ - ٩٢.

وهكذا عبر بنو اسرائيل البحر.

ولئن كان موسى قد ابتلى بفرعون وظلمه وتخلص منه فقد عاد مبتلى بمشكلة كبرى وهي جهل بنى اسرائيل وتعندهم ولجاجتهم: ففي الطرف الآخر من البحر وصلوا إلى مجموعة من الناس يعبدون صنماً لهم فطلب بنو اسرائيل من موسى عليه السلام أن يعين لهم إلهاً كما ان هؤلاء آلهة!! وذلك لئلا ينقصهم شيء عن الآخرين حتى في عبادة الأصنام وتألّم وضجر موسى لذلك أشدّ الضجر وقال لهم:

«إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا فِيهِمْ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ: أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِيَّاهُ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» وذكرهم بنعمة الله عليهم إذ أنجاهم من فرعون وظلمه وعدوانه.

* * *

ودعي موسى عليه السلام من قبل الله تعالى كى يتفرغ لدعائه لمدة ثلاثين ليلة بعيداً عن الناس واستخلف موسى على قومه اخاه هارون و أوصاه بإدارة شؤونهم وبعد انقضاء تلك الليالي الثلاثين أضيفت عشر ليال أخرى إليها بامر الله وبعد انقضاء اربعين ليلة أنزلت التوراة لتكون منبعاً لهداية الناس في تلك المرحلة التاريخية بالخصوص.

ولكن بنى اسرائيل الذين فارقوا موسى أياماً معدودة عادوا إلى لجاجتهم والتماس حجة الصنم وهنا انبرى لهم رجلٌ ما كُرّ اسمه السامري فصنع لهم من ذهبهم وحليتهم عجلاً جسداً وجعله بشكل يمكنه ان يصدر صوتاً شبيهاً بخوار العجل الحقيقي ثم قال للناس إن هذا العجل هو إله موسى!، وإلهكم وتجب عبادته. ونسي الناس مرة أخرى ان الله لا يمكن

ان يتجسد و يحدّد بمكان و زمان و نسوا أنهم يجب ان يهتدوا بهداه تعالى، و غفلوا عن كل تعاليم موسى عليه السلام و قبلوا ذلك العجل إلها و هو صنيع يد السامري و لا يضر غيره و لا ينفعه.

و لم يلتفتوا حتى إلى أن هذا الصنم الذى صنعه السامري لا يصيح الا كما يصيح العجل فى حين انه لو فرضنا محالا امكان ان يظهر الله بين الناس فإنه سيهديهم و يرشدهم، و اين الهداية و الإرشاد من الخوار الفارغ.

و هكذا انخرق اليهود و لم يصغوا الى نصائح هارون.

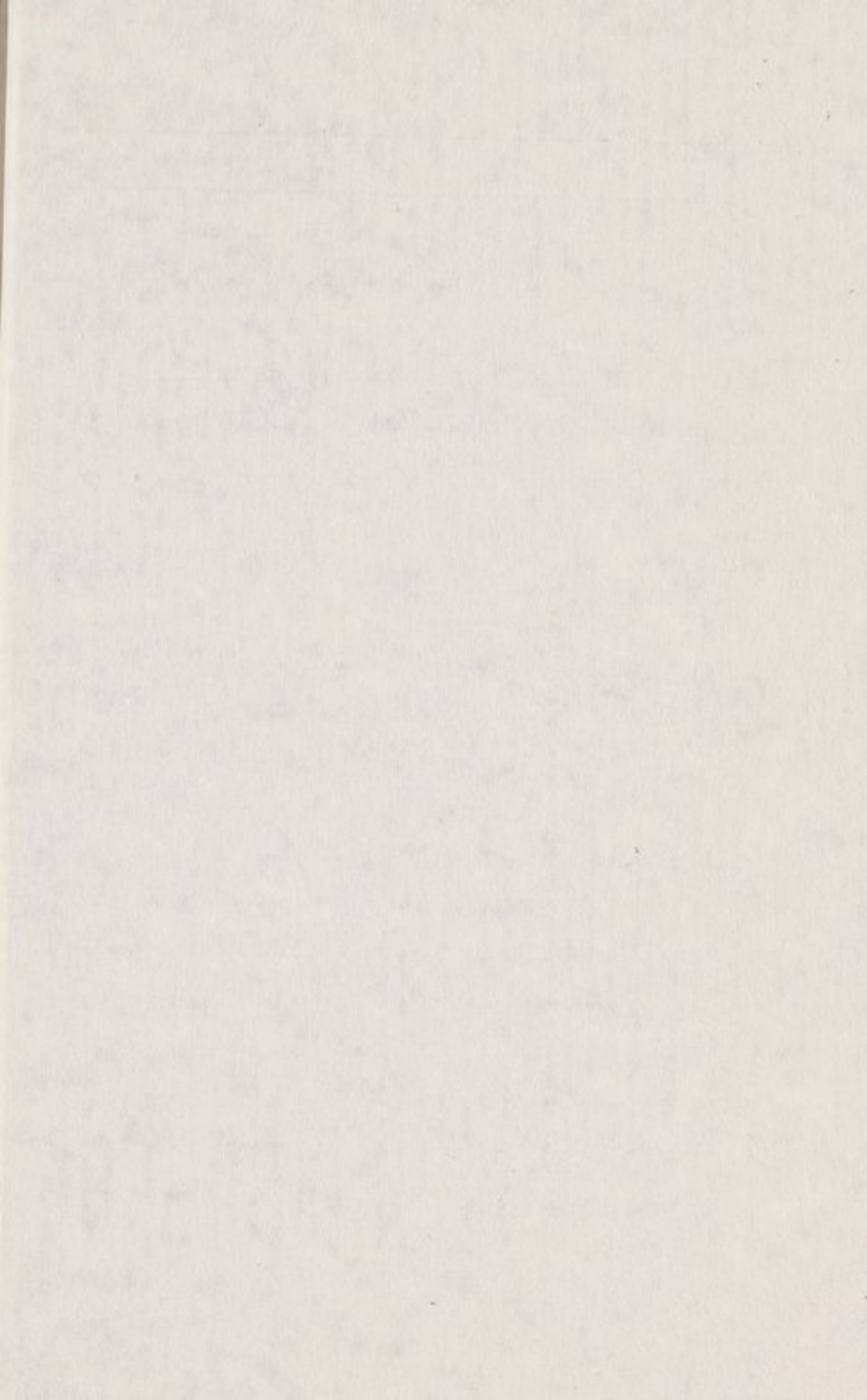
و عند ما رجع موسى من مواعده المقدس و رأى ذلك الانحراف العظيم تألم أشد الألم و وبخ اولئك الجاهلين، و قال للسامري: (وَ انظُرْ إِلَى الْهَكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ غَا كَيْفًا، لَنُحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا).

* * *

ولكن قول موسى عليه السلام لم يؤثر أثره المطلوب فى نفوس بنى اسرائيل و مضوا يلتمسون المعاذير و ينقضون العهود.

و هكذا كانت سيرتهم بعد موسى عليه السلام فما أشد امتناعهم عن قبول الحق، و ما أشد تجاهلهم لأقوال الأنبياء و المصطفين من قبل الله . و قد وجهوا لهم انواع الظلم، و قتلوا بعض الأنبياء...

و لم يسلم من تعديهم حتى كتابهم (التوراة) فقد امتدت ايديهم اليه فحترّ فوه و غيروه الى الشكل الذى نراه عليه اليوم بحيث لا يمكن ان نعدّه كتاباً سماوياً نظراً لكثرة النواقص و النقائص فيه.



الدّرس الثّامن عشر

المسيح رسول الله وعبده

والدة عيسى: مريم

رغم ان امرأة عمران كانت عقيمة ولكنها كانت قد سمعت من زوجها بان الله بشره بان يرزقه ولداً يستطيع ان يبريء الاكمه والابرص و يحيي الموتى باذن الله^١.

ولانها كانت تؤمن بقدرة الله تعالى على ان يهيء وسائل ذلك فقد طلبت من الله ان يهبها ولداً.

واستجاب الله تعالى دعائها وحملت و كشر لله على هذه النعمة فقد نذرت ان تخصص مولودها لخدمة بيت المقدس^٢.

و كان المولود انثى فلما رأتها والدتها قالت:

«رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ۖ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ۚ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتُهَا مِنَ»

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٥.

٢- مستفاد من سورة آل عمران الاية ٣٤، ومقتنيات الدرر ج ٢ ص ١٨٨.

٣- معنى (مريم) هو العابدة.

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^٤ ومع انها كانت انثى فقد وفت امرأة عمران بنذرهما و سلمت البنت للمتولين على بيت المقدس .

ونظراً لان هذه البنت كانت ابنة زعيمهم عمران فقد رغب الكل منهم في ان يقوم هو على كفالتها وتربيتها لكي يحصل على شرف تكفل ابنة عمران .

وهكذا اختلفوا في ذلك وانتهى الأمر بهم الى القرعة، وكانت النتيجة لصالح زكريا عليه السلام فكفلها زكريا وحضى بذلك الخير .
وكبرت مريم شيئاً فشيئاً ولا شغل لها الا عبادة الله وخدمة بيته المقدس .

وتكاملت روحياً حتى بلغ بها الأمر ان زكريا كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها طعاماً سماوياً وعند ما كان يسألها: أنى لك هذا؟ فانها كانت تجيب «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^٥.

زكريا ويحيى:

ولقد كانت زوجة زكريا عليه السلام عقيمة أيضاً مثل أم مريم، ولهذا فقد بقي زكريا الى عهد شيخوخته بلا ولد، وعند ما ابصر زكريا ذلك المقام المعنوي الرفيع لمريم ورحمة الله المتجسدة هناك في المحراب، حمله شوقه الطبيعي لأن يكون له ولد صالح مثل مريم لان يمتد الضراعة

٤— مستفاد من سورة آل عمران الايتان ٣٥ الى ٣٧ .

٥— مستفاد من سورة آل عمران الاية ٣٧ وجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٦ .

للبارى جل اسمه ويطلب منه تعالى ان يرزقه ولدًا طاهرًا رضيًا عند الله ليرثه و يرث من آل يعقوب^٦.

و بينما كان زكريا عليه السلام مشغولاً بعبادة الله في المحراب سمع نداء من الملائكة بان الله يبشره بولد اسمه يحيى سيكون من الانبياء الصالحين والسادة المطهرين.

ولما كان زكريا قد بلغ مرحلة الكبر والضعف، و كانت امراته عاقرا وفي مثل هذه الشرائط يكون الحصول على ولد نعمة غير متوقعة فقد استفسر زكريا في تعجب واستطلاع عن كيفية حصوله على ولد وهو في هذا الحال لكنه قيل في جوابه، ان هذا العمل امرهين^٧ على الله الذى خلقه من قبل ولم يك شيئا^٨.

واخيراً ولد له ذلك المولود الطاهر الذى أسماه الله (يحيى) من قبل وأصبح يحيى عليه السلام أحد انبياء الله و صرف كل عمره لهداية الناس الى الايمان والسعادة... و كانت خاتمة امره ان قتله احد ملوك بنى اسرائيل المنحرفين الذى اراد أن يتزوج بابنة أخيه خلافا لحكم الله فوقف يحيى في وجهه معارضا ذلك اشد المعارضة و في لحظة من لحظات الفرور والهوى امر بقتل ذلك العبد الصالح^٩.

عيسى المسيح

و بينما كانت مريم — وهى تلك البنت التى كبرت في بيت الله

٦- مستفاد من سورة آل عمران الآية (٣٩) و سورة مريم الآية ٦ - ١ و تفسير الميزان

ج ٣ ص ١٩٠.

٧- مستفاد من سورة آل عمران الايتان ٣٩ - ٤٠ و سورة مريم الايات ٧ - ٩.

٨- تفسير الميزان ج ١٤ ص ٢٦ - ٢٧.

تعالى وربها نبي عظيم مثل زكريا عليه السلام بينما كانت مشغولة بالعبادة في احد الايام اذا بملك قد بدا لها في شكل انسان سوي.

ففرغت مريم واستعاذت بالله ؎ اذ تصوّرتة إنسانا، ولكن الملك بشرها قائلا: «إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا» وحينذاك ردّت مريم بتعجب: «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ، وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرًا لَمْ أَكُ بَغِيًّا» (اي امرأة منحرفة) فقال الملك: «... كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا».

وحملت مريم و كان ذلك الحمل غير المعتاد سببا لتقول المتقولين الذين كانوا يؤذونها بالتهم والتقولات... ولهذا فقد اعتزلت مريم المجتمع و لجأت الى مكان بعيد تنتظر ولادة ابنها المرتقة.

وحل وقت وضع الحمل فلجأت من الألم الى نخلة يا بسة في الصحراء فوضعت حملها بدون مساعد و معاون.

وهكذا تجمعت عليها الآلام، ألم الوحدة، والوضع و تصور كيفية اثبات طهارتها للناس، فبلغت حدا قالت معه: «... يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا» فجاءها ندا الرحمة «أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» (اي شرابا رو يا يسرى) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِينًا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَاِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا.

٩- لقد كان من المرسوم انذاك ان ينذر الشخص ان لا يتحدث مع اى شخص الى

مدة معينة و هذا العمل كانوا يسمونه (صوم الصمت) تفسير الميزان ج ١٤ ص ٤٤.

لقد كانت المعاجز والإمدادات الغيبية واحدة بعد الأخرى سببا في تقوية قلب مريم ولذا فقد رجعت الى اهلها ومحل سكنها مع طفلها باطمئنان خاطر.

وعندما رآها الناس وهي تحمل ولدها بدأوا يقولون لها معترضين: «يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا».

ولم تجيبهم مريم بشيء وانما اشارت اليه تريد انهم يجب ان يساءلوا ذلك الرضيع ليجيبهم!

فردوا بسخرية بالغة قائلين: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟!

وهنا تكلم الطفل المعجزة بإذن الله وقال لهم بأسلوب واضح رائع:

«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْمًا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا»^{١٠}.

ولقد كان تكلم عيسى في مهده باعثاً على العجب الشديد لأولئك الذين اتهموا مريم من قبل، فكان آية كبرى رفعت كل تلك الظنون السيئة من نفوسهم و علموا بأن هذا الطفل ولد من دون اب بإذن الله وانه سيكون له مقام رفيع ومهمة كبرى في المستقبل.

١٠- سورة مريم الايات ٣٦ - ٣٢ وتفسير الميزان ج ١٤ ص ٣٣ - ٤٨.

إلقاء نظرة على حالة الناس قبل المسيح

كانت فلسطين — قبل ولادة المسيح — تحت سيطرة الرومان و رغم ان شعب فلسطين لم يكن لهم سند قوى ليصلوا بمساعدته الى الخلاص من تلك السيطرة إلا انهم كانوا في نزاع و جهاد متواصل مع الروم الأجانب، وهذه الحالة المتواصلة أوجدت وضعاً متشعباً في تلك المنطقة. فقد كان الوضع الإقتصادي منهراًً و الضرائب الباهضة الظالمة تزيد الطين بلة، مما اعطى الناس الأحرار إحدى حالتين فإما تراهم في قلق و ضغط شديد او تراهم في صراع مرير مع المحتلين، وتوقفت حركة العمران و سادت موجة من التحلل و السطحية في المجتمع حتى شملت ايمان اليهودا نفسهم بحيث انهم لم يكونوا يحسون باي التزام تجاه تعاليمهم الدينية. و الاحتلال يستفيد من هذه الحالة دائماً اذ ان العدو والحالة هذه لن يحتاج الى عدة و عديد و هو يجابه قوماً فقدوا ايمانهم و فنت شخصيتهم بالتدريج و دون ان يشعروا بذلك.

و في مثل هذه الظروف الحرجة و في ذلك العصر المليء بالفوضى و التحلل توضح الاحتياج الأکید لقائد سماوي يخلص الناس من الشقاء و الضلال.

و هكذا كان الأمر اذا اقتضت الرحمة الإلهية ان يولد عيسى عليه

السلام.

و قد رأينا ان ولادته عليه السلام اقترنت بمعاجز و عجائب كلها تؤكد و تشهد على علو منزلته و جلال قدره فكانت تلك علائم سماوية على انه قائد سماوي اوجدته يد الرحمة و القدرة الإلهية لأجل ان يقود نهضة الأمة و يخلصها من الهوان.

رسالة المسيح عليه السلام

لقد انزل الانجيل الى عيسى نفسه ليكون دستوراً لخلاص الضلال ونجاتهم^{١١}.

واعلن عيسى رسالته، وبدأ يعمل على صعيد واسع، وتحمل الآلام والمصاعب وبذل التضحيات لكي ينجي اليهود ويمحو جذور انحرافهم.

ولكن قادة اليهود الذين احسوا بأن مصالحهم الضيقة قد انهارت و تصوروا انهم فقدوا رتبهم ومقاماتهم التي كانوا يتعشقونها بمجيء المسيح عليه السلام هؤلاء القادة تجمعوا وصمموا على الوقوف بوجه تقدمه و اذكاء نار الفتنة ضده.

وكان عيسى عليه السلام مطلعاً على تأمرهم وخطتهم ولكنه صمد كالجبل امامهم ومضى يرشد الناس ويهديهم ويخلصهم من انحرافات والتحريفات التي طرأت على دين موسى عليه السلام.

وفي هذه الاثناء كان يشفي انسانا مريضاً باذن الله، ويحيي ميتاً باذن الله وذلك كي يصدق الناس بانه مبعوث من قبل الله الواحد الذي لا شريك له ولا نظير.

خاتمة امر المسيح عليه السلام

وازداد اتباع المسيح عليه السلام و اعوانه يوماً بعد يوم، وكلمة

١١- الانجيل الحالى الموجود عند المسيحيين محرف وليس بالانجيل الواقعى الذى نزل

على عيسى عليه السلام.

ازداد الاتباع ازدادت نقمة زعماء اليهود ومخالفتهم الى ان صمموا على قتل المسيح.

ولكن الله تعالى اخفاه عن نظرهم فلم يمسه بسوء اذ وجدوا شخصا يشبهه فظنوه هو اشتباها فصلبوه وبقوا على اشتباههم بأنهم قد صلبوا المسيح عليه السلام وقد صرح القرآن الكريم بهذا الأمر اذ يقول تعالى:

«وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَبَنِ شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»^{١٢}.

وعلى هذا فمسألة (الصلب والصليب) وما علق بها من اوهام وخرافات غير منطقية كما نشاهده اليوم لدى المسيحيين الذين يقولون بان الناس مخطئون ذاتا حتى ولولم يذنبوا مرة واحدة خلال عمرهم، وان عيسى عليه السلام صلب فداء وبدلا عنهم لكي يخلصهم من عذاب جهنم^{١٣} كل ذلك مما لا اساس له مطلقا.

ولذا نجد أن مارسيون والناستيكيين^{١٤} لم يكونوا يعتقدون بقتل المسيح وصلبه.

١٢- سورة النساء الاية ١٥٧.

١٣- طريق الحياة للدكتور الالماني فنדר ص ١٣٥ - ١٣٨.

١٤- مارسيون Marcion و كان ابنا لاسقف وعاش في آسيا الصغرى في القرن الميلادي الثاني وتزعم فرقة من المسيحيين. و كان يخطيء الكثير من معتقدات المسيحيين المتداولة بينهم ويرفض كل الاناجيل الابعضا من انجيل لوقا (تاريخ الكنيسة القديمة ص ١٩٢ اما الناستيكيون ويسمون الغنوصيين Gnostics ايضا فقد كانوا يعتقدون بوجود معرفة روحية لا يستطيع كل انسان ان يصل اليها، ويعتقدون بانه يستحيل ان يكون الله جسما. ولا يمكن ان يظهر المسيح نفسه هيئة بشرية (تاريخ الكنيسة القديمة ص ١٨٧ ج ١).

عيسى المسيح عبد الله:

ما نستفيد من القرآن الكريم وحتى من بعض الاناجيل الموجودة فعلا في أيدي المسيحيين^{١٥} هو أن المسيح كان يعرف نفسه دائماً بأنه عبد الله المطيع ويدعو الناس الى التوحيد الخالص ذلك كما في قوله تعالى على لسان المسيح «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»^{١٦}.

فلم يدع المسيح مطلقاً الألوهية، اما ما يطلق عليه من قبل المسيحيين فهو من مبتدعاتهم ومخترعاتهم.

يقول نيهرو في كتاب (نظرة الى تاريخ العالم): ان المسيح لم يدع الألوهية ولكن الناس يحبون ان يسبغوا على الرجال العظام صفة الألوهية^{١٧}. لقد كان عيسى كغيره من الأنبياء إنساناً يوحى اليه من قبل الله وقد اختير من قبل الله لكي يهدي الناس و اذا كانت له بعض المعاجز فإن لغيره من الانبياء معاجز ايضا، و اذا كان قد ولد من دون اب فإن آدم من قبل خلق من دون أبٍ وأمٍ ولكننا لانجد من المسيحيين من يسبغ عليه صفة الألوهية.

يقول القرآن الكريم: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»^{١٨}. بمعنى انها كانا يحتاجان لكل اللوازم «الحياتيه» كأي انسان آخر.

١٥- انجيل مرقس الاصحاح ١٢ الرقم ٢٩.

١٦- سورة آل عمران الاية ٥١.

١٧- ج ١ ع ٢٠.

١٨- سورة المائدة الاية ٧٥.

هذه الحقيقة التي جاءت واضحة في كلام الله تعالى في القرآن المجيد مطابقة تماما للمنطق والعقل اذ أن الانسان الذي لا يملك من عند نفسه حولا او طولا ويحتاج مثل باقي الناس والانبياء للوازم الحياة البشرية مثل الغذاء والنوم، هذا الانسان لا يستحق بحكم العقل ان يعبد مطلقا. و عليه فبحكم العقل، وبتصديق من القرآن المجيد، وبناء على ما صرح به الانجيل الحالى للمسيحيين — انجيل مرقس — وحسب قول المؤرخين الكبار:

فإن عيسى عليه السلام كان عبدا ورسولاً لله تعالى وانه لم يدع الألوهية لنفسه مطلقا.

ولكن رسالة عيسى عليه السلام ودينه الطاهر فقد أصالته بعد وفاته ووجد الشرك وعبادة الأصنام لها طريقا للنفوذ فيه الى الحد الذي يكتب معه ويل دورانت في كتاب (قصة الحضارة) «ان المسيحية لم تمح الشرك بل قبلته».

إن آتى باحث في عقائد المسيحيين يصدق ان هذا المؤرخ قد أكد حقيقة تاريخية بقوله الانف وذلك لاننا نجد مثل هذه العقائد الخرافية رائجة بين اتباع المسيح وذلك من مثل:

١— ان عيسى قد انفصل من ذات الله وأنه ليس بمخلوق، وانه يسمى «ابن الله»^{١٩}.

٢— ان المسيح كان بشراً حل فيه الله^{٢٠}.

٣— ان المسيح هو نفس الله الذي شاء ان يتجسد بشكل

١٩— تاريخ الكنيسة القديمة ص ٢٤٤ من الترجمة الفارسية.

٢٠— نظام التعليم طبع بيروت ١٨٨٨ ج ٢ ص ٢٠٤ و٢٠١.

انسان^{٢١}.

و لكننا كلنا نعلم بان الله ليس بجسم مطلقا ليكون له مكان، او ينفصل منه جزء فيسمى (ابن الله)، كما اننا عرفنا بعقولنا انه تعالى ليس له مكان ليحل في شيء او يتجسد بشكل انسان. هذا الى انه كيف يمكن ان يكون الله الغنى المطلق محتاجا للطعام والشراب واللباس؟!!

فالمسيحيون اذا اتبعوا المنطق والتفكير السليم سيصدقون بان المسيح مثله كمثل باقي الانبياء عبد الله تعالى وان مسألة الوهيته ممالا أساس له ابدأ.

يقول القرآن الكريم «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بَنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بَنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^{٢٢}.

الاقوال الرائعة لعيسى عليه السلام

روى عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:
قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله^{٢٣}.

٢٢- المائدة الآية ١٧

٢٣- الكافي ج ١ ص ٣٩.

وكذلك روى عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

اجتمع الحواريون الى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلم الخير ارشدنا، فقال ان موسى كلّم الله عليه السلام امركم ان لا تحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين وأنا امركم ان لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين قالوا: يا روح الله زدنا فقال: ان موسى نبى الله عليه السلام امركم ان لا تزنوا، وانا امركم ان لا تحدثوا انفسكم بالزنا فضلا عن ان تزنوا فان من حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق (اي مزين) فافسد التزاويق الدخان وان لم يحترق البيت^{٢٤}.

ويقول أمير المؤمنين الإمام على بن ابي طالب عليه السلام:

«قال عيسى بن مريم عليه السلام: طوبى لمن كان صمته فكرا، و نظره عبرا... وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه^{٢٥}.
وعن الإمام الصادق عليه السلام «وكان عيسى بن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا الى الله و اخرجوا قلوبكم منها فإنكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم ولا تبكون فيها ولا تبقى لكم هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اعتدبها، المغبون من اطمأن اليها الهالك من أحبها وأرادها»^{٢٦}.

وكذلك عنه عليه السلام فيما وعظ به المسيح أصحابه «أيّاكم و النظرة (اي النظر الى النساء الاجنبيّات) فانها تزرع في قلب صاحبها الشهوة و كفى بها لصاحبها فتنة،...

٢٤- بحار الانوار ج ١٤ ص ٣٣١.

٢٥- بحار الانوار ج ١٤ ص ٣٢٠.

٢٦- نفس المصدر ج ١٤ ص ٢٨٨.

ويل لمن كانت الدنيا همّه والخطايا عمله، كيف يفتضح غداً
عند ربّه»^{٢٧}.

الدرس التاسع عشر

الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) النور المشرق في دياجي الظلام

العالم قبل الإسلام:

ان التاريخ الصحيح ليعرض لنا بكل وضوح ذلك الوضع المزرى للعالم قبل الإسلام.

امم مملأى بالفساد، وتفش للظلم، وسفك للدماء وعبادة للأصنام وضلال ما بعده ضلال، كل ذلك يلوح لنا بوضوح في مرآة التاريخ.

إن الإنسان يكاد ان يحكم بأن البشرية كانت على حافة الهوى قبل الإسلام الى المنحدرات السحيقة، ووديان العدم في اي لحظة.

الأديان والمذاهب السائدة:

في شبه الجزيرة العربية:

لقد فشت في العرب آنذاك عبادة الأصنام فهم يصنعون اصناما على هيئة ما يرونه بأعينهم ولا يسجدون في رحابها فقط بل انهم كانوا.

يسلمون ما يملكون وحتى بعض محاصيلهم الزراعية اليها^١.
 كما أنهم يعتقدون ان الحياة الدنيا هي الحياة لاغير^٢، وهذا ملازم
 لذاك إذ أنهم حين يرون عجز هذه الأصنام... كيف يمكنهم ان يصلوا الى
 واقع البعث والنشور؟
 فلم يكن من العجيب ان يجعل هؤلاء البيت الذي بناه ابراهيم
 بامر الله محلاً لأصنامهم المختلفة^٣.

في إيران:

وفي إيران أيضا كانت تروج هناك اديان مختلفة، ولكن الدين
 الأكثر انتشارا كان هو الدين الزردشتي، وكان هو الدين الرسمي لإيران
 القديمة.

ولو قبلنا ما يقال من ان (زردشت) كان نبياً جاء بدين يدعو الى
 التوحيد فإنه يجب القول بأن تعاليمه الحقيقية قد انقلبت رأساً على عقب
 بمرور الزمان شيئاً فشيئاً إذ أنه غير مسيرته ليصبح جسراً للطبقات الحاكمة
 ثم غير شكله ايضا واخيراً تغيرت ماهيته وحقيقتها.

وهكذا تحولت شعاراته الرائعة المعنى الى مجرد ستار يغطي كل
 انماط السلوك التي كانت تصدر من الأشرار المتنفذين والزعماء الدينيين و
 ذلك لمصلحتهم الشخصية ومصحة الطبقات الحاكمة فتقلب اصول الدين
 رأساً على عقب وهكذا مال التوحيد فيه الى الشرك وذابت كل التعاليم

١- مستفاد من سورة الانعام الاية ١٣٦.

٢- سورة الجاثية الاية ٢٤.

٣- الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٣٧، تاريخ يعقوبي ج ١ ص ٢٢٤.

النقية المفيدة لتحل القشور محل اللباب.

فقد احييت آله العصور الاولى للشعوب الآرية. ووجدت متنفسا بين الزردشتيين.

يكتب (جان - ناس) قائلا:

إن الهة (اليازاتا) هي نفسها الآلهة القديمة جداً للعصور الأولية التي عاشتها الشعوب الآرية وقد تجلت مرة ثانية في الأفاستا.

... ومنها وايو vayo إله الريح ولكن الأهم والأجل من الجميع هو «ميترا» (إله الحب) الذي ذكر في النصوص الأخيرة للأفاستا - وهو كتاب زردشت - بجلال وإكرام. فيترا في نظر العامة هو الإله الأعظم للنور والإشراق وهو الذي يثيب الصادقين ويساعد من استمد منه العون حتى بلغ الأمر إلى حد جعل الزردشتيين يقولون بأن أهورامزدا - إله الخير عندهم - نفسه كان يقدم الضحايا على مذبح ميترا.

إن سكان إيران لم يجعلوا لأهورامزدا شركاء ونظراء فحسب بل انهم تجاوزوا حتى حدود المعتقدات القديمة لأجدادهم الآريين^٤.

لقد راجت بين الزردشتيين كثيراً جداً عبادة عناصر الطبيعة ومنها الشمس، والنار ولهذا السبب نجد أن الساسانيين كانوا يشترطون على رجال الدين المسيحي عند إجبارهم عن التخلي عن دينهم أن يعبدوا الشمس بدلاً من معبودهم السابق، وهذا المعنى مصرح به مراراً عديدة في رسائل الشهداء السريان.

فلقد طلب «شاهپور الثاني» من سيمون البرصعي أن يعبد

٤- اديان البشرية لجان ناس ص ٣١٤ (الترجمة الفارسية).

الشمس^٥ وعن عبادة النار يقول جان:

ان عبادة النار (آذَن) هي من الرسوم والآداب القديمة جداً للإيرانيين وتمتلك أهمية خاصة لديهم^٦.

وقد بلغ إله النار دون الآلهة الأخرى وعلاوة على مقام الألوهية بلغ شيئاً فشيئاً الى مقام البتوة لأهورامزدا^٧.

وجاء في كتاب (مِأَة بَاب) الذي يحوى الاحكام الدينية للزردشتيين انه:

«يجب على كل المتدينين ان يدعوا الشمس في اليوم ثلاث مرّات... وهكذا القمر والنار فالواجب اذن في الدين الصحيح الدعاء والتضرع لها جميعاً»^٨.

عند الرومان:

ولا يقلّ وضع الرومان الدينيّ فساداً عن الوضع في ايران آنذاك. فقد فقدت المسيحية واقعها الأصيل وتعلقت بالشرك والوهية الأقانيم الثلاثة.

وهكذا كان الأمر في بريطانيا وإسبانيا فلم يعتقد الناس فيها بالتوحيد. وكذلك الحال في الهند فقد كانت هناك أديان مختلفة ولكن عبادة الأصنام كانت هي الدين الأكثر رواجاً.

٥- ايران في عهد الساسانيين فارسيّ ص ١٦٤.

٦- التاريخ الجامع الأديان ص ٣٠١.

٧- ايران في عهد الساسانيين ص ١٦٨.

٨- كتاب «سَدَّ ذَر» الباب التاسع والخمسون ص ١٢٤.

التفاوت الطبقي وتمييز العنصري:

كان الناس في إيران يقسمون الى طبقات لكل طبقة حدودها و امتيازاتها و كانت الطبقة المنتسبة للحكام هي الحائزة على اوفر الامتيازات.

يذكر الطبري ، المؤرخ المشهور، أن الفواصل الطبقيّة كانت كبيرة بحيث أنه لم يكن من المسموع به للطبقات الكادحة تعلم القراءة و الكتابة في زمن أنوشيروان.

وقد كان ذلك التمييز الاجتماعي انذاك قوياً و ظالماً جداً و غير انساني الى حد جعل الفلاسفة الرومانيين الذين جاؤا الى ايران نظراً لما كان يشيع من عدالة أنوشيروان و حبه للعلم جعلهم يتركون ايران متألّمين ناقين^٩.

كما اننا نلاحظ في شاهنامه الفردوسي صوراً واضحة للتردى الاجتماعي ايام انوشيروان هذا و اوضحها قصة الشيخ صانع الأحذية. فقد كان انوشيروان يقود معارك حامية ضد جيوش الروم في مكان بين عمورية و حلب و عندما بلغت السنة اللهب و طلائع الحرب الى بوابات حصن (سقيلا) محط الجيش الإيراني كان هناك ثلاثمائة الف جندي ايراني يواجهون نقصاً من حيث المال و الطعام و السلاح فَعَلَّتِ الصرخات من الناس تطلب من القيادة مما جعل أنوشيروان نفسه يصاب بعلّة جراء التفكير الكثير بهذا النقص و لذا فإنه يستدعى القائد

٩- ايران في عصر الساسانيين تأليف البرفسور كر يستين سن ص ٤٦٠ من الترجمة

«بُزْرُگْمِهْر» و يطلب منه ان يذهب الى منطقة بعيدة يبدوا أن فيها مخازن للذخيرة والطعام ليجلب كل ما هناك الى الملك و جيشه.

ولكن القائد الذي يرى ان خطر الهزيمة قريب، وان الطريق الى ذلك المكان بعيد يذكر نوشيروان بذلك و يقترح عليه بأن يقوم بدلا من ذلك بعملية (الاقتراض من الشعب) فيوافقه الملك على ذلك و يأمره بتنفيذها.

و يختار القائد بزركمهر رجلاً بهي الطلعة حسن المقابلة و يرسله الى أقرب المدن كى يستدين من الموسرين فيها الطعام والسلاح.

و يطلع المبعوث خلال بحثه على وجود صانع للأحذية يستطيع رغم انه من الطبقة الكادحة ان يوفر له كل احتياجات الجيش و هو مستعد للقيام بذلك بكل شوق ولكنه في قبال هذا العمل يرجو أن يقوم انوشيروان بمنح ابنه حق التعليم و هو حق يختص بالطبقة الحاكمة و النبلاء فقط.

ورجع المبعوث الى الملك ليخبره بذلك ولكن انوشيروان اعتبر ذلك جسارة كبرى من الشيخ و خيانة للنظام الطبقي القائم و صرف النظر عنه مع كل احتياجه اليه و وبخ القائد على إغواء الأرواح الشريرة له مع حكمته و عقله، و يأمره بأن ينصرف عن مثل هذا الرجل و أن لا يأخذ منه شيئاً و ذلك تحسباً للعواقب فان ابن ذلك الشيخ صانع الأحذية اذا تعلم و درس فإنه سيمتلك علماً و فناً في المستقبل مما يجبر ابن الملك الذي سيعتلى العرش بعد وفاة ابيه، يجبره على ان يطلب من ابن الشيخ ان يعينه في بعض الأمور، و هذا أمر لا يمكن ان يكون فكيف تمتد الطبقة الحاكمة يدها الى الطبقة المحكومة؟ كلا فإن ذلك سيوجب الحسرات لابن الملك

واللعنات على الملك نفسه على سماحه بذلك وعليه فيجب على القائد ان لا يطلب اى شىء من ذلك الشيخ لان الشيخ قد طلب فى قبالة المحال .
وهكذا الحال عند الروم، والهنود فقد قسم المجتمع الى طبقات و خصصت حقوق ملكية الارض و التجارة و تخفيف الضرائب بالنبلاء فقط .
وعلى اى حال فقد كان كل قوم فى العالم يعتزون بعنصر يتهم و يتصور كل منهم انه افضل عنصراً اودماً من الآخر.

المرأة فى مجتمعات ما قبل الإسلام:

فى نظر العرب: كانت المرأة سلعة تعد من جملة ما يملكه الأب اوالزوج فهى تورث بعد موته، و كان وجود البنت يعتبر عاراً: فى حين كانت بعض القبائل تئذ هذا العار فتدفن بناتها حية فى التراب^{١٠} .
وفى إيران لم يكن وضع المرأة احسن من ذلك فى ذلك النظام الطبقي المنحط .

اما عند اليونان فقد كانت المرأة موجوداً منحطاً الى الأبد فهى نسل الشيطان و ان كانت تشبه الحيوان كما انها فى الهند كان يجب عليها ان تعيش تحت سيطرة الأب اوالزوج أوالأبن و يجب عليها ان تخاطب زوجها بعبارات الإله، السيد، الملك، كما انها لا تمتلك حق التملك كسائر العبيد، كما انها لا تملك ان تتزوج بعد وفاة زوجها كما ان العادة القبيحة ساتي Sati = وهى حرق الأراامل مع اجساد الأزواج- كانت من

١٠- مستفاد من سورة النحل الاية ٥٩ .

الرسوم الشائعة آنذاك.

وفي اليابان كان يجب على النساء ان تعيش طول عمرها تحت إشراف الأب او الزوج او الإبن ولم تكن البنات تملك حق أخذ الإرث مطلقا وفي الصين كان الأب يمتلك سلطات واسعة في العائلة فهو يستطيع ان يبيع زوجته و ابنائه كأرقاء وحتى انه كان يمتلك حق قتلهم. وينقل لنا ويل دورانت قطعة شعرية لأحد شعراء الصين القدمى وهى تعبر تماما عن ألم نساء الصين وقد جاء فيها ما أقبح وآلم ان يكون الإنسان امرأة فليس فى الأرض شىء رخيص مثلها.

وعند ما تولد بنت، فانه لن يتفتح برعم سرور على شفة أحداً و طلعتة مطلقاً^{١١}.

وفي مثل ذلك المجتمع لم تكن للبنات أية قيمة حتى انها كانت تعطى احيانا للوحوش الطالبة للطعام^{١٢}.

هذا فى حين ان الرومان كانوا يعتبرون المرأة المظهر الكامل لتجسد الشيطان و كل الأرواح المؤذية، ويجعلونها تحت اشرافهم كالأطفال.

ان كل المجتمعات آنذاك كانت اذن تغرق فى عالم من الفساد والظلام و الظلم فى مختلف جوانبها. ولم تكن تلوح فى اى نقطة من نقاط العالم اشعاع نور. هذا وان كان الشوق نحو الإصلاح والخير يعيش بصورة باهتة فى اعماق الفطرة الإنسانية ولكنه على اى حال يضع فى خضم من الألوان الاجتماعية الصارخة السوداء و تيار من الفساد الجارف والشهوات

١١ و ١٢— من قصة الحضارة (ويل دورانت) القسم الثالث ص ١٠٦٨ — ١٠٦٣.

الجماعة، وانواع الظلم والاستعباد، يضاف الى ذلك ما يلقيه الجوع والذلّ من ظلال قاتمة كل ذلك مما يغطي على ذلك الميل الفطريّ، ولا يجعله يتلمس طريقه الى الواقع ليهدى الباحثين عن النور والنزاهة والسعادة...
لقد كان الظلام يشكل غمامة سوداء متجهمة في افق الحياة اليوميّة لكل المجتمعات آنذاك فهي تبثّ الرعب والوحشة في مختلف الأرجاء ولا يرجى الخلاص منها الا بشروق شمس تبدد الظلام وتمزق أستاره.

و كان التجهم قد بلغ أعلى حد له في الجزيرة العربيّة فكانهم قد بلغوا أعماق الفساد والضلال.

وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يحدّثنا عن حالتهم فيقول «وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار متنخون بين حجارة خشن وحيّات صّم، تشربون الكدر، وتأكلون الحشيب، و تسفكون دماءكم، وتقطعون ارحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»^{١٣}.

ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم:

ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلّم يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأوّل سنة ٥٣ قبل الهجرة^{١٤} في مكة المكرمة
و كان أبوه عبد الله من أبناء إسماعيل عليه السّلام وقد توفي قبل ان يرى ولده كما ان والدته من اطهر نساء ذلك العصر.

١٣- نهج البلاغه شرح عبده ص ٦٦ طبع بيروت.

١٤- الموافقة لسنة ٥٧٠ ميلادية.

وقد سلم صلى الله عليه وآله وسلم الى امرأة طاهرة هي حليلة السعدية لتقوم على ارضاعه وتسهر على العناية به. ولما تم له ثلاث سنين طلب من حليلة ان يذهب مع اخوته الرضاعيين الى الصحراء قالت حليلة:

(فلما اصبح دهنته وكحلته وعلقت في عنقه خيطاً فيه جزع يمانية فنزعها ثم قال لي: يا اماء ان معي من يحفظني)^{١٥}.

وهذه القصة توضح لنا انه صلى الله عليه وآله وسلم كان منذ الصغر مورداً للعنايات الإلهية، ولذ كان يهدى للأعمال الصالحة الحسنة بمعونة الملائكة وعن طريق الإلهام.

وقد كانت أفعاله واقواله في الصغر بشكل يجلب اليه انظار الجميع اما في عهد الشباب فقد كان بعيداً عن كل ما لوث حياة الناس فلم يشترك في اى مجلس هوأوشرب خمر، مستهيناً بالأصنام وعبادتها، صادق اللهجة، حسن السيرة وكان الناس يطلقون عليه قبل البعثة لقب «الأمين».

لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ذا قلب طاهر وفكر مشرق ووجود منصرف نحو الخير، ولذا تراه يذهب شهراً في كل سنة الى غار خارج مكة يقال له (غار حراء) فيعبد الله هناك ويتقدم اليه بشتى انواع الدعاء والتضرع، وما ان ينتهى ذلك الشهر فانه يرجع الى مكة ولكن قبل ان ياتي بيته يمر بالكعبة ويطوف بها سبعاً أو أكثر ثم يرجع الى بيته.

وفي السنة الأربعين من عمره الشريف وبينما كان متعبداً في

«حراء» اختير للنبوّة.

وفي خلال ثلاث سنوات لم يكن مأمورا بدعوة الناس علنا للإسلام، وما آمن به خلال هذه المدة إلا نفر يسير، فكان أول من آمن به من الرجال هو علي بن أبي طالب عليه السلام ومن النساء خديجة عليها السلام^{١٤} زوجته الشريفة. وبعد مضي ثلاث سنوات أمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعلن دعوته للناس، فدعى عشيرته الأقربين إلى وليمة واجتمع في بيته حوالي أربعين شخصا منهم وكان الطعام الذي أعدّه لهم لا يكفي إلا لشخص واحد ولكن ذلك الطعام أشبعهم جميعا بإذن الله، وكان هذا مبعث عجب شديد لهم في حين قال أبو لوط دون أن يفكر في قوله: هذا ما سحركم به الرجل فسكت صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب فلما أكلوا وأشبعوا قال لهم:

«يا بني عبدالمطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم فأيتكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيبي وخليفتي فيكم؟ فلا يجيبه أحد إلا علي عليه السلام فأخذ برقبته ثم قال: إن هذا أخي ووصيبي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا^{١٥}.

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم صعد جبل الصفا يوماً فقال: يا صباحاه فاجتمعت إليه قریش فقالوا: مالك؟ فقال أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني قالوا: بلى قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد ولكن اباهب خاف أن يصدق الناس

١٦- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٥٩ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤٥.

١٧- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٧١ - ١١٧٣ - مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٦.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم فصرخ (ألهذا دعوتنا جميعاً؟).

نعم، بدأ رسول الإسلام دعوته بشعار التوحيد؛ والتوحيد هو أساس كل العقائد الأخرى، وعرف الناس بالله تعالى الذى هو أقرب للإنسان من نفسه، وألغى كل أنواع الشرك وعبادة الأصنام وأوجد تحولاً عظيماً في مجال مكة وجلب الى دعوته افكار المجتمع ورغم ان قریش وزعماءها كانت تعمل جاهدة لإيقاف تقدم دعوته وسعت لمنعه من الدعوة وحتى أنها صممت وخططت لقتله، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم وبلطف الله ومعونته تغلب على كل تلك العقبات والمؤامرات بحكمته وصموده وانتشرت الدعوة الإسلامية شيئاً فشيئاً وازداد تفهم الناس وتقبلهم لها وشمل ذلك الآتين من خارج مكة فكانت الأرواح تهفو إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي السنة الحادية عشرة من بدء الدعوة جاء بعض المدنيين من افراد قبيلة «الخزرج» الى مكة لأداء مناسك الحج فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الإسلام فقبلوا جميعاً وأعطوه عهداً بأنهم ما ان يرجعوا الى المدينة حتى يدعوا الناس الى الإسلام، ورجع هؤلاء المسلمون الأوائل الى المدينة ونشروا دينه بين الناس وفي السنة الأخرى جاء اثنا عشر شخصاً من اهل المدينة وبايعوا النبي في مكان يقال له «العقبه» على ان لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بهتان يفترونه بين ايديهم وارجلهم ولا يعصوه في معروف، وعند ذلك بعث صلى الله عليه وآله وسلم معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، وازداد الإسلام بعد هذه البيعة يثرب انتشاراً.

هجرة النبي (ص):

و بقي (ص) في مكة الى السنة الثالثة عشرة من البعثة يدعو الناس الى الإسلام ويصمد أمام كل أذى يأتيه من قريش، ولكنه علم في النهاية بأن قريشا تخطط تخطيطاً عجبياً لقتله فأسرَّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى علي عليه السلام ليلة الهجرة ان ينام في فراشه وغادر مكة سراً والتجأ الى غار ثور ثم هاجر الى المدينة.

وتعتبر الهجرة النبوية منعطفاً رائعاً في التاريخ الإسلامي وبدءاً للتوسع الإسلامي وبناء الأمة الإسلامية، ولهذا السبب أصبحت الهجرة النبوية مبدأ للتاريخ الإسلامي.

ومع هجرته صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وبدئه ببناء المجتمع المسلم عاشت القبيلتان المتناحرتان سابقاً (الأوس والخزرج) متحابتين متآخيتين.

وهكذا كانت واقعية سلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخصائص الروحية والأخلاقية له صلى الله عليه وآله وسلم وكون الإسلام ديناً ملائماً للفطرة الإنسانية كل ذلك كان الباعث على ان يدخل الناس في الإسلام زرافات ووحداً.

لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من الناس وبينهم، فلا يفصله عنهم فاصل، يشترك معهم في العسر واليسر، يحارب الظلم وينهي عنه بشدة، وقد جاءت تعاليمه السماوية رفعةً لقدرة الانسان ومركزة كرامته وخصوصاً المرأة فقد بين كل ما من شأنه رفُّع قدرها وتخليصها من انواع الظلم الفاحش الذي اصابها من جهة وإنقاذها من الانحراف الى دروب الهوى والشهوة وفقدان العفة فوضع اسس تطور المرأة وتكاملها على ضوء

الواقع الصحيح،

ودافع عن حقوق العبيد ووضع تخطيطا واسع المدى لانقاذهم من حياة العبودية.

وأوجد صلى الله عليه وآله وسلم مجتمعا يتساوى فيه الأبيض والأسود، والغني والفقير، والكبير والصغير أمام الله فيستفيد الجميع من مزايا «بشريتهم» فلم يكن هناك اى مجال للتمييز العنصرى بل كان ملاك ومقياس التفاضل منحصرأ بالعلم والتقوى، والفضائل الانسانية والمكارم الاخلاقية. والآن فلننظر بدقة الى نماذج من تعاليمه الحية:

قصة جوير:

و كان هذا رجلا قصيرا دميما محتاجا عاريا وقد اسلم وحسن اسلامه فنظر اليه رسول الله ذات يوم برحمة له وورقة عليه فقال له: يا جوير! لوتزوجت امرأة فعففت بها فرجك واعانتك على دنياك و آخرتك؟ فقال له جوير: يا رسول الله بأبى انت وأمى من يرغب فى فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال فأية امرأة ترغب فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جوير ان الله قد وضع بالاسلام من كان فى الجاهلية شريفا، وشرف بالاسلام من كان فى الجاهلية وضيعا، وأعز بالاسلام من كان فى الجاهلية ذليلا، واذهب بالاسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسقى أنسا بها فالناس كلهم ابيضهم واسودهم وقرشيتهم وعربيتهم وعجميتهم من آدم، وإن آدم خلقه الله من طين، وإن احب الناس الى الله اطوعهم له واتقاهم وما اعلم يا جوير لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلا الا لمن كان أتقى لله منك وأطوع.

ثم قال له انطلق يا جوير الى زياد بن ليبيد فانه من اشرف بني بياضة حسبنا فيهم فقل له اني رسول رسول الله اليك وهو يقول لك: «زَوْجُ جَوَيْبِرَا ابْنَتِكَ الذَّلْفَاءُ» وفعل جوير ذلك فقال له زياد «إننا لنزوج فتياتنا إلا أكفاءنا من الأنصار فانصرف يا جوير حتى ألقى رسول الله فأخبره بعذري» فانصرف جوير وهو يقول والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمعت مقالته الذلفاء بنت زياد وهي في خدرها فأرسلت الى ابياها أن ادخل الى فدخل اليها فقالت له: ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جويراً؟ فقال لها ذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارسله وقال: يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوج جويرا ابنتك الذلفاء، فقالت له: والله ما كان جوير ليكذب على رسول الله ثم طلبت اليه ان يرجع جوير ويذهب هو الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففعل وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: بأبي انت وأمي ان جويراً أتاني برسالتك... ونحن لانتزوج الا اكفاءنا من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا زياد! جوير مؤمن، والمؤمن كفواً المؤمنة، والمسلم كفواً المسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب منه «ورجع زياد الى البيت واخبر ابنته بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له: انك ان عصيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفرت فزوج جويراً، فخرج زياد فاخذ بيد جوير ثم اخرجته الى قومه فزوجه على سنة الله وسنة رسوله وضمن صداقه» وقد اعطاه بيتا و كل لوازمه لكي يعيشا برخاء^{١٨}.

نعم اشرق ذلك النور الرائع من منبعه الرحيم في كل القلوب و صاغها موحدة وداعية الى التوحيد دائماً...

فاذاً بتلك القلوب التي كانت تغرق في أحوال الظلام والتلوث، وهي تهفو الى ذلك المشعل الوهاج كالفرش فتهدى بنوره وتعيش في ظل تعاليمه و تخطوبخطى ثابتة على طريق السعادة، ودخل الناس في دين الله افواجا يقول «يونس و يلي به» في كتابه «حياة محمد» ص ١٧٧:

«... لقد جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدين مهذب لكل

افراد العالم فقد كان يمثل عنايات الله ورحماته».

و لقد اختاره الله العظيم ليطلع المسيحيين الضالين على الحقيقة، و يحطم الأصنام، و يدعو الإيرانيين الى التوحيد و هكذا نشر فكرة «التوحيد» المقدسة على مساحة من الارض تمتد من أسوار الصين الى سواحل إسبانيا. ان دين محمد قد بلغ من الحكمة حداً لا يحتاج في تبليغه و نشره الى اى استعمال للسيف والقوة، فيكفي ان تعرف اصوله للناس ليؤمنوا به بلاء قلوبهم.

لقد كان لمطابقة مبادئ دينه مع العقل الانساني الواعي الاثر الفعال لغرس الايمان بالاسلام في قلوب اكثر من نصف اهل الارض و تعمقه فيها وذلك خلال اقل من نصف قرن من الزمان.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
النبىّ المعروف من قبل بعثته

فترة الانتظار والأمل

لقد بشر الأنبياء السابقون عليهم السلام وخصوصا موسى و
عيسى عليهما السلام اتباعهم بظهور الإسلام حتى انه جاءت بعض اوصاف
نبي الإسلام في كتبهم السماوية.
ومن هنا رأينا اليهود والنصارى واتباع باقي الأديان في فترة ما
قبل البعثة يعيشون فترة انتظار وشوق شديد لظهور الاسلام بعد أن دب
اليهم الضعف والوهن والتمزق والتحريف فعادت سفينتهم محطمة الشراع
منهكة القوى. فليس إلا الأمل وانتظار الوصول الى ساحل النجاة^١ وحتى
ان عدة من اليهود قد عينت كتبهم مكانا بخصوصه يقع بين جبل غير
جبل أحد^٢ كمركز للحكومة الإسلامية ولذا فقد بحثوا عنه بجد وارتحلوا

١- راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢١ و ص ٢٢٦.

٢- غير جبل في جنوب المدينة وأحد في شمالها (الجبال للزمخشري ص ٨ و ١٠٠).

اليه وظلوا يعيشون على أمل ظهور الحق والإسلام^٣.
والقرآن الكريم اصدق شاهد على ان التوراة والإنجيل قد أخبرا
بظهور نبي الإسلام اذيقول تعالى:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَ
نَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^٤

ويقول تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ
رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ
مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُقُوهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»^٥.

والمثل في الإنجيل يشير الى انه صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه قد
بدأوا الطريق من الصفر وبلغوا أوج القوة وانتشار العقيدة مما أدهش الدنيا
وجعلها تكبر تلك التضحيات والاتحاد والايان.

ويقول تعالى ايضا:

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

٣- الكافي - الروضة ص ٣٠٨.

٤- سورة الاعراف الاية ١٥٧.

٥- سورة الفتح الاية ٢٩.

إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ^٦.

ويقول تعالى:

«الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^٧ ويقول تعالى ايضا:
«الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»^٨.

ويبدو من خلال هذه الآيات أن الأنبياء السابقين قد بشروا بمجىء النبي «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم وبينوا بعض خصائصه وكان ذلك في ضمن بشارات في كتبهم الدينية الى حد أنه لم يبق اى شك او ترديد لدى اهل الكتاب بظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام.

والدليل على ذلك هو أنه لو لم تكن كتب اليهود والنصارى تحمل تلك البشارات لم يكن من المنتظر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكل وعيه وحكمته وتفكيره الرائع ان يقوم باثبات صحة رسالته بمواجهة اهل الكتاب وأخبارهم بأن اسمه وصفاته موجودة في التوراة والانجيل الذين هما في ايديهم؛ وذلك لأن أعداء محمد صلى الله عليه وآله وسلم سوف لن يتركوا الأمر يمر دون أن يجمعوا كل نسخ الإنجيل والتوراة ويشتبوا ان مثل تلك البشارات لم تكن موجودة في كتبهم.

٦- سورة الصف الآية ٦.

٧- سورة البقرة الآية ١٤٧.

٨- سورة الأنعام الآية ٢٠.

ان التاريخ شاهد على انهم سلكوا كل الطرق الممكنة لمعارضته صلى الله عليه وآله وسلم حتى الحرب والقتال ولكنهم لم يعارضوه مطلقاً بهذا الطريق السهل البسيط ليثبتوا عدم وجود مثل تلك البشائر في كتبهم.

ويتضح من هذا أن الكتب المقدسة كانت تحوى بشارات وافرة حول رسول الاسلام.

بعض الشواهد التاريخية الأخرى

قبل ان يظهر الإسلام كانت تعيش في المدينة فئتان من الناس: الفئة الاولى: اليهود الذين تركوا موطنهم الأصلي و حلوا في المدينة شوقاً الى ظهوره صلى الله عليه وآله وسلم^٩.

الفئة الثانية: قبيلتا الأوس والخزرج و كانوا من بقايا تبع — أميراليمين — ويروى ان تبعاً لهما وصل الى المدينة وعلم ان ذلك المكان سيصبح مركزاً للدعوة الإسلامية، أوصى الأوس والخزرج بان يبقوا هناك، قائلهم:

كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي اما انالوا دركته لخدمته و لخرجت معه^{١٠}.

وقد بقوا هناك و ازدادوا عدداً وقوة الى حد أنهم كانوا يغزون اليهود وينهبوهم... ونسوا شيئاً فشيئاً السبب الذي دعا أسلافهم للبقاء في يثرب.

٩— روضة الكافي ص ٣٠٨.

١٠— بحار الانوار ج ١٥ ص ٢٢٣.

اما اليهود الذين لم يكونوا يمتلكون قوة في قبالهم فقد كانوا يسلون انفسهم بظهور نبي الاسلام والخلاص من تجاوزاتهم... يقول القرآن الكريم حول اليهود:

«وَكَاثِبُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ»^{١١}.

(ابن حواشي) من علماء اليهود ترك الشام وجاء الى المدينة شوقاً لرؤية نبي الإسلام ولكنه لم يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال حياته، ومن هنا فقد أوصى اليهود عند موته وقال لهم:

«تركت الخمر والخمير، وجئت الى البؤس والتمور لنبي يبعث، هذا أوان خروجه يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته وهو الضحوك القتال، يجتزى بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار العارى، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع على عاتقه، لايبالى بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفق والحافر»^{١٢}.

كان زيد بن عمرو بن نفيل اجمع على الخروج من مكة يضرب في الارض، ويطلب الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام... فخرج زيد الى الشام يلتمس ويطلب في اهل الكتاب دين ابراهيم عليه السلام ويسأل عنه فلم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى اتى الموصل والجزيرة كلها، ثم اقبل حتى اتى الشام فجال فيها حتى اتى راهبا من اهل البلقاء فتبعه، كان ينتهى اليه علم النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام

١١- سورة البقرة - الآية ٨٩.

١٢- بحار الانوار ج ١٥ ص ٢٠٦ و كذلك في سيرة «ابن هشام» توجد نفس القصة

ولكن باسم ابن هيبان ج ١ ص ٢١٣.

فقال له الراهب:

أتك لتسأل عن دين ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم لقد درس علمه، وذهب من كان يعرفه ولكنه قد اظلك خروج نبي يبعث بأرضك التي خرجت منها بدين ابراهيم الحنيفية فعليك ببلادك فانه مبعوث الآن، هذا زمانه، ولقد كان في شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج مسرعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى اذا كان بارض لحنم عدوا عليه فقتلوه وقد ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بخير وقال:

«وكان فيما ذكروا أنه يطلب الدين فمات وهو في طلبه»^{١٣}.

أمّا بحيرا - العالم المسيحي - فقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في طفولته وعرفه من العلامات التي اخبرته بها الكتب السماوية، و قال لأبي طالب الذي اصطحب النبي معه:

«فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم»^{١٤}.
و كذلك نجد أن نسطور، العالم المسيحي الآخر، يبشّر بنبوّة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم عند ما رآه في سنّ الشباب ويقول: «هونبي وهو آخر الأنبياء»^{١٥}.

وهكذا وبناء على تنبؤات الكتب المقدسة رأينا مجموعة من الناس منذ أوائل طلوع الاسلام تؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلّم بدون اى

١٣- بحار الانوار ج ١٥ ص ٢٠٦ - ٢٠٤.

١٤- سيرة ابن هشام ج ١ القسم الاول ص ٨٣.

١٥- طبقات ابن سعد ج ١ القسم الاول ص ٨٣.

عامل اجباري مطلقاً.

إيمان أهل المدينة بالإسلام:

ما ان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله تعالى لكي يقوم بدعوة الناس للإسلام حتى انطلق يبلغه لهم بكل حرارة.

وفي ايام الحج — والذي كان موجوداً آنذاك بشكل معين — كان (ص) يتصل بمختلف الأشخاص عارضا الاسلام عليهم.

و كان من جملة من اتصل بهم بعض الأشخاص من قبيلة الخزرج حيث سأهم عن قبيلتهم فقالوا بأنهم من الخزرج وعندها طلب صلى الله عليه وآله وسلم منهم ان يسمعوا حديثه ومقالته فأجابوه بالإيجاب.

و حينذاك دعاهم الى الله الواحد وقرأ عليهم بعض الآيات القرآنية فأخذتهم روعة القرآن وسمو معانيه الى حد جعلهم يقولون «والله انه للنبي الذي تواعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه» فامنوا به ورجعوا الى المدينة فذكروا لقومهم وألّفوا لدى قومهم قلوباً مفتوحة ونفوساً متلهفة لدين يجعلهم موحدين كاليهود بل يجعلهم خيراً منهم.

وفي العام التالي أتى الموسم إثناعشر رجلاً من أهل يثرب فبايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيعة العقبة الأولى وأنفذ معهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير ليعلمهم الاسلام وقرئهم القرآن.

واقام مصعب بين المسلمين من الأوس والخزرج يعلمهم دينهم و يلاحظ مغتبطاً ازدياد الانتصار.

و كان من جملة من أسلم نتيجة لذلك «أسيد» سيد الأوس

واخبر قبيلته بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو النبي الذي بشرت به اليهود، فأسلمت قبيلته وهكذا انتشر الاسلام في المدينة. وبدأت هجرة المسلمين كذلك الى المدينة الى ان انتهى الأمر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هاجر اليها ليضع أسس الحكومة الاسلامية.

قصة إسلام سلمان

كان سلمان إيرانيّاً من أبناء الأشراف و كان أبواه من أتباع زردشت ومن خدمة النار- وكانا يحبّان سلمان حباً شديداً - وكان اسمه رُوزبه. ويعلمانه عقائدهما الدينية و يمنعانه من الاتصال بالأخرين وبينما كان سلمان يقوم بمهمة الحراسة للمزرعة التي كلفه أبوه بحراستها ويطوف في تلك النواحي اذ لاحت له كنيسة وفيها اناس يتعبدون لله تعالى... وما ان شاهد سلمان ذلك حتى غرق في التفكير وتقدم نحوهم وبقي لديهم الى الغروب... فعرف بالتالي ان معتقداتهم افضل من معتقدات آبائه.

فسألهم: اين مركز هذا الدين فأجابوا: الشام.

ولما كان الأب قد قلق على ولده فقد أرسل من يطلبه وعندما

رجع الى البيت سأله الأب اين كنت؟

فحدثه بالأمر ولكن اباه قال له ان دين آبائك افضل فرد عليه

«روزبه» لقد ادركت بتفكيرى ان دينهم هو الأفضل فغضب أبوه واهانه وحبسه في المنزل.

وفي الأثناء ارسل «روزبه» خفية رجلا الى المسيحيين يطلب

منهم ان ينبثوه متى ما جاء تجار الشام و صرفوا بضاعتهم وأرادوا الرحيل اليها لكي يتسلل خفية من الدار ويرحل معهم الى الشام وهكذا كان الأمر:

و هناك تعرف على عالم مسيحي كبير و طلب اليه ان يقبله في خدمته و يتعلم العلم و يعبد الله عنده فقبله المسيحي و بعد ان مات ذلك الحبر انتقل روزه به بإرشاده و وصيته من ذلك الحبر الى أحبار آخرين كانوا من كبار المسيحيين آنذاك و كانت نهاية الأمر أن كان عند حبر عمورية يتعلم و يعبد و عندما قربت منه الوفاة سأله روزه عن الحبر الذي يجب ان يلجأ اليه.

فأخبره بأنه لا يعرف أحداً يقول بمقالته ولكن سيظهر عاجلاً نبي في أرض العرب يهاجر من مسقط رأسه الى الأرض الملاءى بالنخيل و تقع ما بين الحرتين، كما اعطاه شيئاً من علامته و صفاته الرفيعة و انه يقبل الهدية التي تعطى على أساس التقدير و الاحترام و يرفض الصدقة التي تعطى على أساس الترحم و انه توجد ما بين إبطيه شامة و علامة النبوة ثم قال له ان استطعت ان تذهب الى هناك فاذهب.

و بعد ان توفي ذلك الحبر طلب روزه من قافلة كانت متجهة الى بلاد العرب ان تأخذه معها فوافقت، ولكن رجالها غدروا به في الطريق و باعوه رقيقاً الى أحد يهود بني قريظة و قد جلبه هذا اليهودي الى اطراف المدينة ليقوم ببعض الأعمال و ما ان وصل روزه الى ذلك المكان حتى احس بأنه يعرفه جيداً على اثر العلامات التي اخبره بها الراهب و لذا فقد كان في غاية السعادة و بقي يشتغل بأعمال الفلاحة في بستان سيده و يعيش لحظات انتظار النبي صلى الله عليه وآله وسلم و يبحث عنه و لكن لشدة التضيق عليه لم يستطع أن يوسع من نطاق بحثه...

و اذن الله للقاء... اذ قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بعض اصحابه الى مكان وعرف بذلك «روزبه» وقال في نفسه: انها لفرصة نادرة للتعرف على الواقع الذي بحثت عنه طويلا، ورؤية وجود تلك العلامت التي اخبرني بها الراهب.

فحمل شيئا من الطعام الذي كان معه وتقدم نحوه وقال: هذا الطعام صدقة تخصص الفقراء واصحابك كذلك لذا أرجو أن تتقبلوها مني.

وأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاهم لأصحابه وروزبه ينظر بدقة الى فعله ولكنه وجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذق من ذلك الطعام شيئا... فاستولى عليه الفرح الشديد. وبشوق شديد قدم شيئا من طعام آخر كان معه وقال هذه هديتي اليك فارجو أن تتقبلها. فتقبلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسرور واكل منها.

لقد بلغ سروره غايته... ولكنه مازال يطوف حول النبي يبحث عن العلامة الثالثة... و فطن النبي لذلك وألقى ردائه من على كتفه لكي يرى تلك الشامة...

وما ان تأكد من صحة العلامت حتى آمن به (ص) فأسمى بعد ذلك (سلمان) وعمل على نجاته من الرق فانضم الى جمع اصحابه (ص) و اصبح من خواصهم في خلال مدة قصيرة نظراً لنظرته العميقة و ايمانه الراسخ^{١٦}.

١٦- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٢. طبقات ابن سعد ج ٤ القسم الاول

ص ٥٤ - ٥٦. بحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٥٥ الى ٣٦٨.

نعم لقد كان كل الباحثين عن الحقيقة في ذلك المجتمع المجذب المحرق ككل العطاشى ذوى الأكباد الحرى يطلبون نبع الحياة ورواءها هنا وهناك... ولأنهم رأوا انطباق العلامت الواردة فى الكتب المقدسة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لذا فقد لجأوا اليه ورووا غليلهم من معينه وانضموا الى الاسلام زرافات ووحدا اذا يقول القرآن الكريم: (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا).

ولكننا وجدنا البعض من اليهود والنصارى وغيرهم وعلى اثر العصبية اولأجل انهم وجدوا مقامهم ومصالحهم فى خطر وجدناهم فى قبال اولئك المؤمنين يرفضون الايمان به (ص) مع انهم كانوا مطلعين على الحقيقة.

عرفوا عين النجاة والحياة ولكنهم كانوا ينظرون بئأس الى السراب ويأنسون به دون ان يرفعوا ايديهم عن عنادهم فابتلوا بالهلاك الأبدى وفقدوا السعادة المنشودة.

«فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»^{١٧}.

تقول صفية بنت (حى بن أخطب) الزعيم اليهودى:

« فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه ابى حى بن اخطب وعمى أبو ياسر بن اخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمسيان الهوينى قالت فهششت اليهما كما كنت

اصنع فوالله ما التفت الى واحد منها مع ما بهما من الغم قالت: وسمعت عمى ابا ياسر وهو يقول لأبي حنيفة بن اخطب: اهو هو؟ قال: نعم والله، قال اتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت^{١٨}.

ومن نماذج الانحراف والتعصب ما نقل من انه «لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكعب بن اسد ليضرب عنقه... نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا كعب اما نفعك وصية ابن الحواش الخبر المقبل من الشام... قال كعب: قد كان ذلك يا محمد ولولا ان اليهود يعيرني اني جنت عند القتل لأمنت بك وصدقتك ولكني على دين اليهودية عليه احيى وعليه اموت^{١٩}.

ان القرآن الكريم يقول في أمثال هؤلاء الذين قضاوا على حياتهم و

سعادتهم:

«بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ انْفُسَهُمْ اَنْ يَكْفُرُوا بِمَا اَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا اَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَاَبْغَضِبِ عَلٰى غَضَبٍ وَّلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ»^{٢٠}.

١٨- سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥١٨.

١٩- اثبات الهداة ج ١ ص ٣٥٠.

٢٠- البقرة الآية ٩٠.

الدرس الحادى والعشرون

القرآن

معجزة الإسلام العالمية الخالدة

لقد بعث الأنبياء الإلهيون ومعهم العلام و البينات الواضحة التي ترشد الناس الى صدقهم و كونهم سفراء الله الى الخلق.
و من هنا فقد كان اولئك الذين يمتلكون ضميراً طاهراً شفافاً نقياً كنعاء صفحة الغدير، اولئك الأشخاص ما ان يروا تلك العلام حتى يؤمنوا بواقع الرسالة.

و المثل الواضح يضر به القرآن الكريم لسحرة عصر فرعون اذ انهم بمجرد أن رأوا الإعجاز السماوي لعصا موسى عليه السلام و كيف تحولت الى ثعبان عجيب و علموا ان ذلك ليس في مقدور انسان حتى آمنوا بنبوة موسى ايماناً راسخاً ولم يعبأوا بتهديدات فرعون.

و هكذا حوار يو عيسى فانهم رأوا تأثير نفخته بأّم أعينهم اذ كانت تسري في أبدان الأموات فتنهض الأموات بإذن الله تعالى، فأمنوا به و احيوا ارواحهم الميتة و منحوها حياة خالدة.

و رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخر الأنبياء و

اهمهم وافضلهم لما كان بعث بدين خالد يكمل كل الاديان الاخرى ويبقى الى يوم الدين فقد جاء معه بالبينات الواضحات من قبل الله تعالى لتكون دليلاً قوياً على واقعيته وأحقية دينه الأفضل من الجميع.

القرآن... المعجزة الخالدة

وهكذا كان الأمر إذ أصبح القرآن وهو سند خلود الإسلام ساطعاً في آفاق الفكر البشري، وعاد مشعلاً يرفعه دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أعلى قمم العقول البشرية النيرة فتشرق الدنيا به، وينتشر نوره في الأفاق مادام للشمس شروق.

انه الكتاب الإلهي الواضح الذي تشرق انواره على كل العصور و القرون والذي يشكل الضرورة الاولى — وإلى الأبد — لإدامة حياة الناس وتأمين سعادتهم اينما كانوا وإلى أي طبقة اجتماعية انتموا. فقد حوى ذلك القرآن — وهو أساس السعادة — كل ماتتطيع هداية الأمم:

وقد بينت فيه اصول العقائد و كيفية تنظيم علاقة الانسان بالله تعالى و أساليب تحكيم هذه الروابط بأسلوب رائع لطيف يسري الى القلوب كزلال العين الصافي، و بيان متين محكم كاستحكام الرواسي الشامخات. كما انه بينت فيه المسؤوليات الاجتماعية للأفراد و أساليب التعامل المختلفة.

و بفضل تعاليمه الحية فإنه يقضي على كل الاختلافات الطبقية غير الطبيعية و يذيب الفواصل غير المتناسقة بينها. و القرآن بالتالي يعمل على رفعة الانسان و الأخوة السائدة و

التساوي الشامل.

الفصاحة والبلاغة اللتان لانظيرهما

قد لا تكون مسألة الاطلاع على كل التعبيرات و الالفاظ أمراً صعباً ولكن تركيبها التعبيري وترتيبها وتنظيمها بشكل يراعي الفصاحة و البلاغة و صياغة الجمل التي تظل في عالم رفيع في نفس الوقت الذي تكون فيه نافذة الى ذهن القارئ أو السامع، كل ذلك أمر لا يمكن ان يتم بدون رعاية القواعد الأدبية الدقيقة و توفر ذوق فياض و مهارة فائقة.

و قد قيل في مجال (الفصاحة و البلاغة) انها لكي تتوفر يلزم توفر أمور ثلاثة في القول أو الكتابة هي:

الأول — الإحاطة بالتعبيرات و المعاني.

الثاني — القدرة الفكرية و الذوق اللطيف.

الثالث — القدرة التعبيرية.

ولكننا في نفس الوقت يجب ان نلاحظ انه حتى ولو لوحظت كل القواعد و المتطلبات في مجال الفصاحة و البلاغة، فانه لا يمكن ان يدعي الشخص بأن كلامه أو ما كتبه هو الأفضل في كل عصر وأنه لا يمكن ان يؤتى بمثله.

و لكننا نرى ان الله تعالى القدير العليم المطلق قد أوحى الى نبيه (ص) القرآن الكريم الذي لا يمكن لأي أحد ان يجاريه بفصاحته و بلاغته حتى ولو كان أبلغ الناس و أفصحهم.

و هذا هو سرّ خلود الإعجاز في القرآن و خلود السند القوي لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ان التاريخ يشهد بما لا مجال للريب فيه بان القرآن أشرق في زمان بلغت به الفصاحة والبلاغة عند العرب الأوج و كان هناك العديد من فحول الشعراء الذين مازالوا يعدون من نوابغ المجال الشعري حتى ان روي ان الافتتان بشعرهم بلغ حداً جعل الناس يكتبون أشعارهم بماء الذهب و يعلقونها على جدار الكعبة.

ولكن كل ذلك الرقي الأدبي ذاب أمام عظمة القرآن و كأنها النجوم تذوي أمام إشراقه الشمس الباهرة.

فقد دهش العرب البلغاء لبلاغة القرآن الكريم حتى ان أعداء القرآن مع شدة عداوتهم له و رغم انهم لم يتركوا أي وسيلة الا واستعملوها لإيقاف تقدمه، فإنهم لم يستطيعوا ان يجدوا لهم منفذاً في المجال البلاغي أو قصورا في الفصاحة مالمقا فتركوا هذا الجانب و اتجهوا للمعارضة المسلحة.

آراء الأعداء

كان موسم الحج^١ قد حلّ و كان الناس يفدون الى مكة من كل صوب. لأداء مناسكه في حين كانت قریش حائرة في أمرها خائفة من ان يسمع الوافدون صوت الاسلام و يهتدوا بهدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم... ولذا فقد اجتمعت في دار الندوة و قال لهم أحد الزعماء و هو الوليد: إنكم ذؤوا أحساب و ذؤوا أحلام و أن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فأجمعوا أمركم على شيء واحد، ماتقولون في هذا الرجل؟

قالوا: نقول انه شاعر!!

١- كان الحج بشكل من الاشكال يؤدى قبل الإسلام.

فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر.

فقالوا: نقول انه كاهن!!

قال: اذا تأتونه فلا تجدونہ يحدث بما تحدث به الكهنة.

قالوا: نقول انه مجنون!!

فقال: إذا تأتونه فلا تجدونہ مجنوناً.

قالوا: نقول انه ساحر قال وما الساحر؟ فقالوا بشر يحبون بين

المتباغضين و يبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر^٢.

وفي رواية أخرى ان الوليد لما سمع النبي صلى الله عليه وآله

وسلم يتلو (حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافراً الذنب و

قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ) انطلق حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال:

(والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس

ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن

أسفله لمغدق^٣ وإنه ليعلو وما يعلى^٤).

هكذا إذن لم يستطيعوا أن يهتموه الا بأنه ساحر يفرق بين الوالد و

ولده والزوج وزوجته^٥ بعد ان عجزوا عن ان يردوا عليه في الجانب

البلاغي أو يهتموه في الجانب الاخلاقي.

اما الامم الاخرى غير العربية فيمكنها ان تستعرض آراء ادباء

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٣٨٩.

٣- المغدق - مفعل - من الغدق وهو المطر الكبار القطر.

٤- نفس المصدر.

٥- لابدوانهم كانوا يقصدون ان من يسلم يفرق عن عادات قومه وهوهم فينسبون

السحر بمعنى التفریق الى رسول الله (ص).

العرب وبلغائهم وفصحائهم في القرآن الكريم وحينذاك ستجد الخبراء و المتخصصين والنوابغ في هذا المجال وفي كل عصر يشهدون للقرآن بالسمو والرفعة وعدم امكان الاتيان بمثله وقد سجل التاريخ تلك الشهادات و الاعترافات الكثيرة من عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الان؛ هذا عبدالفتاح طيارة العالم المصرى المعروف يؤكد على ان العلماء والأدباء والكتاب في كل عصر اعترفوا بالإعجاز القرآني ووقفوا امامه عاجزين، ولقد حفل تاريخ العرب برجال مشهورين في نثرهم وفي شعرهم و نظمهم كابن المقفع والجاحظ وابن العميد والفرزدق و بشار وأبونواس و أبوتمام وغيرهم الا انهم جميعاً وقفوا خاشعين أمام القرآن ولم يجدوا بداً من الاقرار بان القرآن العزيز ليس من جنس الكلام البشرى وانما هو وحي إلهي^٦.

ويذكر الدكتور طه حسين الاديب القدير المعاصر ان القرآن يسمو على حد النظم و النثر معاً لانه يمتلك خصائص لا يمكن العثور عليها في اى نثر او نظم فلا يمكن اذن تسميته النثر او الشعر بل يجب ان يقال فيه انه قرآن و كفى^٧.

ان هذه الميزة الخاصة هي نتيجة للاسلوب الخاص للالفاظ والجمل القرآنية والتي تجعله عديم النظر مطلقاً.

التناسق الموضوعي في القرآن:

ان الملاحظ ان مايقوله او يكتبه الشخص — مهما كان عالي

٦- روح الدين الاسلامي ص ٣٠ - ٣٢ الطبعة الخامسة (بيروت).

٧- روح الدين الاسلامي ص ٣٠ - ٣٢ الطبعة الخامسة (بيروت).

الكعب في فنه ومبدعاً في تخصصه — ليس متساوياً وعلى نسق واحد دائماً، فالنتاج الأدبي في بدء دخول الشخص في فنه يختلف تماماً عن النتاج الأدبي في السنين التالية والتي يكون فيها الشخص أكثر خبرة ولربما كانت الآثار الأدبية التالية أفضل من ما قبلها.

ومع ان القرآن نزل نجوماً وخلال ٢٣ سنة وفي ظروف مختلفة جداً ومنعرجات كثيرة فتارة في حالة الضيق والضغط واخرى في حالة الرخاء والسلم وثالثة في حالة الحرب والنزال، مع انه كان كذلك الا انه بقي رائعاً في كل حالة ومتناسق العبائر والمواضيع ومتناسب الآيات والسور. فما أجمل هذا التناسق والتناسب في المواضيع والتعبير القرآنية. وبتشد اعجابنا واكبارنا لذلك اذا التفتنا الى ان القرآن تحدث في أمور مختلفة كثيرة منها الاخلاقية ومنها التعاليم الحربية ومنها الاحكام التشريعية ومنها المجادلة العقائدية ولكنه بقي في الجميع رائعاً وفي مستوى عال من التعبير.

وواضح ان المتخصص في فن يستطيع ان يبدع في مجاله الخاص و ما ان ينتقل الى مجال آخر حتى يبدو عجزه ولكن القرآن أبدع في مختلف المجالات ابداعاً لا نظيره وأشرق في مختلف الحقول أيما اشراق.

الإعجاز العلمي في القرآن

ان هدف القرآن الأصيل كان هو هداية الناس و كما صرح هو بذلك، واعطاءهم النظام الحياتي الاكمل وايصالهم الى السعادة الدنيوية والأخروية... ولكننا نشاهد فيه هنا وهناك بعض الحقائق الرائعة من العلوم الطبيعية والفيزيولوجية والفلك وغير ذلك... وهذا

دليل آخر على انه من الله تعالى وذلك لان التاريخ المسلم به يشهد بأمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه لم يدرس عند أحد ، نه كان يعيش في بيئة محرومة من أي معلومات علمية يعتني بها، بعيدة عن المراكز العلمية القائمة آنذاك في اليونان أو الروم أو ايران.

وهذه نماذج من تلك الحقائق:

الف — ان علم الانواء الجوية علم حديث جداً فقد كانت معلومات الماضين لاتعدو ان تكون مجرد حدسيات و افتراضات خيالية حول تكون الغيوم والهواء والمطر والثلج ولم تكن تبتني على اصول علمية. نعم كان البحارة والفلاحون يمتلكون بعض العلامات والقرائن التي يتنبؤون على أساسها بنزول المطر وهبوب الرياح ولكن لم يكن لهم علم بكيفية حصول كل ذلك.

وانقضت آلاف السنين على هذا المنوال حتى حل القرن السابع عشر فاكشف المحرار والقرن التاسع عشر فاكشف التلغراف وهكذا باقي الالات الاخرى اللازمة في مجال معرفة الانواء والطقس وبدأ العلماء البحث في هذا المجال الى ان استطاع عالم نرويجي في النصف الاول من القرن العشرين ويدعى (بيركنس) ان يعطي قاعدة عامة لتشكل وتحرك المجاميع السحابية و حدوث العواصف والأمطار.

وتقدمت المعارف في هذا العلم شيئاً فشيئاً: فعلمت:

كيفية حمل الغيوم وانفصال المطر منها، و كيفية تكون البلورات الثلجية والامور المرتبطة بالصواعق والرعد وعواصف المناطق الحارة والحركة العامة للرياح المحادة للأرض والمسائل الأخرى.

و نحن نجد أن القرآن الكريم عند ما كان يتحدث عن الهواء والمطر كان يعطي بعض الحقائق العلمية التي لم يتوصل اليها العلماء الا في آخر تحقيقاتهم الحديثة.

وأنته ثبت ما هو أهم من ذلك وهو أن رطوبة الهواء تتجمع حول البلورات الثلجية المنعقدة في اعالي الجوال التي تحركها الرياح هنا وهناك، فإذا اصطدمت الرياح بعضها ببعض و اختلطت فثقلت تبدأ القطرات الصغيرة بالتجمع لتكبر شيئاً فشيئاً وبالتالي لتساقط بعد ان يبلغ وزنها حداً يؤهلها لذلك^٨.

في حين يقول القرآن لكريم قبل أربعة عشر قرناً:
 «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَسْقَيْنَا كُثْمًا»^٩.

ب — بعد ان اخترعت الطائرات وأمكن الطيران الى الارتفاعات العالية، بلغ العلم البشرى الى مجال ملاحظة السحب المتكونة والمغطاة بالإبرالثلجية فلم يكن احد يعلم من قبل انه توجد في السماء وفوق رؤوس الناس جبال من هذه الإبرالثلجية^{١٠}.

ولكن القرآن يقول بكل وضوح:
 «وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»^{١١}.
 ج — الموجودات الحية في الأجرام السماوية.

٨ — كتاب (الهواء والمطر في القرآن) «فارسي» ص ٥٩ — ٦٠.

٩ — سورة الحجر الآية ٢٢.

١٠ — كتاب «الهواء والمطر» ص ١٤٠ — ١٤٣.

١١ — سورة النور الآية ٤٣.

مع ان الانسان بمساعدة علم الفضاء استطاع أن ينزل على سطح القمر ولكن مسألة وجود موجودات حية في الكرات السماوية لم تتجاوز المرحلة النظرية نعم هناك علائم كثيرة تقوى احتمال وجود احياء من قبيل الحيوانات او الانسان فيها.

ولكن القرآن يقول بكل صراحة:

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلِيُّ جَمْعُهُمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ»^{١٢}.

د — تقول الاية الشريفة ٣٧ من سورة يس:

«سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» وكذلك في سورة طه الاية ٥٣:
«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى».

والعالم البشري لما لم يكن قد تقدم في العصور الماضية فقدرأينا المفسرين يفسرون هذه الزوجية بمسألة (الاصناف والانواع) او (الصورة والمادة) وسائر الاصطلاحات الفلسفية التي لا يمكن تحميلها على القرآن الكريم.

اما اليوم وعلى اساس التحقيقات الحديثة فقد ثبت انه ليس الانسان والحيوان فقط هما اللذان يسري فيها قانون الزوجية بل النباتات تشاركهما في ذلك.

ان من عجائب الكون الكبرى هذه الزوجية وهذا التلقيح الذي

١٢— سورة الشورى الاية ٢٩ (ومن الواضح ان كلمة دابة تطلق على كل ما يدب اعم من كونه انسانا او حيوانا).

تذكره مؤلفات العلوم الطبيعية.

القرآن يتحدى

ان القرآن لم يكن معجزة في مجال الفصاحة والبلاغة فقط وانما كان كذلك في كل مجال فكري واجتماعي وجميع الناس.

انه كان معجزة للمتكلمين والفصحاء من جهة الفصاحة والبلاغة وللفلاسفة من جهة الفلسفة وللعلماء من حيث الجهات العلمية.

ولهذا فإن القرآن يخاطب الجميع ويقول لهم ان كنتم تزعمون بان القرآن نتاج بشري فأتوا بمثله وذلك كما في مثل قوله تعالى:

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (سورة الإسراء الاية ٨٨).

ويقول تعالى في سورة هود الايتين ١٣ - ١٤:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيهِ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» و

يقول تعالى في سورة البقرة الاية ٢٣:

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

ولكن التاريخ يشهد بانه لم يجزء احد على ان يقف في قبال

القرآن وان يأتي بشئ من مثله.

وقد حاول البعض من العرب من مثل مسيلمة وسجاح وابن ابي

العوجاء ان يعارضوا القرآن بهذا الطريق ولكنهم عجزوا عن ذلك واعترفوا بعجزهم صريحاً.

ولقد سلك اعداء الاسلام في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مختلف الاساليب في صراعهم مع الاسلام وذلك من مثل: تعذيب المسلمين ومحاصرتهم اقتصادياً والتآمر لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن امتنعوا عن ان يعارضوا القرآن بمثل هذا العمل السهل ظاهراً «وهو الا تيان بسورة تشبه سور القرآن».

كذلك نشاهد اعداء الاسلام في العصر الحاضر يسلكون مختلف السبل ويذلون المليارات لتحطيم الاسلام ولكنهم لم يستطيعوا ان يعارضوا القرآن بهذا الاسلوب (وهو الا تيان بسورة شبيهة به) ولو قد فعلوا ذلك لملاءوا الدنيا صراخاً وعجيجاً وأذاعوه على كل مناطق العالم.

إعجاب العلماء الأجانب واعترافهم

وقد اعترف علماء العالم في عصر العلم والرقى بالأعجاز القرآني: تقول سيّدة إيطالية تشغل منصب التدريس في جامعة تابلي بان: «الكتاب السماوي للإسلام نموذج اعجازي... لا يمكن تقليده مطلقاً... اسلوبه وسبكه لانظيره في الادب العربي. وتأثيره الخاص في النفس الانسانية انما ينشأ من الخصائص المفضلة له... كيف يمكن ان يكون مثل ذلك الكتاب من عمل محمد في حين انه كان رجلاً عربياً أمياً؟!»

اننا نشاهد في هذا الكتاب كنوزاً من المعارف هي أوسع من عقل وذكاء اكبر الفلاسفة والسياسيين ولهذا فان القرآن ليس نتاجاً لفرد أمي

أبدأ^{١٣}.

ويقول الاستاذ سنائس:

لاريب في ان القرآن هو ذلك القانون الكلي الكامل الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة فهو إذن يليق بكل العصور والأمكنة، ولو أن المسلمين تمسكوا به كما ينبغي فإنهم سيعيدون مجدهم السابق^{١٤}.

ويقول جان ويليام دروير:

« ان القرآن يحوي الكثير من التذكيرات الاخلاقية وقد نظم سبك تأليفه بحيث اننا لن ننظر في أي صفحة منه الا ونجد أروع كتابة يجب ان يتقبلها الجميع على اختلاف مشارهم. ان هذا التأليف الخاص الذي جاء بشكل أجزاء قصيرة يحمل معه الشعارات والقوانين التي تحوي الكمال بنفسها وهو يقبل الهداية والإفادة لجميع الناس وفي كل مراحل حياتهم»^{١٥}.

وفي الختام

فإن علينا ان نلتفت الى هذه النكته المؤلمة جدا ونؤكد عليها بكل تأكيد وهي:

اننا لو تعرفنا على الواقع القرآني أكثر فأكثر وطبقنا تعاليمه ونظمه السامية الجليلة تطبيقاً شاملاً فان سيادتنا ومجدنا سيعود لا محالة: ان ذلك المجد الرفيع لنا نحن المسلمين لم ينهد الا بعد ان رفعنا

١٣- كتاب «التقدم السريع للإسلام» (فارسي ص ٤٩ فا بعدها).

١٤- تفسير (نوين) فارسي ص ٤٢.

١٥- تاريخ تطور الفكر الاوربي فارسي لندن ١٨٧٥ ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

أيدينا عن العمل بهذا الكتاب السماوي الخالد فسقطنا أرضاً وداستنا الأمم لاننا لم نحفظ من الاسلام الا باسمه فقط.

اننا مسلمون في الجنسية فقط وهذا مما يبعث على الاسف الشديد. ان السمو المفقود لن يعود الا اذا رجعنا عن اتخاذ سبل الضلال والاعوجاج وعدنا مسلمين من جديد ووضعنا قرآنا أمام انظارنا وفي أعماق قلوبنا وفتحناه وجعلناه المثل الأعلى لكل ما ينظم حياتنا بمختلف جوانبها واتبعنا قول الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اذ يقول:

«إِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ»^{١٦}.

الدّرس الثّاني والعشرون

رسالة الإسلام

يمكن تلخيص روح الرسالة الإسلامية في شعار «لا اله الا الله» و هو سرّ علو الإسلام وعظائمه السخي، اذ لو اننا شبهنا الإسلام بالشجرة كانت الافكار والعقيدة بمنزلة الجذور الراسخة وانه لمن الواضح ان سلامة الشجرة وجناها متوقف تماما على سلامة الجذور الأساسية، ولاريب في ان اساس الإيدولوجية الإسلامية المتمركز في ذلك الشعار الخالد يمتلك أروع وأقوى امكانية على المدى المتواصل.

الترباط الوثيق بين السعادة والإيمان:

لو كان صحيحا ما يدعى من انه يمكن إشباع كل احتياجات الانسان بالاسلوب المادّي وان لا احتياج مطلقا لتجاوز ذلك العالم، لكان تأمين الامور المادية للانسان محققا لسعادته.

ولكننا نعلم ونرى ان البشرية تصرخ من الاعماق وفي قلب هذا الرقي التكنيكي والصناعة المعقدة، وتعلن ان الوسائل المادّيّة كلما توفرت اكثر، ازداد العطش الروحي والحاجات المعنوية بصورة اكبر، والشاهد على ذلك، هذه الأزمات النفيسة الخطيرة التي تشكل اليوم اكبر الظواهر

الاجتماعية في قرننا هذا بين المجتمعات الراقية الى الحد الذي افلت فيه الزمام ولم تمكن السيطرة على الأزمات الروحية المتفجرة وخصوصا بين الشباب.

وذلك لان الانسان في عرف التمدن المادي ما هو الانظام حي ولا يمتلك أي قيمة أو رسالة مطلقة للخير أو الجمال أو العلم ولم يعين له طريق في هذا الجو للوصول الى الكمال المعنوي والاشباع الروحي^١.
ان الروح الانسانية السامية مثلها مثل النسر المحلق في الأعالي تتطلب التحليق في كل الآفاق وما لم ترو من منابع الكمال الروحية فانها ستبقى طاغية عاصية.

ان كل هذه التحرقات والاشواق تعبر عن تلك النزعة المواجهة للغرائز التي لن تستقر حتى تصل الى ساحل النجاة.
وليس ذلك الساحل الا ساحل الايمان بالقوة اللا محدودة والعالم اللانهائي والكمال المطلق ونفي كل الارباب الخياليين. ان اللجوء لمثل تلك القوة العظمية والايمان بها ايمانا حقا هو المنبع الذي يثبت الاطمئنان في القلوب وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة السامية با قصر تعبير اذ قال تعالى:

«أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»^٢.

نعم بذكر الله تطمئن القلوب، فهو الملجأ الوحيد والافق الفريد الذي يمكن ان تتعدل الغرائز في ظله فتقود الانسان نحو السعادة.
ان الاسلام يعين قيمة الانسان بهذا المقياس:

١- سوروكين العالم النفس والاجتماعى الروسى.

٢- سورة الرعد الآية ٢٨.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ».

ان هدف الاسلام هو رسم افق اوسع و اعلى، و نجاة البشرية من احوال المادة و الشهوة لكي تتعرف الانسانية على حقول اللذة المعنوية الواقعية و ترجع عن السير في دروب المادية فتخطو بخطوات ثابتة على طريق السعادة.

يقول القرآن:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُخَيِّبُكُمْ»^٣.

ان الدعوة الإسلامية حرية بان تحيي النفوس الميتة و الطاقات الهامدة بتعاليمها الرائعة فتنبو بعد الاحياء و تصل الى رشدتها و تكاملها فتبدو لنا حياة سامية تمشي في ظل الاسلام و قوانينه و تستهدف اروع الاهداف.

و الآن فلنلاحظ بعض أبعاد تلك الحياة التي يردها الاسلام

للبشرية وهي:

- ١- الأخوة الإسلامية
- ٢- الرقابة الاجتماعية
- ٣- الدفع نحو العلم و تعظيم العلماء.
- ٤- العمل و السعي
- ٥- التشكيل العائلي

الاخوة الإسلامية

ان الاخوة الاسلامية تبتني على أمتن الأسس الإنسانية لانها بعيدة عن الدعايات و التشريفات التي لا واقع لها بل هي حقيقة تعمل على تقوية روح التضحية في الفرد المسلم و احياء عوامل الصفاء و المحبة و الايمان فيه و من نتائجها العملية المباشرة ايجاد روح المسؤولية و التألم للآخرين بين الافراد في جميع جوانب الحياة فليس بمسلم من لا يشترك مع المسلمين في آلامهم و يعمل على رفع مصاعبهم.

وقد كانت أطروحة الأخوة الإسلامية في مطلع عصر الاسلام أطروحة رائعة التصميم و التخطيط بحيث جمعت بين الفقير و الغني على صيد الاخوة فعادا أخوين يشعر كل منهما في أعماقه بذلك.

و هذا الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يبين لنا روح الاخوة الإسلامية بشكل واضح و شامل فيقول (ع):

«المؤمن اخو المؤمن كالجسد الواحد ان اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده و ارواحها من روح واحدة»^٤.

و يقول (ع) «حق المسلم على المسلم ان لا يشبع و يجوع أخوه... و لا يكتسى و يعرى أخوه... أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك... كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته و إذا شهد فزره و أجله و أكرمه فإنه منك و أنت منه... و إن أصابه خير فاحمد الله و إن ابتلى فاعضده»^٥.

٤- بحار الانوار ج ٧٤ ص ٢٦٨.

٥- بحار الانوار ج ٧٤ ص ٢٤٣.

الرقابة الاجتماعية

لقد خلق الله تعالى في أبداننا الكريات البيضاء لكي تقوم كالحراس الأوفياء الأذكياء بالدفاع المستميت ضد الميكروبات أعداء صحة البدن وذلك لتحافظ عليه من أضرارها وسمومها.

ويمكن ان تشكل هذه الظاهرة نموذجاً واضحاً لكل المسلمين و موقفهم تجاه ما يحدث في مجتمعهم فيلاحظونه كالحراس الأوفياء اليقظين فما ان يبتل الجانب المعنوي والصدق والاستقامة ويقع تحت قسوة انياب الشيطان والانحراف حتى تراهم ينهضون بكل شهامة وقوة ويقتلعون الفساد من جذوره ولولزم الأمر فانهم يمنحون ارواحهم فداء لذلك.

والإفسوف لن يبقى من المجتمع سوى هيكل عظمي لا روح فيه، و ذلك لان الناس لوتغاضوا عن كل منكر وحادثة في مجتمعهم، و عادوا مستنقعاً ساكناً تنمو فيه الديدان العفنة فان صفاء وجودهم المشرق سيتعفن وسيتعكرو ويصبح مما لا يمكن ان يمنح صفة الوجود الحي.

فيجب ان يعود المجتمع بجرأ يتماوج بالحركية والنشاط لكي لا تستطيع عوامل الانحراف والتقاعس ان تؤثر اثرها فيه.

ومن هنا ولأجل ان يبني الإسلام المجتمع الحي فقد دعى بشدة الى الرقابة الاجتماعية وجعلها من أهم الضرورات الحياتية للمسلمين و ذكرهم في أغلب المواضع بأن المسؤوليات الاجتماعية تقف جنباً الى جنب الوظائف الفردية و ان على المسلمين ان يؤدوا ما عليهم من ديون تجاه تلك المسؤولية الاجتماعية الكبرى والأسلوب العملي للقرآن في هذا المجال يعبر عنه:

١- الأمر بالمعروف.

٢- النهي عن المنكر قال الله تعالى: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ٦.**

يقول الإمام الباقر عليه السلام «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض»^٧ ومتى مانسي المسلمون هذه المسؤولية العظمى فانهم سيفقدون سيادتهم وعظمتهم تماما. إذن فليس من منطلق الإسلام مانسمعه يتردد على الأفواه من الأغلاط والأوهام من قبيل:

— لن أوضع في قبرك ولن توضع في قبري (طبعاً يقال هذا للتخلص من مسؤولية الأمر بالمعروف).

— عيسى بدينه، وموسى بدينه.

— إن خفت الفضيحة فكن مع الجماعة.

ويجب أن لاننسى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة فردية أيضاً على كل مسلم ان يخرج من عهدتها وانه يمكن احياء المجتمع اذا قام المسلمون بواجبهم تجاهها.

الدفع نحو العلم وتعظيم العلماء:

في العصور الخالية وقبل الإسلام لم يكن التعليم امرأ شائعاً عاماً ولم يكن كل الافراد يمتلكون حق التعليم وانما كان هذا الحق مخصوصاً بطبقة معينة هي الطبقة الحاكمة والأعيان والأشراف والأمراء وكان هذا المعنى يبدو بصورة أوضح في المجتمعات التي تبنتي حكوماتها على اساس

٦- سورة ال عمران الآية ١١٠.

٧- الكافي ج ٥ ص ٥٥.

من النظام الطبقي.

وقد كان المجتمع العربي أسوأ حالاً من غيره من سائر المجتمعات من حيث الأخذ بالحضارة والثقافة ولذا فقد كان من يعرف القراءة و الكتابة في كل الحجاز يعدون بالأصابع.

في مثل هذا الزمان وبين هؤلاء الناس ظهر الاسلام فرجع من قيمة طلب العلم حتى جعله فريضة:

— فهذا القرآن الكريم بنداؤه المقدس العذب، يكرم العلماء في مواضع مختلفة ويعطيهم المرتبة الأسمى:

«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»^٨.

وهذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم»^٩.

—ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «طلب العلم فريضة»^{١٠}.

—ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «زكاة العلم ان تعلمه عباد الله»^{١١}.

وتاريخ الإسلام أصدق شاهد على تنمية الإسلام للعلم والعلماء

٨— سورة المجادلة الآية ١١.

٩— اصول الكافي ج ١ ص ٣٠.

١٠— اصول الكافي ج ١ ص ٣٠.

١١— اصول الكافي ج ١ ص ٤١.

فإن هذه التوصية الدائمة بالتعليم من قبل الاسلام قد جعلت من المسلمين دائماً حملة ألويدة العلم وخصوصاً في القرون الوسطى حيث كانت اوروبا غارقة في غياهب الجهل.

ومن الطبيعي انه يجب التوجه الى ان المسلمين كانوا يتعلمون في إطار الايمان بالله تعالى ومع التوجه للامور المعنوية ولم يكونوا يقصدون المنافع الدنيوية ويركزون عليها فقط.

هذا ولا يضر نظرة الاسلام ما وصل اليه المسلمون من حالة تعيسة متأخرة عن ركب العلوم البشرية بعد ان تركوا العمل بتعاليم الاسلام و تكاسلوا عن تطبيقها بكل أمانة فالذنب ذنبهم وحدهم.

السعي والعمل:

ان السعي والعمل من نواميس الطبيعة والخلقة فقد جعل الله تعالى سرالتقدم كامناً في التحرك والعمل.

فحلول الربيع مثلاً يعني حلول فصل النشاط والتحرك الطبيعي اذ تجري الانهار والوديان وتفور الينابيع، وتبدأ العصافير والطيور ببناء أعشاشها، ويهب النسيم العليل في أوائل الصباح الباكر، ليحرك الأوراق بحركته الناعمة الهامسة وتنمو النباتات، وتعلو شيئاً فشيئاً وتبدأ مجاميع من الطيور بالحركة والهجرة من مكان الى آخر وهكذا.

وكل ذلك اشارة لطيفة من الطبيعة للانسان تدعوه لأن ينرك الكسل وينهض ويتحرك وينشط ويعمل ويسعى وينمو في مختلف الجوانب.

وعلى أساس من هذا الناموس الطبيعي فإن الاسلام قد دفع

الناس نجوا السعى والعمل.

يقول القائد العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«من وجد مائة وتراباً ثم افتقر فأبعده الله»^{١٢}.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام «وما في الأعمال شي أحب

إلى الله من الزراعة»^{١٣}.

ويقول «الزراعون كنوز الأنام»^{١٤}.

ويقول الإمام علي عليه السلام «تعرضوا للتجارات فإن لكم فيها

غنى عما في أيدي الناس وإن الله يحب المحترف الأمين...»^{١٥}.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام لمن تأخر عن السوق «أغد إلى

عزك»^{١٦}.

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام «إن الله لي بغض العبد

الفارغ»^{١٧}.

وهذا الإمام الباقر عليه السلام خامس الأئمة المعصومين: كان

يعطي درساً عملياً بذلك فقد ذهب ذات يوم إلى حقل له خارج المدينة

ليتعاهده فمرّ عليه رجل كان يظن أن الإسلام يعتبر العمل عاراً. فرآه

وجبينه يتصبّب عرقاً وقال للإمام أصلحك الله شيخ من أشياخ قریش

في هذه الساعة على هذه الحالة أرايت لوجاء أجلك وأنت على هذه الحالة

في طلب الدنيا.

١٥- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٤.

١٦- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٣.

١٧- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٣٧.

١٢- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٤.

١٣- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٥.

١٤- وسائل الشيعة ج ١٣ ص ١٩٤.

فقال: «لو جاءني الموت وأنا على هذا الحال جاءني وأنا في طاعة من الله عزوجل أكفّ بها نفسي و عيالي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف لو أن جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقال الرجل: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني»^{١٨}.

على انه يجب الالتفات الى أن الإسلام وان أكد على التجارة و الزراعة و سائر الاعمال و عدها من العبادات لكنه من ناحية اخرى رفض الافراط في الاشتغال بها بشكل يهدد جوانب التنمية النفسية الاخرى فقال: «للمؤمن ثلاث ساعات فساعة يناجي فيها ربه و ساعة يرمّ معاشه و ساعة يخلي بين نفسه و بين لذتها فيما يحلّ و يحلّ»^{١٩} فهو يريد منا ان نستريح ايضا و نتفرغ لإصلاح الجوانب العائليّة و تعلم الأحكام الدينية و المسؤوليات الاسلامية و الصلاة و قراءة القرآن و الزيارات و غير ذلك.

– الزواج و تشكيل العائلة

و الزواج ايضا أحد نواميس الطبيعة فحتى النباتات لها نوع من الزواج لأجل النمو و التكاثر و خلافاً لما يتصوره البعض فإن الزواج ليس أمراً فردياً ١٠٠٪ بل له نتائج اجتماعية تماما اذ به يرتبط بقاء المجتمعات و دوام الأجيال و تحقق الكثير من الأهداف و ذلك لان تحقيق بعض الأهداف السامية قديكون أمراً يلقيه جيل على عهدة جيل آخر.

هذا بالإضافة الى ان الزواج يُعَدّ من الغرائز الانسانية و يحفظ

١٨- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٠.

١٩- نهج البلاغة فيض الاسلام ص ١٢٦١

الانسان من الانحراف ويمكن ان تكون هذه الامور الضرورية هي التي سببت ان يودع الله تعالى في الانسان هذه الجاذبية الجنسية القوية حتى يتبعها الانسان وان لم يعلم الحكمة الكاملة منها.

ولكن هذا الميل الغريزي يجب ان يهذب بتعاليم الدين وإلإفاته سيصبح شبيها بسيارة قوية يقودها سائق مغرور لا يكون مصيرها الا الانحدار في المهامى والوديان ولهذا السبب نرى الإسلام يهتم كثيراً بالزواج وتسهيل شروطه فيقول القرآن الكريم: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً»^{٢٠}.

ويقول النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم «من أحب ان يتبع سنتي فان سنتي التزويج»^{٢١}. ويقول (ص): «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجهوا لآتفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير»^{٢٢}.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام قال أبى: ما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائر بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتى عشر أوقية ونش، الأوقية أربعون والنش عشرون درهماً^{٢٣} وكان ذلك مبلغاً بسيطاً بالنسبة للعوائل المعروفة.

ان كل هذه النصوص تشهد على الاهتمام الزائد في الاسلام بتنظيم الغريزة الجنسية وانه طرح تشريع الزواج وجعل شروطه سهلة

٢٠- سورة الروم الآية ٢١.

٢٢- الكافي ج ٥ ص ٣٤٧.

٢١- وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٦.

٢٣- الكافي ج ٥ ص ٣٧٦.

لأجل ذلك. هذا علاوة على ان الاسلام يرفض تلك النظرة المادية للزواج وذلك التمييز الطبقي فيه وكذلك كل التشريفات التي لا محل لها وذلك بجد وبشكل عملي:

فقد كان المقداد مسلماً نشطاً قوياً الإيمان عظيم الهمة ولكنه لم يكن حسيباً نسيباً غنياً.

في حين كانت ضباعة من قريش وابنة عم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنها، تزوجا بكل ميل ورغبة وتشويق وتحسين من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقامت هذه الفتاة الحسيبة بملاءمة فراغ ذلك البيت الفقير للمقداد بالحب والإشراق، وهنا يوضح الإمام الصادق عليه السلام لنا فلسفة هذا التزويج المبارك من قبله (ص) لهذين المسلمين فيقول:

إن رسول الله (ص) زوج المقداد بن اسود ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ثم قال: «انما زوجها المقداد لتتضع المناكح وليتأسوا برسول الله (ص) ولتعلموا أن أكرمكم عند الله أتقاكم»^{٢٤}.

والتزوج الآخر ما نلاحظه عند مطالعة حياة الإمام الرابع زين العابدين عليه السلام فقد نقل ان عبدالمالك بن مروان سمع ان الامام اعتق جارية ثم تزوجها فكتب الى الإمام يعنفه في ذلك فأجابه الإمام عليه السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفي بتزويجي مولاتي و تزعم انه كان في نساء قريش من اتمجدبه في الصهر واستنجه في الولد و انه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتقا في مجد ولا مستزاداً في كرمه و انما كانت ملك يميني خرجت متى امر الله عزوجل مني بأمر

التمس به ثوابه ثم ارتجعتها على سنة ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل
به شيء من أمره وقد رفع الله بالاسلام الحسيسة وتمم به النقيصة واذهب
اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم انما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام»^{٢٥}.

الدرس الثالث والعشرون

خاتمة الرسالات وخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)

منذ بدء الدعوة كان الاسلام يعلن انه خاتم الرسالات السماوية و على ذلك الاساس كان يخطو على الطريق، وقد تقبل المسلمون بكل وعي وتفهم وشوق تلك الحقيقة، واعتبروا الاسلام آخر اشراق للوحي والنبوة، والمكمل لكل الاديان التي سبقتة، وكذلك فان كل المسلمين يعتقدون على ضوء الايات والروايات الكثيرة بان نبي الاسلام هو خاتم الرسل الذي اوكلت اليه قيادة البشرية.

فهذا القرآن العزيز يوضح لنا شمول الدين الاسلامي واستيعابه لكل المشاكل الانسانية ووضعه الحل للناجحة الكاملة لها ويؤكد بكل صراحة ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الانبياء و آخرهم اذ يقول:

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ ابًا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»^١.

وجاء في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام [انت مني بمنزلة هارون من موسى (فان كان هارون اخالموسى فقد اخترتك اخاً لي عند المؤاخاة الاسلامية، وان كان هارون وصياً لموسى فأنت وصيتي) إلا أنه لانيبي بعدي (في حين لم يكن موسى خاتم الانبياء)]^٢.

وكذلك يقول (ص):

«مثلي ومثل الانبياء كمثلي رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها ونظر اليها قال: ما أحسنها الاموضع هذه اللبنة، فاناموضع اللبنة، ختم بي الانبياء» مسند ابى داود ص ٢٤٧.

ويقول الامام امير المؤمنين عليه السلام في الكتاب الرائع نهج البلاغة واصفاً النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «وختم به الوحي»^٣ ويقول الإمام الرضا عليه السلام ثامن الأئمة من اهل البيت عليه السلام:

«شريعة محمد لا تنسخ الى يوم القيامة، ولا نبي بعده الى يوم القيامة».

وما ذكر لا يعبر الا عن غيظ من فيض من الروايات والأحاديث التي تؤكد على خاتمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخلود دينه الحنيف بشكل لا يقبل الشك والترديد.

٢- الغدير ج ٣ ص ٢٠٢ - ١٩٦ نقل هذا الحديث علماء الشيعة واهل السنة.

٣- نهج البلاغة لفيض الاسلام خطبة ١٣٣.

شمول الاسلام

يمكننا ان نعتبر عنصر الشمول والاستيعاب لكل الجهات الحياتية من اكبر علل خلود الاسلام.

فلاسلام اطروحته الجامعة الشاملة القائمة على اساس من الفطرة الانسانية والمستوعبة لكل جوانب الحياة الانسانية الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، العقائدية والعاطفية، الاجتماعية والحقوقية وغير ذلك، فهو يعطى اروع الاساليب واكثرها واقعية وملاءمة لكل الطبقات والعصور.

وهذا هو الذى دفع العلماء المحققين فى المجالات الاسلامية من الغربيين لان يعترفوا بعمق نظرة الاسلام وسعة ملاحظته وشمول الاحكام الاسلامية واستيعابها^٤.

ولنلاحظ بعض جوانب هذا الشمول:

الله كما يصوره القرآن:

ان الصورة التى يعطيها القرآن لله تعالى هى صورة خالق العالم بكل موجوداته وليست صورة اله قوم وقبيلة خاصة ليكون مختصاً ببعض دون بعض فكلنا نردد فى الصلاة عند قراءة سورة الحمد: «الحمد لله رب العالمين».

وهذا الإله العظيم يستطيع ان يفعل مايشاء فى كل لحظة وكل مكان وليست ذاته محدودة بشئ فبيده ملكوت الكائنات «تَبَارَكَ الَّذِي

٤- كتاب الحضارة وعلوم الاسلام.

بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^٥.

وهو مطلع على كل شئ «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^٦. وهو قريب الينا في كل مكان ونستطيع ان نناجيه و نتمتع برحمته في كل آن بلا حجاب ولا ستار ولا حاجب ولا أى واسطة اخرى فهو أقرب الأشياء الينا (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^٧.

وهو تعالى حقيقة ليس لها نداء ولا نظير منزه عن كل الصفات البشرية وليس كما تصفه المذاهب الاخرى الباطلة اذ جعلته متصفا بصفات المخلوقين فليس له مكان لانه خالق المكان وليس في زمان لانه موجد للزمان وهو الأزلي الذي ليس لوجوده بداية ولا نهاية فليس له شبيه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^٨.

و ذاته مبرأة من النوم و التعب و الندم و الاشتباه و ساير العيوب «لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَ لَا نَوْمٌ»^٩.

واحد لا شريك له، ليس له ولد ولا أب وأم وليس لله معاون او كفؤ... كل هذه الحقائق يرددها المسلمون مرات في كل يوم في صلواتهم «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^{١٠} وذلك لكي ييقوا مصونين عن كل شرك.

ان الله كما يصوره الإسلام إله له كل الصفات الكمالية التي عبر

٨- سورة الشورى الاية ١١.

٩- سورة البقرة الاية ٢٥٤.

١٠- سورة التوحيد.

٥- سورة الملك الاية ١.

٦- سورة التغاين الايتان ٤ و ١٢.

٧- سورة ق الاية ١٦.

عنها القرآن الكريم: حقيقة مطلقة غير محدودة، جليلة عظيمة تعجز عن ادراكها العقول المخلوقة ولا يدركها الفكر البشرى، منزه عن الاحتياج والشريك، انه الاله القادر القيوم الاكبر من كل شئ والرحمان الرحيم والقريب من عباده فكل من مديد الصّراعة اليه وطلب اليه اى شئ اعطاه ان كان فى ذلك مصلحة له وقد قال تعالى «وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ»^{١١}.

المساواة العامة فى الاسلام

ان التمييز العنصري ليس مرفوضاً من وجهة نظر الاسلام فحسب بل ان المساواة الانسانية فى نظره حقيقة قطعية فهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^{١٢}.

الإسلام والبحث الفكرى الحرّ

ان الاسلام يدعوبكل حرارة الى سيادة المنطق والاستدلال و البحث الفكرى الحر، ويرفض الاكراه العقائدى وفرض الرأى رفضاً قاطعاً اذيقول «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ»^{١٣}.

و كل مسلم مكلف من قبل الاسلام ان يبحث فى اصول العقائد فلا بدّان يقوم له البرهان حتى يعتقد بائى فكرة كانت؛ أما مسألة

١١— سورة الحديد الاية ٩.

١٢— سورة الحجرات الاية ١٣.

١٣— سورة البقرة الاية ٢٥٤.

(الاحكام التعبدية) التي لاندرک المصلحة فيها فيكفيها علمنا الاجمالي بوجود المصلحة نظراً للدليل الذي دل على صحة كونها من الله تعالى العالم بكل شيء والذي اقام التشريعات على أساس من المصالح و المفاسد. وقد ذم الاسلام بشدة التعصب المقيت و التقليد الأعمى لعقائد الأبناء و السلف و أوصى بان يفكر الانسان بنفسه و ينظر نظرة عميقة للامور ولا يلجأ الى الافكار الواهية بل يكون دائماً تابعاً للحقيقة اليقينية^{١٤}.

والاسلام يُعطى مخالفه الحق في اعلان آرائهم و اشكالاتهم على الملأ و الاستماع بالتالي الى اجوبتها اذ يقول «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{١٥}.

ولهذا السبب نجد انه كثيراً ما كان النصارى و اليهود و اتباع سائر المذاهب يقفون في قبالة الاسلام اى عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمة الطاهرين عليهم السلام و يبحثون و يجادلون بكل حرّية... و هذا المعنى كان شائعاً في الأعصار التالية حيث كانت الاقليات الدينية تجادل و تناظر في مجالس العلماء المسلمين بما حدثنا عنه التاريخ.

و هذا الدكتور گوستاف لوبون يحدثنا في كتابه «حضارة الاسلام» عن المجالس التي كانت تعقد في بغداد و التي يشترك فيها مندوبون عن مختلف الطوائف من يهود و نصارى و هنود و دهرين و زردشتيين و غيرهم فيتحدثون فيها بالمسائل العامة بملّ حرّيتهم و يستمع الآخرون لحديثهم و لا يطلب من المتحدث الا ان يستند في حديثه الى دليل

١٤- سورة الاسراء الاية ٣٦.

١٥- سورة البقرة الاية ١١١.

منطقي صحيح ثم يعقب على ذلك بان اوربا بعد الف سنة من الحروب الوحشية و العداوات الشخصية و سفك الدماء لم تصل الى هذه الدرجة من الحرية.

الاسلام و الدعوة الى التفكير و التعلم

ان الاسلام يقدر التفكير تمام التقدير و هو يطلب من المفكرين ان يسرحوا بانظارهم فيفكروا في الخلق، و الزمان و الليل و النهار و السماء و الارض و الحيوان و الانسان و باقي انحاء العالم و ما فيها من عجائب^{١٦} كما يطلب منهم ان يفكروا في حياة الماضيين و يعرفوا علل انهيارهم لكي يحفظوا حياتهم من ان تصيبها احدى تلك العلل.

و هكذا فإن الاسلام يدعو الانسان كي يفكر و يتعمق في الامور بكل موضوعية و نزاهة فيطوي الافاق الواسعة و تفتح له مغاليق العلم فيستفيد من وجوده باقصى ما يمكن، و لهذا السبب يقدر الاسلام كل الكشوفات العلمية التي تخدم البشرية، و من هنا حمل العلماء المسلمون في القرون التي تلت عصر صدر الاسلام لواء العلم و فتحو للبشرية اوسع الطرق في هذا المجال و مازالت اسماؤهم تلمع في جبين التاريخ البشرى^{١٧}.

١٦- سورة البقرة الاية ١٦٤.

١٧- و ذلك من مثل جابر بن حيان و الرازي و ابن سينا و الخواجه نصير الدين طوسي الذين ابدعوا و افوا في علوم كثيرة كالعلوم العقلية و الطبيعية و الفلك و الكيمياء و غير ذلك و قد كانت كتب ابو علي ابن سينا تدرس في جامعات اوربا الى اواخر القرن الماضي و يقول گستاو لوبون في تاريخ الحضارة ص ٧١٠: ان البرت الكبير قد اقتبس كل ما لديه من ابي علي ابن سينا.

يذكر جورجى زيدان المسيحي في كتابه «تاريخ التمدن الاسلامى» انه ما أن اتسع التمدن الاسلامي وانتشرت العلوم الجديدة بين المسلمين حتى نهض العلماء المسلمين فحققوا ودرسوا وكانت بحوثهم ارقى من بحوث بعض مؤسس العلوم نفسها والحقيقة ان التحقيقات العلمية الجديدة أعطت تلك العلوم صبغة جديدة تتناسب مع التمدن الاسلامي نفسه»^{١٨}.

ويقول المسيولييرى بأنه «لو افترضنا خروج الاسلام عن مجال الحركة التاريخية فإن عصر تجديد الحياة العلمية الاوربية كان سيتأخر قرونا عديدة»^{١٩}.

الاسلام والحياة

ليس هناك في نظر الاسلام أي تضاد بين الحياة المادية والحياة المعنوية او بين الدين والدنيا. فن وجهة نظر الاسلام يعتبر الاناس الذين يتركون السعى والعمل اناسا غير صالحين تماما كما يعتبر الاناس الذين يعملون ويسعون ولكن لا يفكرون الا بمصالحهم الشخصية والتكاثر في الجانب المادى كذلك غير صالحين. فيقول الامام السادس الصادق عليه السلام:

«ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا آخرته لدنياه»^{٢٠}.

اذن يمكن القول بان الاسلام في هذا المجال يخلق التحرك

١٨- تاريخ التمدن الاسلامى لجورجى زيدان ص ٥٩٨.

١٩- حضارة الاسلام ص ٧٠٦ - ٧١٥.

٢٠- وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٤٩.

الانسانى و يوجهه بدقة لتتلام حركة المجتمع المسلم نحو الجانب المادي من الحياة مع حركته نحو الجانب المعنوي منها فليس فى الاسلام رهبانية و انعزال و تقوقع و فردية و انزواء اذ يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم «لم يكتب علينا الرهبانية انما رهبانية امتي، الجهاد فى سبيل الله»^{٢١}.

أحكام الإسلام و تطور الزمان

لا يمكننا ان نجد اى منافاة بين كون الاسلام تشرىعاً خالداً على مر الزمن و بين تطور الوسائل المادية و عوامل المدنية المتقدمة و ذلك لان عدم ملائمة اى قانون مع مثل هذه التطورات انما يحصل لو كان ذلك القانون قد اعتمد على وسائل معينة دون غيرها كمثل على ذلك لو ان قانوناً ما فرض ان تكون الكتابة باليد و السفر بواسطة العربات التي تجرها الحيوانات فقط فانه سيكون قانوناً لا يتمشى مع التقدم العلمى مطلقاً. اما لو كان القانون غير معتمد على ما تقدم و انما اعطى قاعدة كلية و ذكر لها بعض الأمثلة فانه سوف لن يكون منافياً مطلقاً لعوامل التقدم و التمدن ان كانت نظرتة واقعية طبعاً.

و هكذا هو الاسلام فهو يقول مثلاً «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» و ذلك لكي تكونوا أقوياء و تدافعوا عن حقوقكم الانسانية امام هجوم العدو، هذا القانون رغم انه وضع فى عصر الخيل و السيوف يتلاءم مع عصر المدافع و الصواريخ بمعنى ان الاسلام لم يقل ان الجهاد الاسلامي يجب ان يتم بالسيف بل انه يجب ان يتم بالاسلوب المناسب و هذا يتمشى

مع اى عصر، وهكذا الامر في مورد المعاملات، الكسب والعمل و غير ذلك ...

وعلى هذا فهما اتسعت دائرة المدنية و كثرت عوامل التقدم فانها لن تخرج عن دائرة شمول قوانين الاسلام وهو سرّ من اسرار خلود الاسلام. يقول الفيلسوف العالم الأنكليزى الشهير برناردشو:
ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يتلاءم مع كل ادوار الحياة الانسانية ولديه قابلية جلب أي جيل كان اليه^{٢٢}.

هل يمكن الاستغناء بهذه النظم العلمية والافكار العصرية عن غيرها؟

لا ريب في ان البشرية قد طوت طريقا طويلا في مجال التقدم العلمي ولكن العلماء انفسهم يعترفون بان ما يعرفونه من هذا العالم لا يقاس الى ما يجهلون منه اذ لما كانت نظرهم محدودة فانها اساسا لا تستطيع ان تحيط بتمام اسرار الكون وتتعرف على كل الاحتياجات الاصلية و الفطرية فيه.

هذا بالاضافة الى ان الانسان مهما تقدم فانه ليس مصونا من الخطأ.

وعلى اساس ذلك فانه كلما يعرض من افكار في مجال اشباع الحاجيات الانسانية وفي اى زمان كان لا يمكن الايمان به ايمانا قطعياً و ذلك لانه من الممكن ان تكون هناك عوامل للبيئة وغيرها قد اثرت

٢٢- التمدن و العلوم الاسلامية (فارسي) ص ١٣.

اثرها اللاشعورى في فكر الانسان ونظرته وتجاربه وابعده عن الحقيقة والواقع.

ولكن لما كان النظام الاسلامي نظاما ينبع من الوحي ويستند الى الحقيقة الكبرى في الكون فانه لا يتطرق اليه أي احتمال للاشتباه والخطأ ويمكنه ان يكون المنار الهادي في كل زمان وهذا انما يتم طبعا اذا لم تحرف تعاليمه وتمنح أطراً مستعارة من النظم الوضعية المنحرفة مما يغير معالم الحكم الاسلامي ويحرف واقعا اذمع ذلك لا يمكن الحصول على الفائدة المطلوبة بشكل تام وقد ينقلب الامر والحالة هذه الى النقيض.

الامدادات الغيبية ما زالت متصلة

يتصور البعض ان خاتمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعني انقطاع الارتباط بين عالم الغيب وعالم الشهادة بعد وفاته (ص) وهذا التصور باطل لان معنى الخاتمة هو أنه سوف لن يأتي نبي آخر كما انه لن يكون هناك دين آخر لانه سوف لن يكون أي ارتباط بين عالمي الغيب والشهادة.

فالشيعة الامامية اذ يعتقدون بالامامة والولاية للأئمة الإثني عشر المعصومين يؤمنون ببقاء ذلك الارتباط دائما عن طر يقهم عليهم السلام وهذه هي احدى الخصائص الكبرى لمذهب اهل البيت عليهم السلام^{٢٣} يذكر الفيلسوف صدر المتأهلين في «مفاتيح الغيب» ما مضمونه ان الوحي بمعنى نزول الملك لتحقيق وظيفة او ابلاغ خطاب إلهي وان كان قد انقطع الا

٢٣- واضح ان الامام انما يبين تلك الحقائق والاحكام التي اوحى بها الله الى

رسوله (ص).

ان باب الالهام والاشراق لم يغلق مطلقا ولن يغلق بل لا يمكنه ان يغلق مطلقا.

كيف يمكن العمل بالاسلام في عالمنا الحاضر؟

ان الفساد في عصرنا يتعاضم وتتسع دوائره و كأنه الكتل الثلجية المتساقطة فهي كلما قطعت مسافة أكبر اتسع قطرها مما يعظم خطرها و تخريبها، و لكننا يجب ان لاننسى ان الرجال العظام و الافكار السامية تنبعان في قلب المحن و ان الشخصيات القوية تجلوها الشدائد و من هنا فيجب علينا بحكم استقلال شخصيتنا الاسلامية ان نصارع كل قوى الانحراف و نقف في وجهها.

ان السيطرة على المحيط و البيئة و اصلاحها يعد أساساً من واجباتنا الكبرى. و قد علمنا الانبياء العظام بجهودهم الكبيرة دروساً رائعة في الوقوف في وجه الانحراف، انهم لم يرفضوا الاستجابة مطلقاً لمطالبات البيئة المضلة و الشهوات المختلفة لمجتمعاتهم فحسب بل انهم عملوا بجد على تغييرها و اصلاحها.

و هذا رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم قد استطاع بصبره و جهاده ضد الجاهلية المنحرفة ان يغير المجتمع و البيئة تغييراً جذرياً: لقد شاع آنذاك الاختلاف الطبقي، و امتهان المرأة، و عبادة الأصنام و الحروب القبلية و عشرات الانحرافات الاخرى و لكن صمود النبي (ص) و ثباته حطم كل الانحراف.

و قد كان عدة من اكابر قريش و من جملتهم عتبة قد تألموا أشد الألم لاسلوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصمموا بعد التداول على ان

يرغبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرهبوه ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بكل ثبات «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته»^{٢٤}.

فيجب علينا اتباعا لسلوك النبي القائد (ص) وعزمه الاكيد أن نحمل هم العمل الاكبر في سبيل التغيير والاصلاح لكي نكون المؤثرين الواعين في البيئة لا المتأثرين العمي بها، ولكي نغير الواقع بدلاً من الاستسلام له.

٢٤— حياة محمد لميكل ص ١٠٩ سيرة ابن هشام ص ٢٩٥ — ٢٦٦.

الدرس الرابع والعشرون

الإمامة و خلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ورحلت روح النبي الأعظم الى بارئها الرفيق الأعلى لتخلد في عالم الخلود وكان من الجلي أن الحياة الإسلامية الهادئة ستتأبها العواصف برحلتها، وستثور فيها الأمواج المتلاطمة وسيقوم النفعيون والمستغلون بمحاولة الاستفادة من تلك الحالة الطارئة والصيد في الماء العكر، هذا من جهة ومن جهة أخرى فانا نعلم بان عقل غالبية الناس في عيونهم وانهم يتأثرون بما يحس أكثر مما يعقل فالعامة يشكلون غالبا الحطب الذي ينتظر اية شعلة حتى تسرى فيه النار... ومن هنا فهم يحتاجون للمربي الكفوء القدير الذي يواصل عملية تربيتهم وقيادتهم ومراقبتهم حتى يوصلهم الى مراحل التكامل وإلا فلن يستطيعوا أن يمشوا الطريق لوحدهم.

والآن نحن نتسأل: الا يحتاج مثل ذلك المجتمع مع تلك الظروف الحرجة الى قائد حكيم نزيه كفوء يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمسك ازمة الأمور بيده لكي لا يتهدم ذلك البناء العظيم وتذهب جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم سدى؟ ترى هلا يلزم ان يكون

هناك مرجع علمي وسياسي مطلع على كل القوانين الإلهية ليستطيع ان يواصل عملية التربية العظمى ويهديهم للطريق الواقعي الصحيح؟!.

ان الشيعة ليعتقدون بأن رحمة الله الواسعة وحكمته اللامحدودة أوجبتا ان لا يبقى الناس بدون قائد حكيم معصوم عالم مما يضمن عدم انحرافه مطلقا في قول او فعل ويكون نموذجا «صادقا» «مختارا» من قبل الله ومثلاً ساميا للتكامل الانساني وذلك لكي يقود الامة الاسلامية بنظرته الوسيعة وسلوكه الطاهر الذي يقوم على اساس استمداد من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته المقدسة.

فالله تعالى الذي منح الإنسانية بركة النبوة بلطفه لا يمكن ان يكون قد رجع عن لطفه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعين للانسانية من يواصل بها المسيرة.

وكيف يمكن ان يخلق الله الآلاف من الاجزاء الدقيقة والقوانين المنظمة فينبت مثلاً شعرا الحواجب على العيون لتحفظها من عرق الجبين المالح والمروغبار، ويخلق الجفون كي تظل لها فتمنحها جمالا من جهة و تحفظها من جهة أخرى وسائر الأجزاء الدقيقة الكثيرة جدا مما نعلم وتعلمون، نعم كيف يمكن ان نرى هذه العناية الفائقة هناك ولانراه تعالى يعين خليفة ووصيًا لاثقا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحتياج إيجاد افضل الامم — وهو هدف الاسلام — الى اختيار أفضل القادة؟ ثم أليس تعيين الإمام والمرئي والقائد المعصوم يشكل أساساً رصينا من أسس إيجاد السعادة للمجتمع؟ وهل يستطيع المجتمع المسلم ان يصل الى سعاده بدون قيادة إلهية طاهرة؟.

فاذا كان القائد الإلهي المعصوم ضرورياً، واذا كان المجتمع

المسلم يحتاج الى المربيّ الإلهيّ فكيف يمكن ان نفترض بان الاسلام قدغض النظر عن أهم مسألة حياتية وترك الامر للأمة نفسها كي تعين من تريد؟ وبكلمة مختصرة: فان نفس الحكمة التي اوجبت بعثة الرسول هي التي تحكم بلزوم ان يعين الرسول بأمر من الله وصيه وخليفته للأمة. وقد قال النبي (ص) في أواخر عمره: «والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه»^١.

و معه لا يمكن أن يقال بأن النبي العظيم لم يعين خليفته المباشر مطلقاً.

ألا يكفينا القرآن؟:

ان كل فكرة اسلامية منبعها الأساسي القرآن الكريم. فهو الأساس الأعظم الذي تبني عليه كل النظم والعلوم الإسلامية وهو المنبع الفياض الذي ترتوي منه وديان المعرفة وغدرانها. وهو المقياس الذي تقوم على اساسه المقاييس الدينية الاخرى ومع ذلك فإن الهداية وحل اختلافات الأمة الاسلامية واشباع حاجات الجماهير المسلمة ليست مقتصرة على القرآن العزيز وذلك لأمره هي:

١- ان القرآن الكريم ومحتواه السامي الرفيع يحتاج للتفسير والتوضيح اذ ليست كل الآيات على حد سواء من حيث الوضوح ولذا فالجاهلون بالحقيقة اذا رغبوا في السير على طريق القرآن يقعون في خطأ لاشعوريّ فاحش فتغيب عنهم معالم القصد والسبيل المستقيم من بدء الأمر.

١- اصول الكافي طبع الأخذى ج ٢ ص ٤.

وعليه فلا بد من ان يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 والاشخاص الذين يعينهم هو والذين لهم ارتباط معنوي مع عالم الغيب
 بمهمة الإرشاد للسائرين وتوضيح معالم الطريق وتفسير الآيات تفسيراً
 واقعياً كما يريد الله تعالى. وإلا فالأناس العاديون قد تضعع عليهم الحقيقة
 فيبتعدون عنها ويغرقون في الضلال^٢.

وقد اخبرنا التاريخ مثلاً عن انه أتى بلص في مجلس المعتصم
 ليجري عليه الحد الشرعي الذي عين في القرآن الكريم بقوله تعالى (السَّارِقُ
 وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) ولكن المعتصم لم يكن يعرف من اين تقطع اليد
 فسأل العلماء الذين كانوا حاضرين هناك فقال احدهم تقطع من الكرسوع و
 هو طرف الزند الثاني مما يلي الخنصر وقال آخرون — من المرفق ولم يقتنع
 المعتصم بأدلتهم وطلب الى الامام التاسع الجواد عليه السلام ان يعطى
 القول الفصل فقال (فإن القطع يجب ان يكون عن مفصل أصول الأصابع،
 فيترك الكفّ وعند ما سئل عن السبب أجاب قول رسول الله (ص):
 السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت
 يد من الكرسوع او المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، قال الله تعالى (وَأَنَّ
 المساجد لله)^٣ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وما كان لله
 لا يقطع، فقبل الجميع ذلك الاستدلال ونفذ الحكم^٤.

ومثل هذا التفسير انما هو تفسير القرآن بالقرآن ولا يمثله إلا اعتراض

٢— ورد عنه (ص) انه قال «من فسر القرآن برأيه فليتبؤا «مقعد من النار» تفسير

الصابي ج ١ ص ٢١.

٣— سورة الجن الآية ١٨.

٤— راجع اعيان الشيعة ٤٠ ق ٣/٣٥٠ وتفسير نورالثقلين ج ٥ ص ٤٣٩.

النبيّ المنصوبون لذلك ولا يستطيع ان يقوم به غيرهم مهما كان متخصصا الا اذا استند الى فكر مدرستهم عليهم السلام.

٢- ثم ان ما قلناه يرتبط فقط بظاهر القرآن واحكامه في حين انه توجد في ظل هذه الالفاظ والمعاني الظاهرية معانٍ أعمق وأوسع و خصوصا في جانب العقائد والأخلاق والمعارف الأخرى.

يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ظاهره أنيق وباطنه عميق»^٥.

كما أنه ورد «أن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن»^٦.

هذا وأن القرآن — كما يقول كبار المفسرين — له تأويل و باطن ولا يمكن الوصول اليه عن طريق التحقيق والتفكير فقط ولا يقبل البيان للجميع بالأسلوب اللفظي وذلك لأن بعض الناس ليست لديهم قابلية درك ذلك والعمل به، وإنما الأولياء الطاهرون فقط هم الذين يستطيعون ادراك معانيه والإستفادة منها لحل الاختلاف والمشاكل الإنسانية ثم يبينونه للناس ويعلمونهم اياه في اطار عصمتهم عن الخطأ والاشتباه.

وهؤلاء الاولياء والعباد المعصومين هم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من اهل البيت الذين يقول عنهم القرآن الكريم.

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

٥- اصول الكافي ج ٢ ص ٥٩٩ طبع الاخندى.

٦- تفسير الصافي ج ١ ص ٣٩ طبع المكتبة الاسلامية.

تَظْهِيراً^٧.

وجاء في الحديث انما يعرف القرآن من خطوب به^٨ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل البيت هم المخاطبون الأصليون بالقرآن الذين يستطيعون ادراك حقائق القرآن تماما.

ولهذا الامر نجد ذلك الترابط الذي لا ينفصم بين القرآن والعبارة والذي حدثنا عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع كثيرة ومنها في آخر ايام حياته اذ قال «انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بها فلن تضلوا بعدي أبداً»^٩.

٣- ان القرآن يحتاج الى من يضمن تنفيذه بدقّة ويجب ان يكون هذا معصوماً من الخطأ، وذلك لأن القرآن هو الدستور، والدستور يحتاج الى ضمانة تنفيذية وسلطة تعمل على تطبيقه والضمانة التنفيذية انما تتم اذا كان المنفذ يمتلك شخصية مسددة من قبل الله تعالى كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يفهم القرآن على حقيقته وواقعه.

وهذه الخصيصة تنحصر بالأئمة المعصومين من اهل البيت وافضل شاهد تاريخي علي ذلك الفترة التطبيقية التي حكم فيها الإمام أمير المؤمنين (ع) الذي واجه هالة من المشاكل ولكن كل ذلك لم يمنعه عن تطبيق الاسلام حرفاً بحرف وباروع شكل.

٧- سورة الاحزاب الاية ٣٣.

٨- مقدمة تفسير مرآة الانوار ص ١٦.

٩- مسند ابن حنبل ج ٣ ص ١٧ طبع بيروت / الغدير ج ١ ص ٥٥ - ٩ / غاية

وختاماً فإننا نجد أن خلاصة هذا الدرس موجودة في محاوره جرت بين احد تلامذة مدرسة الإمام الصادق وهو هشام ابن الحكم مع احد الذين لم يتبعوا تلك المدرسة وفي حضور الإمام (ع) اذ قال الشامي له:

— يا غلام سلني في إمامة هذا يعني الإمام الصادق (ع) فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي: يا هذا أربك أنظر لخلقه ام خلقه لأنفسهم؟ فقال: الشامي بل ربي انظر لخلقه فقال هشام ففعل بنظره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم حجة و دليلا كي لا يتشتوا أو يختلفوا، يتألفهم و يقيم إودهم و يخبرهم بفرض رهم، قال: فن هو؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: الكتاب والسنة؟ قال هشام: فهل نفعلنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم قال: فلم اختلفنا أنا و أنت و صرت الينا من الشام في مخالفتنا اياك؟ فسكت الشامي فقال ابو عبد الله عليه السلام للشامي: مالك لا تتكلم؟ قال الشامي: ان قلت لم نختلف كذبت و ان قلت ان الكتاب و السنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت لانها يحتملان الوجوه و ان قلت: قد اختلفنا و كل منا يدعى الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب و السنة الا ان لي عليه هذه الحجة فقال ابو عبد الله عليه السلام سله تجده مليتا فقال الشامي: يا هذا من أنظر للخلق اربهم او أنفسهم؟ فقال هشام: رهم انظر لهم منهم لانفسهم فقال: الشامي فهل اقام لهم من يجمع لهم كلمتهم و يقيم إودهم و يخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او الساعة؟ فقال

الشامي: في وقت رسول الله (ص) رسول الله (ص) والساعة من؟ قال هشام هذا القاعد الذي تشد اليه الرجال ويخبرنا باخبار السماء وراثه عن اب عن جد قال الشامي؟ فكيف لي ان اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدالك قال الشامي قطعت عذري فعلي السؤال وعند ذالك شرح له الامام عليه السلام كيفية سفره وما صادف فيه من حوادث فاقبل الشامي يقول: صدقت، وآمن بامامته عليه السلام^{١٠}.



الدّرس الخامس والعشرون

الهداية المعنويّة والباطنيّة للإمام

لقد عبرت حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وسلوكه اروع
تعبير عن الخطوط الأساسيّة للرسالة الاسلاميّة.

وقد كان (ص) القائد السياسيّ لمجتمع المسلمين كما كان المبلغ
عن الله والمطبق للأحكام التي استلمها عن طريق الوحي في المجال
الاجتماعيّ ومسيرة الحكومة الاسلاميّة.

وهكذا جسّد سلوكه القوانين الإسلاميّة والأخلاق الرفيعة كما
شكلت تعاليمه المقدسة وأوامره دستور السعادة والهداية الى الصراط
المستقيم.

فلم يكن (ص) ليكتفي بالتوجيه الفكري والوعظ وانما عمل على
بناء المجتمع الاسلاميّ الرصين القائم على اساس العدالة الحقّة.

وذلك يتضح بعد أن نعرف أن الإسلام في تخطيطه لاسعاد
البشرية وضع ضمانات تنفيذية، وعقوبات دنيوية لاولئك الذين
يسددون طعناتهم ويأتون بما يخالف المسيرة الصالحة له ولم يكتف

بإنذارهم بالعقوبة الأخروية، بل قرر عقوبات في الدنيا بالإضافة للعقوبات الأخروية.

هذا بالإضافة الى ان نفس القوانين الإسلامية تنظم للانسانية كل جوانبها وهذا يعني لزوم قيادة اسلامية واعية للمجتمع تعمل على انزال تلك القوانين الى حين التطبيق وتملأ منطقة الفراغ التي وضعها الاسلام على اساس من نظرتة المرنة المسيرة للتطور المادي والاختلاف الذي يحصل في المسيرة الانسانية من حيث الظروف والمستوى المعيشي والتقدم المادي.

وهنا يجب ان نلتفت الى ان الاسلام يمتاز على كل الأنظمة الحاكمة في العالم بانه يهتم بالجانب الاخر من الحياة الانسانية ونقصد به الجانب المعنوي الاخلاقي اذ توطر كل احكامه وتعاليمه الاجتماعية أطر أخلاقية معنوية يحاول الاسلام ان يصوغ المجتمع من خلالها مجتمعاً متقدماً في كل الجوانب.

ان الشيء الذي نسيته المدنية البشرية نسياناً فظيماً اليوم والذي تظهر آثاره شيئاً فشيئاً فتلقي بظلالها السوداء على المجتمعات المتمدنة وغيرها، هذا الشيء هو (الجانب الإنساني والمعنوي والحياة الأخرى). في حين ان الاسلام يولي عناية خاصة لهذا الجانب وان قادة الاسلام قد جعلوا نظرتهم تقوم على اساس تلك التربية المعنوية للبشرية دائماً.

والحقيقة هي ان أكثر الناس غافلون عن الحقيقة الانسانية الرفيعة في وجودهم، وذلك لأنها حقيقة دقيقة لطيفة في غاية اللطف والدقة بحيث لا يبصرها الاذو بصيرة نافذة... وعليه فهذه المساحة اليانعة من

وجود الانسان، ارض مجهولة عن الاناس العاديين لا يستطيعون ان يملأوا
أعينهم منها فضلا عن ان يكونوا قادة نحوها.

كيف يمكن أن ننتظر من انسان مرت عليه القرون وهو بعد
لم يعرف الكثير من الفعاليات والنشاطات الفيزيائية في جسمه، ننتظر منه
ان يطلع على كل العوالم الميتافيزيقية المحيطة به، و ان يخطط للوصول الى
ذلك العالم.

و عليه فلا كلام في ان القائد في هذا المجال يجب ان يكون شخصا
يرتبط وجوده مع العالم الميتافيزيقي وله اطلاع كاف على ذلك العالم
المقدس، فهوقائد في كل الدروب والسبل القائمة على اساس من ذلك. و
ما أروع قول من قال، ما لم تكن من اهل السبيل لا تستطيع ان تقود السرى
فيه.

ياترى هل من الصحيح ان ننفض ايدينا عن المصير المعنوي
للانسان و نغض النظر عن القابليات والاستعدادات الروحية الخاصة
والجوهر القابل للتعالي والتكامل في الانسان و نضعه جنبا الى جنب مع
الحيوان ليكون كمثل دودة تعيش في ظل احتياجاتها الحيوانية من اكل و
تنفس و شهوة و غمّ و غيرها؟

كلا ابدأ ان ذلك لا يليق مطلقا بالمقام السامي للانسان.
ان الانسان بكل تطلعاته الروحية والملكوّية واستعداداته
المخصوصة التي غرسها الله في أعماق وجوده ليعتبر آية من اروع آيات الخلق
و عنوانا لعالم الوجود و لذا فيجب عليه ان يكون كالشمس التي تعيش في
الأعالي و تبث نورها في الآفاق و حرارتها في الربوع و ذلك لان هذا
المخلوق ليس ذرة تائهة من بين المخلوقات، انه ذرة أعزتها العناية و أشرفت

عليها شمس السوء ونظر الله اليها نظرة اللطف الخاصة من بين جميع المخلوقات.

وان آثار اللطف الإلهي لتبدو لنا خلال التاريخ البشري متمثلة في بعثة الأنبياء العظام فقد بعثهم الله تعالى على اساس من لطفه ورحمته ليقودوا البشرية ويوصلوا الروح الانسانية المشوّقة للقلقة الى حيث المقامات الرفيعة والاطمئنان والتكامل.

و القرآن الكريم يوضح هذه الحقيقة في آيات عديدة منها ما يحكيه لنا من دعاء إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة إذ يقول: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ!

ويلاحظ في هذه الآية انها اعتبرت التزكية وهي التربية المعنوية احد اهداف دعوات الأنبياء بالإضافة لتعليم الكتاب والحكمة.

* * *

ونحن نشاهد في مدرسة النبي العظيم رجالا تقبلوا تلك التربية الروحية الخاصة فبلغوا درجات رائعة عالية وذلك من أمثال: سلمان، أبي ذر، المقداد، عمار، ميثم التمار، أويس القرني وغيرهم فإتهم كانوا من هذا الصنف المتكامل.

و كان وجودهم منبعا للطهر والصدق والاستقامة ونزهوا أنفسهم من المساوى فلم يكونوا يريدون إلا وجه الله ولا يرون غيره والحاكم المطلق في كل أرجاء حياتهم في قلوبهم وارواحهم واجسادهم هو الله تعالى لا غير.

ولهذا فقد كان الكل منهم نموذجاً حياً للانسان المتكامل و كان كل منهم لذلك منبعا فيأضا لخدمات جلى في سبيل تعالي البشرية و رقيها.

وعليه فليس الأخلاق و التهذيب الروحي موضوعا كمالياً و تجملياً حتى نقف منه موقف اللامبالاة حتى اذا ما سنحت لنا الفرصة و انتهينا من كل مسائل الحياة الأخرى اتجهنا نحو تهذيب ارواحنا...
كلا فإن الأخلاق هي التي تبني هذه الحياة فهي الأهم من كل شئ و ذلك بمعنى اننا بشهادة العقل و الإحساس نعرف بان الصفات الاخلاقية السامية و طهارة الروح ذات اهمية بالغه جدا بحيث ان الانسان في ظلها يخرج من شكل فارغ و يدخل في حياته المعنوية و حقيقته الانسانية القيمة حتى يصل به الامر الى ان تتجسد له الأشياء التي لا تقبل التجسد و الرؤية.

إشارات القرآن للحياة المعنوية للإنسان

* مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^٢.
* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^٣.

ومن الواضح ان الحياة المذكورة في الآيتين الشريفتين تختلف عن ما يطلق عليه الحياة من اتصاف موجود بصفات الأحياء من النمو

٢- سورة النحل الآية ٩٧.

٣- سورة الأنفال الآية ٢٤.

التوالد... ولا يمكن ان تعني شيئاً غير الحياة المعنوية و حقيقة الحياة الانسانية التي لا تحصل الا عن طريق العمل الصالح و تزكية النفس.

كيف تحصل الحياة المعنوية؟:

ان الحياة المعنوية باعتبارها ظاهرة من الظواهر يحتاج حصولها الى شرائط لازمة:

ان الحياة المعنوية ثمرة من ثمار السلوك والعمل الصالح. و طبيعي ان ذلك السلوك والعمل الصالح يجب ان يكون بإرشاد و تربية صحيحة و مستمرة من القادة السماويين و ارشاداتهم.

ان امر الله و نهيه — و ما يصطلىح عليه بـ (التشريع) — متلائم و مرتبط مع الحقائق العامة والقوانين الجارية في عالم الخلق و دنيا الوجود أي التكوين، تلاؤماً و ارتباطاً وثيقاً، ولأننا لا نعلم شيئاً عن حقائق العالم الكثيرة والمصالح والمفاسد التي تنتجها الاحداث — و ذلك لان العلماء بتلك الحقائق قليلون جداً — فنحن نجهل الاسلوب الصحيح الذي يصوغ حياتنا المعنوية، اما الانسان المعصوم فهو مطلع على تلك الحقائق والمصالح السامية و هو الذي يبينها ببيان رائع كمرتب رحيم لكي نكون بعد العمل بمقتضياتها سعاداء نعيش حياة معنوية رائعة.

وما نحن الآن أمام الواقع، فإن عملنا بالأوامر وأفلحنا، وإلّا خسرتنا الخسران المبين فحالتنا شبيهة بحال الطفل الذي تحوطه عناية مرتب رحيم، انه ياتمر بأوامره و ينتهي بنواهيهِ و يقوم بما يطلبه منه المربي دون ان يشعر بآثار ذلك في أعماقه فعلاً ولكن النتائج تبدو بعد انقضاء مرحلة التربية متمثلة في المستوى الأخلاقي الرفيع الذي اشرق في باطنه و الحياة السعيدة المبتنية

على اساس ذلك... ولكنه لو عصى أوامر المرابي فانه سيشعر بعد ذلك بمدى الخسران الذي اصابه جراء ذلك.

الهادي نحو الحياة:

ولنلا حظ الآن مسألة من الذي يؤمن لنا حصول تلك الحياة المعنوية وتكاملها، وهي حتما تحتاج الى من يهدي اليها...
و هل يمكن ان تكون الهداية نحوها متمثلة في انسان عادي أو أنه يجب ان يكون شخصا يتمتع بصفات عالية و مقام سام من حيث تلك الحياة المعنوية و مصونا من كل خطأ و اشتباه ليطمئن الانسان الى ان اتباع أوامره يقوده نحو تلك السعادة.

فقد جرت سنة الله تعالى في ان الانسان يجب ان تكمل فيه صفة الاهتداء حتى يستطيع أن يكون هاديا للآخرين و ينصب من قبل السماء لهذه المهمة «أَقْمَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^٤.

و يتوضح ذلك اكثر اذا ما عرفنا بأن الإمامة لاتعني الهداية العادية اذ تلك وظيفة كل مسلم ولا تختص بالإمام، و انما المراد من تلك الهداية (الهداية بأمر الله) و متى ما لم يصلوا الى الحياة المعنوية فتنكشف لهم الحقائق لا يستطيعون ان يقوموا بمهمة الإمامة، و بملاحظة الآيات القرآنية الواردة في مجال الإمامة نعرف بأنه متى ما ذكرت الإمامة ذكرت معها الهداية بالأمر لتوضيح المقصود منها.

ما هي الهداية بأمر الله؟

ان للإمام ولاية وهداية باطنية بالإضافة لتعليم الأحكام والهداية الظاهرية ونعني بذلك ان الإمام وعن طريق الباطن يقود الأناس المستعدين ويسوقهم نحو مدارج الكمال. ولأن هذه الهداية تقوم على اساس الفيض المعنوي والمقامات الباطنية فقد أُسميت بـ (الهداية بأمر الله).

فالهداية الباطنية مقام رفيع قد يصله الأنبياء بعد اجتياز مقام النبوة نفسه وذلك كما نقرء في قصة إبراهيم عليه السلام الذي يصل بعد مقام النبوة الى الامامة بعد الابتلاء بتلك الكلمات واتمامها حيث قال تعالى:

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ الْعَهْدِي الظَّالِمِينَ ٥.

ولما كان الإمام قد بلغ مرتبة الولاية والهداية بالأمر فإنه يستطيع ان يقوم بأعمال هي في نظر الأناس العاديين محيرة وغير ممكنة.

والقرآن يشهد بأن آصف بن برخيا - وهو من أوصياء سليمان - استطاع في مدة هي اقل من ارتداد الطرف أن يأتي بعرش ملكة سبأ و يحضره أمام سليمان وذلك لأنه كان مرتبطا بعالم ما وراء الطبيعة و عارفا ببعض الحقائق المخفية فيه.

ولاريب في ان القادة والأئمة عليهم السلام أعلى من آصف و يشهد لهذه الحقيقة، التاريخ المعبر المدارك والأسناد الروائية الأصيلة

حيث تبدو فيها تلك الهداية المعنوية والولاية الباطنية لهم (ع) ثم انه لما كان الإمام نفسه في اعلى درجات الحياة المعنوية فإن له نوعاً من الجذب الروحي الخاص الذي يستطيع ان يتحكم في القلوب المستعدة ويتصرف بها ويقودها نحو الكمال... وذلك كما يحدثنا التاريخ عن حياة مجموعة من اصحاب الأئمة عليهم السلام الذي يفتخر التاريخ نفسه بوجودهم.

وهذه نماذج من تلك الامثلة:

١- الرجل الدمشقي:

كان علي بن خالد ز يدياً يعيش في عصر الإمام التاسع الجواد عليه السلام وهو ينقل لنا هذه الواقعة فيقول: كنت بالعسكر (سامراء) فبلغني ان هناك رجلاً محبوساً أتى به من ناحية الشام مكبولاً وقالوا انه تنبأ قال فأتيت وداريت البوابين حتى وصلت اليه فإذا رجل له فهمٌ وعقلٌ فقلت له: يا هذا ما قصتكَ؟ فقال اني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال انه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله عز وجل إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت اليه فقال لي قم فقمتم معه فمشي بي قليلاً فإذا أنا بمسجد الكوفة فقال لي تعرف هذا المسجد فقلت نعم هذا مسجد الكوفة قال فضلي واصلت معه ثم انصرف وانصرفت معه فمشي بي قليلاً واذا نحن بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصلت معه ثم خرج وخرجت فمشي قليلاً فاذا أنا بمكة فطاف بالبيت وطفتم معه ثم خرج فمشي قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت اعبد الله فيه بالشام وغاب الشخص عن عيني فبقيت متعجباً حولاً مماريت فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به و

دعاني فأجبتة ففعل كما فعل في العام الماضي فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له سألتك بالحق الذي أقدرك علي ما رأيت منك إلا أخبرتني من انت فقال: انا محمد بن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام فحدثت من كان يصير الي بخبره فرقى ذلك الي محمد بن عبد الملك الزيات فبعث الي فأخذني و كبلني في الحديد و حملني الي العراق و حبست كما ترى و ادعي علي المحال فقلت له فأرفع عنك قصتك الي محمد بن عبد الملك الزيات فقال افعل فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها و رفعتها الي محمد بن عبد الملك فوقع عبد الملك في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة الي الكوفة و من الكوفة الي المدينة الي مكة و ردك من مكة الي الشام ان يخرجك من حبسك هذا، قال علي بن خالد فغممني ذلك من أمره و رقت له و انصرفت محزوناً عليه فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال و أمره بالصبر و العزاء فوجدت الجند و اصحاب الحرب و صاحب السجن و خلقا عظيما من الناس يهرعون فسألت عن حالهم فقبل لي المحمول من الشام المتنبّي افتقد البارحة من الحبس فلاندري أخسفت به الأرض او اختطفه الطير.

ثم ينقل علي بن خالد أنه أصبح بعد ذلك إما ميا معتقداً بإمامة الإمام الجواد عليه السلام^٦.

٢- ميثم التمار

كان عبدا فاشتراه الإمام علي عليه السلام و سأله ما اسمك؟ فقال: سالم فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ان اسمك

الذي سماك به أبواك في العجم ميثم . قال : صدق الله ورسوله و صدقت يا أمير المؤمنين والله انه لاسمي . قال : فارجع الى اسمك الذي سماك له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودع سالماً فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم . فقال له علي عليه السلام ذات يوم : انك تؤخذ بعدى فتصلب و تطعن بحربة فاذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفك دما يخضب لحيتك فانظروا ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عشر عشرة انت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة و امض حتى أرىك النخلة التي تصلب على جذعها فأراه إياها . و كان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت ولم يزل يتعاهدها حتى قطعت و حتى عرف الموضع الذي يصلب عليها بالكوفة . قال و كان يلقي عمرو بن حريث فيقول : إني مجاورك فأحسن جوارى فيقول عمرو أترى ان تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم وهو لا يعلم ما يريد . و حث في السنة التي قتل فيها و دخل على أم سلمة رضي الله عنها فقالت : من انت ؟ قال : انا ميثم قالت : والله لرتما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر بك ويوصي بك علياً في جوف الليل فسألها عن الحسين عليه السلام فقالت : هوفي حايط له قال : اخبريه : انني قد أحببت السلام عليه و نحن ملتقون عند رب العالمين ان شاء الله تعالى : فدعت ام سلمة بطيب و طيب لحيته وقال : اما انها ستخضب بدم . فقدم الكوفة ، فأخذه عبيد الله بن زياد ، فأدخل عليه فقيل له : هذا كان من آثار الناس عند علي عليه السلام وقال : و يحكم هذا الأعجمي ؟ قيل له نعم . قال له عبيد الله : اين ربك ؟ قال : لبا المرصاد لكل ظالم و أنت أحد الظلمة قال : انك على عجمتك لتبلغ الذي تريد ما أخبرك صاحبك إني فاعل بك ؟ قال :

اخبرني انك تصليني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة واقصرهم الى المطهرة قال لنخالفه. قال: كيف تخالفه فوالله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن الله تعالى فكيف تخالف هؤلاء؟ ولقد عرفت الموضوع الذي أصلب عليه أين هومن الكوفة، وأنا أول خلق الله الجم في الإسلام. فحبسه، وحبس معه المختار بن ابي عبيدة. قال له ميثم: انك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين (ع) فتقاتل هذا الذي يقتلنا فلما دعى عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بر يد بكتاب يزيد الى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله، فخلاه وأمر ميثم أن يصلب، فأخرج فقال له رجل لقيه ما كان اغناك عن هذا يا ميثم فتبسم وقال: وهو يومي الى النخلة لها خلقت ولي غذيت فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث قال عمرو قد كان والله يقول اني مجاورك فلما صلب امر جاريته بكنس تحت الخشبة ورشه وتجميره. فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد. فقال: أجموه و كان اول خلق الله الجم في الاسلام. و كان قتل ميثم رحمه الله قبل قدوم الحسين بن علي عليه السلام العراق بعشرة ايام فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحرية، فكبرتم انبعث في آخر النهار فه وانفه دما^٧.

٣- قنبر:

و كان هذا الانسان الجليل ممن استفادوا من الظلال المعنوية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام (ع) فبلغوا مقاما عاليا ولم يكن يخشى احد في قوله الحق وهو وإن كان في نظر السطحيين عبداً لا أكثر

لكنه بلغ المراتب المعنوية العالية وله عبارات رائعة قالها امام الحجاج بن يوسف الجلاد التاريخي المشهور اذ سأله الحجاج: ما الذي كنت تلي من علي بن ابي طالب؟ فقال: كنت أوضيه فقال له: ما كان يقول اذا فرغ من وضوئه؟ فقال كان يتلو هذه الآية: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^٨. فقال الحجاج: اظنه كان يتأولها علينا؟ قال: نعم. فقال ما انت صانع اذا ضربت علاوتك؟ قال: اذن اسعد وتشقى^٩ و طلب منه الحجاج ان يبرأ من علي عليه السلام فقال: فاذا برئت من دينه تدلني على دين غيره افضل منه؟ قال: اني قاتلك فاخبراي قتلة احب اليك؟ قال: قد صيرت ذلك اليك قال ولم؟ قال: لانك لا تقتلني قتلة الا قتلتك مثلها ولقد اخبرني امير المؤمنين عليه السلام ان منيتي تكون ذبحا ظلما بغير حق قال فأمر به فذبح^{١٠}.

٤- أويس القرني

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: روائح الجنة من قبل قرن و اشوقاه اليك يا أويس القرني ألا ومن لقيه فليقرئه متي السلام^{١١}.

و ذات يوم كان الإمام علي جالسا لأخذ البيعة، قال: يأتيكم من قبل الكوفة الف رجل لا يزدون رجلا ولا ينقصون رجلا يباعدوني على الموت. قال ابن عباس: فجزعزت لذلك وخفت انه ينقص القوم عن

٨- سورة الانعام الآية ٤٤ - ٤٥.

١٠- الارشاد ص ١٥٥.

٩- البحار ج ٤٢ ص ١٣٥ - ١٣٦.

١١- سفينة البحار ج ١ ص ٥٣.

العدد أو يزيدون عليه فيفسد الأمر علينا ولم أزل مهموما... فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعون رجلاً ثم انقطع مجي القوم فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون ماذا حمله على ما قال؟ فبينما انا مفكر في ذلك اذ رأيت شخصاً قد أقبل حتى إذا دنى وإذا هوراجل عليه قباء صوف معه سيفه و ترسه و أدواته فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أبايعك فقال له أمير المؤمنين عليه السلام على مَ تبايعني قال على السمع و الطاعة و القتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك. فقال له: ما اسمك قال: أويس. قال: أنت أويس القرني؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني أدرك رجلاً من الله يقال له أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر^{١٢}.

وهكذا كانت نهاية أويس القرني أن قتل بصفيين مع عليّ (ع)^{١٣}.

قد بلغ أويس مقاما معنوياً سامياً و اشتهر بذلك و كان يلتذ بالعبادة و لا يهتم باللذائذ المادية مطلقاً^{١٤}.

و من كلماته التي يمكن ان تطلعنا على واقع حياته المعنوية قوله:
و الله ان الموت و غصصه و كرباته و ذكر هول المطلع و احوال يوم القيامة لم تدع للمؤمن في الدنيا فرحاً.
و ان قيام المؤمن بالحق لم يدع لنا صديقاً نأمرهم بالمعروف و

١٢- الارشاد ص ١٤٩.

١٣- اسد الغابة ج ١ ص ١٥٢.

١٤- اعيان الشيعة ج ١٣ ص ٩٣ - ٨١ (الطبعة الثانية).

ننهاهم عن المنكر فيشتمون اعراضنا و يرموننا بالجرائم و المعاييب و العظائم و يجدون على ذلك اعوانا من الفاسقين انه و الله لا يمنعنا ذلك ان نقوم فيها بحق الله تعالى^{١٥}.

الدرس السادس والعشرون

أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)
الوصيّ المعيّن من قبل النبيّ (صلى الله عليه وآله
وسلم)

وصيّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

يعتقد الشيعة الإثنا عشرية بأن الإمام عليّ عليه السلام هو القائد
المختار بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للعالم الإسلامي ثم بعده أبنائه
الأحد عشر المعصومون عليهم السلام.
وتدعم هذه العقيدة أدلة وبراهين قاطعة يدعن لها كل منصف
لييب موضوعي .

يحدثنا جابر بن عبد الله أحد أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله
وسلم وخاصته فيقول:

لما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله
وسلم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الأمر منكم»^١.

قلت يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال هم خلفائي وأئمة المسلمين بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا القيته فاقرأه عني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمّي وكنّي^٢ حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي»^٣.

القائد الأول:

لا يمكن لأيّ مجتمع كان وفي أيّ زمان ومكان ان يعيش متسيباً «بلاقيادة»، وذلك أمر مسلم عند الجميع، وعليه فإن هذه الأفكار تطرح نفسها في البين:

ان كل من يمكس بأزمة القيادة في أيّ مجتمع لابد وان يكون باذلاً غاية جهده في حراسته و حفظه ان كان عاملاً بشوق على دوام المجتمع وسعادته، وتتناسب حراسته واسلوب حفظ مكتسبات المجتمع وضمنان تقدمه مع مستوى قدرته واتساع مدى سلطته اذ هو لا يفكر في

١- سورة النساء الآية ٥٩.

٢- اسم الرسول الأكرم «محمد» (ص) وكنيته أبو القاسم.

٣- منتخب الأثر ص ١٠١ نقلاً عن كتاب كفاية الأثر، وينقل مؤلف هذا

الكتاب في هذا المجال رواية من كتاب السنة والشيعة ذكر النبي (ص) فيها اسما الاثمة واحداً بعد الآخر.

الحالة الحاضرة للمجتمع فحسب بل ينظر الى مستقبله ومستقبله البعيد ايضا فيضع تلکم الأطروحات والضمانات التي تتكفل ايصاله الى السعادة الحققة.

وعلى اساس هذا نجد أن القادة وعلى اى مستوى كانوا يعينون من يقوم بوظائفهم في فترة غيابهم في سفر مثلا حتى ولو كان قصيرا و هذا المعنى يظهر في مختلف الأشكال:

في رئيس للعائلة، في مدير المدرسة، في مهندس المصنع فهؤلاء جميعا ينصبون اذا غابوا ولساعات من يقوم بوظائفهم ويوصون مرؤوسهم بالسمع والطاعة له وبداهة هذه المسألة تصل الى حد لا تحتاج معه الى شرح وبيان.

النبي الرحيم المفكر في المستقبل:

والنبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم كان على هذا المنوال وهو يقود ذلك المجتمع المراد له ان يكون طليعة العالم. فما ان تستظل منطقة جديدة بظل الاسلام وتدخل في الرقعة الاسلامية لأول مرة، ومهما كانت صغيرة، حتى يبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاكما لاثقالها ليمسك زمام الأمور بيديه. وما ان يبعث جيشا أوسرية لقتال حتى يعين قائدها المسؤول ولربما عين من يمسك الراية والقيادة بعد ذلك القائد، ومن تصل اليه النبوة بعد هذا وهكذا.

كما انه كان يعين من يخلفه هو (ص)، فقد عين اناسا خلفا له وهو ينطلق الى سفر خارج المدينة لثلاثي بعده بلا قائد^٤.

وهنا بالذات يركز الشيعة على عدم تعقل ان النبي العظيم مع كل ذلك التخطيط للمجتمع العالمي يرحل دون ان يعين له خلفا خصوصا في تلك الظروف الحرجة من الدعوة وهل الاحتمالات الآتية موافقه للمنطق السليم؟

ان يستغني المجتمع الاسلامي عن القائد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!

ان لايهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحالة المجتمع الاسلامي بعد وفاته؟!!

ان يكون (ص) قد فقد تلك النظرة البعيدة للأمر؟!!

ان لا يعرف (ص) من هو اللائق لأن يخلفه؟!!

ثم نسأل مرة أخرى:

أى الاحتمالات السابقة يمكن ان يتفق مع العقل؟

النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم مع كل تلك الرحمة و بعد النظر المؤيد بتأييدات السماء الذى جاء برسالة تحمل كل مشاكل الحياة وتقود الأمة نحو الأسلوب الأمثل للسلوك في مختلف النواحي، النبي

٤- تراجع الكتب التاريخية تتحدث في تاريخ الإسلام وأسلوب الرسول الأكرم

(ص) من مثل سيرة ابن هشام.

العظيم الذى خطط لقيادة العالم ... لا يمكن ان نتصوره غافلا عن اهم جانب اجتماعي وهو مسألة الحكم خصوصا اذا لاحظنا عنصر التربية البشرية التى أرادها للإنسان، ولا يمكن ان نتصوره ترك الأمر على عواهنه فى تلك الظروف.

ومن هذه الزاوية فقد انطلق الشيعة الإمامية يبحثون عن جواب على هذا السؤال فى النصوص والمدارك الإسلاميّة الأصيله، وعندها وصلوا الى الحقيقة التى حكم بها وجدانهم من قبل وهى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصدر تعليماته الواضحة السليمة عن كل لبس فى مجال تعيين خلف ووصي له وذلك كماورد تحت عنوان:

احاديث تفسير آية الولاية، حديث الغدير، حديث السفينة، حديث الثقلين، حديث المنزلة، حديث دعوة العشيرة الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة المذكورة فى الكتب المفصلة والى كانت وما زالت مدار البحث والتحقيق والى ثبتت صحتها ودالتها على المقصود.

ونحن فى هذا الكتاب نختار أحدها وهو حديث الغدير ونترك الأمر اليكم لتحكموا العقول وتنصفوا فى الحكم:

حديث الغدير التاريخي:

عزم النبي الأكرم (ص) فى السنة العاشرة للهجرة على السفر إلى

مكة وأداء مناسك الحج، وكان هذا الحج في آخر عام من عمره المبارك ولذا فقد سُمِّي ذلك الحج بـ(حجة الوداع).

وقد تسابق المسلمون الذين كانوا يشاققون الى صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحصول على حجة مقبولة في ركابه (ص) حتى وصل عددهم الى ١٢٠ الفاً. وانضم اليهم جماعة من مكة، وهكذا أدى (ص) واصحابه فريضة الحج ورجعوا الى ديارهم، وفي الطريق الى المدينة وبينما كان الجميع نازلين بماء يقال له «غدير خم» وفي اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة الحرام من السنة العاشرة نزلت هذه الآية الكريمة:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^٥.

وهكذا صدر ذلك الأمر الإلهي العظيم،

وتهامس الركب، لقد صدر أمر من الله... وانتظر الجميع بيان هذا الامر... ويصدر الامر من النبي العظيم يترك المسير وانتظار المتأخرين حتى يصلوا وهكذا يكون الامر ويقف العابرون الكثيرون هناك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسماع ذلك النبأ العظيم... في ذلك الهجير الحار وفي منتصف النهار حيث تلفح حرارة الشمس الوجوه عند غدير خم.

ما هو الخبر الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان يأمر بهذا الوقوف في هذه الحالة وينطلق صوت المؤذن بالأذان ويصلي النبي

بالناس ثم يصنع منبر من حدوج الابل ويصعده النبي صلى الله عليه وآله وسلم... في حين تحبس الأنفاس في الصدور والناس في صمت يشبه صمت الصحراء نفسها في انتظار سماع النبأ.

ويبدأ (ص) في خطابه، لقد كانت كلماته المقدسة كذرات من الماء البارد المتطاير من انحدار شلال لطيفة رحيمة، تكسر سورة الحر، والناس العطاشى تحت الشمس يعبون ويعبون بملء اذانهم وقلوبهم من ذلك النير العذب...

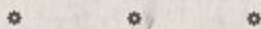
وبعد ان يحمد النبي الله يقول (ص):

واني مسؤول وانتم مسؤولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهت فجزاك الله خيرا.

قال: أستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق، وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ايها الناس... فاني فرط على الحوض وانتم واردون علي الحوض... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فننادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله (ص)؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله... والآخر الأصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنها فتهلکوا، ثم اخذ بيد علي فرفعها حتى رؤى بياض آباطهما وعرفه القوم اجمعون فقال: ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم قال: ان الله مولاى وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من انفسهم فن كنت مولاه فعلي مولاه... ثم قال اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واحب من احبه، وابغض من

ابغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار،
 الافليبلغ الشاهد الغائب ثم لم يتفرقا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: **الْيَوْمَ
 اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
 دِينًا**... فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الله اكبر على اكمال
 الدين واتمام النعمة ورضى الرب رسالتي والولاية لعلي بعدي ثم طفق
 القوم يهنئون امير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنا في مقدم الصحابة:
 الشيخان ابوبكر وعمر كل يقول: **بَخَّ بَخَّ يَا ابْنَ ابيطالب اصبحت و
 امسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة**^٧.



سند حديث الغدير:

يمتلك هذا الحديث من حيث سلسلة الرواة سنداً يقل نظيره في
 الاحاديث الاخرى. فقدروراه^{١١٠} من اصحاب النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم) الذين كانوا قد حضروا الحادث ونقلوه عن النبي (صلى الله
 عليه وآله وسلم) بلا واسطة كما رواه ٨٤ شخصا من التابعين^١.
 وقد نقل العلماء الموضوعيون من اهل السنة هذه الواقعة سواء كانوا

٦- سورة المائدة الآية ٣.

٧- الغدير ج ١ ص ٩ - ١١.

٨- الغدير ج ١ ص ١٤ - ٦١.

٩- الغدير ج ١ ص ٦٢ - ٧٢، والتابعون اولئك الذين لم يروا النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) ولكنهم رأوا واحداً او اكثر من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

مفسرين او مؤرخين او غيرهم ذاكرين اسنادها ومداركها... وقد ذكر صاحب الغدير اسم ٣٥٠ شخصا منهم.

وما اكثر من كتب من العلماء في هذه الواقعة كتابا مستقلا فقد ذكرت اسماء ٢٦ شخصا منهم مع خصائص كتبهم في كتاب «الغدير»*.

كما انا نجد اصحاب المعاجم ودوائر المعارف يذكرون الواقعة متى ماتعرضوا لكلمة غدير او مولى.

وعليه فليس هناك اى اشكال أو ترديد في سند حديث الغدير اللهم الا لاولئك الذين أعمى التعصب قلوبهم فوقفوا امام الشمس فسطع عليهم نورها ولفحتهم حرارتها ومع ذلك فهم ينكرون وجود النور والحرارة!!.

تحقيق موجز في معنى حديث الغدير:

وحديث الغدير هذا اذا لاحظنا القرائن الموجودة فيه والتي احاطت به، نجده يشد الانسان المنصف اليه فيبدو منه بوضوح انه يؤكد خلافة الامام علي وانه الوصي المباشر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

• كتاب الغدير والعلامة الاميني.

الف الكتاب العالمي الشهير (الغدير) من قبل العلامة المجاهد الفقيه الشيخ عبدالحسين الاميني عليه رحمة الله، ويبحث حول حديث الغدير.

وقد كان هذا الكتاب القيم حصيلة عمر من الجهود والمصاعب لذلك الرجل العظيم وطبع منه لحد الآن ١١ مجلد، ويمتاز الكتاب ببيانه الرائع واسلوب القوم واستدلالاته القوية التي ادعن لها اعظم اهل السنة واعترفوا باحقية مدرسة اهل البيت وقلبت المفاهيم المغلوطة عن مذهب التشيع راساعلى عقب ومما اسدى خدمة كبرى لمسئلة التفاهم بين المجموعتين المسلمتين (الشيعة والسنة).

وها نحن نقوم ببعض التوضيح وعرض بعض القرائن فيما يلي:
١- كلمة «مولى» الموجودة في هذا الحديث تعتبر من اوضح
الكلمات دلالة على المطلوب الذى يهدف اليه الحديث.

و «المولى» في هذا الحديث يعنى من له مقام الولاية والامامة
واصدار الامرو ومن يتقدم طلبه على طلبات الآخرين وذلك لان النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ان يأتي بعبارة (من كنت مولاه) قال:
ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم؟

و معنى الأولوية هنا كما هو واضح هوكون مراده مقدما على مراد
الآخرين وان كل مايقوله ويفعله حجة يجب على الناس اتباعها، وأن له
في الحقيقة ولاية واشرافا على الناس.

وهنا يقال بان الحديث عن ولاية امير المؤمنين واولويته يجب ان
يكون بنفس المعنى الذى تقدمه فكلما قلناه في جملة (الست اولى بالمؤمنين
من انفسهم) يجب ان نقوله في جملة (فهذا علي مولاه) وذلك لكي يحفظ
الترباط في المعنى بين الجملتين.

وعلى هذا الاساس، يكون المعنى الصحيح والكامل المتحصل من
هذه الجمل هو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

الست اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم فأجاب به الجميع
بالإيجاب، و هنا خبر (ص) بان نفس هذه الاولوية والمولوية التي أملكها
انا هي لعلي (عليه السلام) ايضا فهو اذن وصيه وخليفته و وارث قيادته.

ولا يمكن ان يقصد اى معنى آخر من كلمة «مولى» في هذا
الحديث سوى معنى (الولاية والامامة) اذ المعاني الاخرى لا تتناسب
مطلقا معه.

ويجب هنا ان نلتفت الى نقطة مهمة، هي جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس في ذلك المكان المقفر الحارّ وأمرهم بالوقوف هناك، كل هذا يؤكد هذه الحقيقة التاريخية وهي ان الموضوع هام مصيرى وليس أمراً عادياً وإلّا فأبى عاقل يتصور ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع الناس في ذلك المكان والزمان وكان يقصد من عمله هذا ان يبين موضوعاً جزئياً (وهو حبّ عليّ عليه السلام) مثلاً ويذكرهم باحاديثه التي قالها بهذا الصدد.

٢- والدليل الآخر على ما قلناه هو قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

اذ هو يشير الى حرص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن يشد الأمة بعلي (عليه السلام) ويوفر له العدة والعديد وذلك لكي ينهض بامر القيادة الاسلامية العامة للامة، وذلك لان الحكومة الاسلامية تحتاج الى قادة واعين للإسلام كاملاً ومطاعين في أوامره، ولذا اوجب على كل الأمة ان تلزم الامام وتطيع اوامره ودعا لمن نصره وعلى من خذله لكي يفهم الناس بهذا الاسلوب ان من يقف في وجه الامام يجعل نفسه عرضة لغضب الله الجبار.

٣- في مطلع الخطبة الشريفة قال لهم.

«الستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله...»

قالوا بلى نشهد بذلك ثم قال:

من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم. واخيراً قال: من كنت

مولاه فهذا علي مولاه.

وبديهي ان المقصود من ولاية امير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد الشهادة بالتوحيد والرسالة والولاية للنبي هونفس الإمامة وذلك لان التناسق في المعنى لن يتم الا اذا قلنا بهذا المعنى ويتضح هذا اذا اعلتآبان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من أفصح الناس وابلغهم.

٤- انهال الناس بعد ذلك على امير المؤمنين يهنئونه وهذه التهئة لامعنى لها الا بتصور مرتبة ومقام عال حصل عليه الإمام من قبل الله تعالى وبواسطة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم.

٥- الآية الشريفة «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^{١٠}.

نزلت بشهادة علماء السنة في ذلك اليوم العظيم لتؤكد مسألة خلافة الامام للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^{١١}.

و كنموذج على ذلك ننقل ما ذكره المفسر والمؤرخ الكبير الحافظ ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى حيث روى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان الله تعالى انزل الي (بلغ ما انزل...) وقد امرني جبرئيل عن ربي ان اقوم في هذا المشهد واعلم كل ابيض واسود ان علي بن ابي طالب اخي ووصيّي وخليفتي والإمام بعدي»^{١٢}.

٦- تسابق الشعراء الفحول منذ ذلك اليوم وحتى اليوم في مدح

١٠- سورة المائدة الآية ٦٧.

١١- يذكر العلامة الاميني في كتاب (الغدیر) اساء ٣٠ شخصا من مشاهير علماء

السنة من يعترفون بنزول هذه الآية في حق عليّ (عليه السلام).

١٢- الغدير ج ١ ص ٢١٥ نقلا عن كتاب الولاية للطبرى.

الامام وذكر تلك الواقعة الجليلة بشعر جيد تتناقله الالسن والقلوب، وهذا الشعر مع التجاوز عن اهميته الادبية يعتبر دليلاً محكماً على صحة ما قلناه في هذه المسألة التي هي مورد بحثنا اذ كل اولئك فهموا من الحديث اثبات الولاية والامامة.

وقد جمع صاحب الغدير اشهر المقطوعات التي قيلت في البين وتحدث عن ترجمة شعرائها بشكل واف وتعرض للشعر شارحاً وناقداً. وهانحن نعرض مقطعاً مما قاله حسان بن ثابت في هذه الواقعة الشريفة، اذاستأذن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يقول شعراً فاذن له فانشأ قصيدة يقول فيها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
 بختم وَاكرم بالنبي منادياً
 يقول فمن مولاكم ووليكم
 فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
 إلهك مولانا و أنت ولىنا
 ولن تجدن منالك اليوم عاصياً
 فقال له قم يا علي فإني

رضيتك من بعدي إماماً وهادياً^{١٣}
 ٧- تحدثنا الاحاديث الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين عن انهم كانوا يعظمون يوم الثامن عشر من ذى الحجة ويعتبرونه أحد الأعياد الرسمية للمسلمين وذلك لكي تتجدد

«مسألة الغدير وتبقى خالدة في اعماق القلوب».

وقد ذكر ابورحان البيروني العالم الذائع الصيت في القرن الخامس في كتاب (الآثار الباقية) وكذلك ابن طلحة الشافعي في كتاب (مطالب السؤل) ذكر أن يوم الغدير يعتبر أحد الأعياد الإسلامية.

٨- الاحتجاجات: ولقد كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة الآخرون يحتجون بهذا الحديث في مواقع مختلفة ضد مخالفيهم، ولم يأت أحد من المخالفين برّد يقول بأن الحديث لم يكن يعين الولاية والإمامة^{١٤}.

وقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم في الناس ثم قال لهم: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إقام؟ ولا يقوم رجل يقول إني نبأ أو بلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه. فنهض جماعة يعدهم الإمام أحمد بن حنبل بثلاثين شخصاً و شهدوا بذلك.

وهذا طبيعيّ خصوصاً إذا لاحظنا انقضاء خمس وعشرين سنة أو أكثر على الحادثة وعدم تواجد الكثير من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكوفة آنذاك، وان الكثير منهم كان قد توفي قبل ذلك هذا بالإضافة الى امتناع البعض لأغراض خاصّة.

وهذا سيّد الشهداء وأبوالأحرار الحسين بن علي (عليهما السلام) خطب الناس في اجتماع إسلامي عام بمكة حضره أكثر من سبعمئة رجل... عامتهم من التابعين ونحو من أمّتي رجل من اصحاب النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)... فقال:

انشدكم الله اتعلمون ان رسول الله نصبه يعني اباہ (ع) يوم غدیر خم فنادی له بالولاية وقال: لیبغ الشاهد الغائب؟ قالوا: اللهم نعم^{١٥}.

* * *

ونختم هذا البحث بعرض مقطع من الخطاب الذى ارسله الشيخ محمد دحدوح العالم السنّي الكبير وإمام جامع حلب وجمعتها تقریظاً لكتاب الغدير اذيقول:

«فالغدير دعم أموراً، وأزال أوهاماً، وأقرّ حقائق، واثبت اشياء كنا نجهلها ودحض أقوالاً مشينا عليها قروناً عديدة ونحن نقول — اى هكذا اخلقت — لانعلم لها مأتى ولا نفكر باسراها.

والحوادث يجب ان تعطينا اخباراً تجعلنا نبني عليها صرحاً متيناً من التفكير والتعمق بما جرى وما وقع».

وهكذا لاحظنا مقدار المعلومات التي كان يملكها اخواننا عن واقعة (الغدير) التاريخية ولكن الآن وبعد انتشار هذا الكتاب القيم وجدوا انفسهم امام مجرد خار من الحقائق التي لا سبيل الى انكارها فكل مانراه في الغدير يؤكد ان الشمس لا يمكن ان يغطيها شيء.

الدّرس السّابع والعشرون

مسألة الشورى

يجمع المسلمون بدون أى ريب أو ترديد على ان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) معصوم من الانحراف وان ما يقوله مطابق للواقع والإرادة الإلهية تماماً، اذ بدون ذلك لم يكن الله تعالى ليأمرنا بالتسليم الكامل والطاعة المطلقة له (ص)، فأمره (ص) أمر الله تعالى و يجب على الجميع اتباعه والتسليم له.

هذا وأن الايات التالية لتؤكد لنا بانه (ص) كان يمتلك حق الحاكمية على الامة وان أمره مقدم على كل الأراء، وان تعاليمه في الأمور الاجتماعية مما لا يحصى عن القيام بتنفيذها بحذافيرها:

- ١- النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ^١.
- ٢- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ^٢ ان التأمل في هذه الاية الكريمة يوضح تماماً نفوذ امره (ص) في كل الامور وحتى في الامور الشخصية، وذلك

١- سورة الاحزاب الآية ٦.

٢- سورة الاحزاب الآية ٣٦.

لأن الآية قد نزلت في مورد من موارد الاحوال الشخصية وهي مسألة زواج زيد وزينب^٣.

فقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينباً ان تقبل بالزواج من زيد وذلك ليقضي على عرف جاهليّ كان يتطلب من الزوج ان يكون من طبقة الأحرار والأشراف وهكذا منع الغرور الكاذب والنخوة والتعصب المعيب وهما من بقايا الجاهلية منعا زينب من قبول زيد زوجاً حتى جاء أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوضح الآية الشريفة بانه تلزم اطاعة أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى في الامور الشخصية فاذعنت زينب ورضيت بذلك^٤.

٣- «فَلَا وَرَتَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^٥.

هل النبي محكوم لرأي الأكثرية؟

يقول البعض من أهل السنة بأن رأي الأكثرية في الأمور الاجتماعية هو القول الفصل وذلك الى الحد الذي جعلوا معه لزوم اتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك الراي؟ ولكن التأمل الدقيق في الايات الماضية يوضح لنا بطلان هذا الرأي وها نحن نتعرض الى الدليل الذي استندوا اليه لأثبتات قولهم ونحيب عليه. فقد استدلوا بالآية (١٥٩) من سورة آل عمران وهي «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا

٣- من المعروف ان زينب كانت ابنة عمّة النبي (ص)، من قریش في حين كان زيد غلاماً تحرر على يده (ص).

٤- تفسير نور الثقلين ج ٤ - ص ٢٨٠ و باقى التفاسير.

٥- سورة النساء الآية ٦٤.

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَوَكِّلِينَ» وفي مقام الجواب نقول: بأنّ هذه الآية في نفسها تدل على ان
 النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير ملزم باتباع رأي الأكثرية، وأنّ حق
 الحاكميّة ونفوذ الكلمة له (ص) حتى الأمور الاجتماعية وانه (ص)
 مكلف بأن يقوم — بعد التشاور — بإعطاء رأيه لارأي الاخرين وذلك لقوله
 تعالى «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» ولو كان
 لرأي الأكثرية ذلك التأثير للزم ان يؤمر (ص) باتباع الذين استشارهم
 هذا بالاضافة الى اننا نمتلك الشواهد التاريخية التي تدل على خلاف
 مدعى المسنّة ومن ذلك ماورد في حادثة صلح الحديبية^٦ فقد خرج
 النبي من المدينة بحج بيت الله الحرام وما ان اقترب من مكة حتى بعثت
 اليه مندوباً عنها ينبئه ان قریش لا تسمح له بدخول مكة، فيوضح (ص)
 له انه لم يأت ليحارب بل جاء للحج.

وبعد اخذ وردّ من الكلام استعدت قریش للصلح واستجاب
 النبي لذلك بعد وضع عدة من الشروط المهمة وتم عقده مع ان بعض
 المسلمين لم يكونوا راضين عن ذلك وانهم ارادوا دخول مكة عنوة^٧ لكن
 الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كأن يقول «أنا عبد الله ورسوله لن
 أخالف أمره ولن يضيعني»^٨.

٦ — سمي بذلك لانه حدث في مكان يدعى بـ (الحديبية).

٧ — سيرة ابن هشام ج ٣ من ص ٣٢١ فا بعد.

٨ — تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٤٦ طاليدن.

وهنا يثور هذا السؤال

اذن ما معنى التشاور مع الاصحاب؟

وفي مقام الاجابة عن ذلك نؤكد على ان تشاوره (ص) كان يشكل اسلوباً حكيماً يعبر به عن احترام وتقييم لأرائهم، ونوعاً من تحريك التفكير والتأمل لصالح التقدم الاسلامي هذا بالاضافة الى ان التشاور له دوره الفعال في منع الكثير من الأراء المعارضة التي يتوقع لها ان تظهر بعد حين فتعقل الامر، وذلك لان مجرد كونهم ممن استشيروا في الامر كان كافياً لكي يجعلهم ممن يتبنون ذلك القرار ويشتركون في تحمل نتائجه، ولا يفكرون في معارضته... هذا ولكته (ص) لم يكن في مشاوراته محكوماً لرأي الاكثرية مطلقاً.. واذ رأينا ميل الى بعض الاراء فانما ذلك قائم على اساس مطابقتها للواقع اللازم اتباعه والحقيقة انه لم يرد في أي سند معتبرانه (ص) جعل رأي الاكثرية ملاكاً لقراراته وأوامره.

هل شكل مجلس الشورى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

رأينا و علمنا بأن رأي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقدم على رأي الجميع ومنهم الأكثرية.

وقد ثبت بالطرق القطعية أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اختار علياً بأمر الله تعالى ليقوم بالامر من بعده وليكون وصيه على الأمة وذلك في يوم الغدير وامثاله. وعليه فالتشاور في مسألة تعيين الخليفة بعد النبي يعتبر مخالفة صريحة واضحة لاوامر الله والرسول ولذا فلا قيمة لمثل هذا التشاور.

ولكننا مع غض الطرف عن هذا الواقع الذي لا بأس فيه نحاول ان نعرف: هل تشكل مجلس الشورى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ ولو كان قد شكل هذا المجلس فهل كانت الاكثرية محققة في اصدار الاحكام أم لا؟

ولأجل حل هذه المسألة نحتاج للاطلاع على مقاطع من تاريخ سقيفة بني ساعدة كما تروها لنا الاسناد المعترف بها.

من تاريخ السقيفة

ما أن رحل (ص) عن الدنيا حتى اجتمع الانصار في محل يدعى سقيفة بني ساعدة وقالوا: نولي هذا الامر بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سعد بن عباد، ومع ان سعداً كان مريضاً الا انه حضروا وقال «يا معشر الانصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمان وخلق الانداد والاثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل و كان ما كانوا يقدرون على ان يمينوا رسول الله ولا ان يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن انفسهم ضيماً عموا به، حتى ارادتكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله و المتبع له ولا صحابه والإعزاز له ولدينه وتوفاه الله وهو عنكم راض... استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دون الناس..»

فأجابوه بأجمعهم ان قد وفق في الرأي واحسنت في القول ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الأمر... ثم تراذوا الكلام بينهم فقالوا: فإن أبت مهاجرة قریش... فقالت طائفة منهم فإننا نقول: إذا منا أمير ومنكم أمير.

فقال سعد: هذا أول الوهن. وأتى عمر الخبـر... فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعليّ بن أبي طالب عليه السلام نائب في جهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسل أبو بكر إلى مشغل فأرسل إليه انه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فقال اما علمت ان الانصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون ان يولّوا هذا الامر سعد بن عبادة فضيا مسرعين نحوهم فلقي ابا عبيدة بن الجراح فتماشوا اليهم، وقال أبو بكر بعد ان حمد الله واثنى عليه ثم قال «ان الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون انها لهم عنده شافعة وهم نافعة.. فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم.. فخصّ الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه و الايمان به والمواساة له والصبر معه على شدة اذى قومه لهم و تكذيبهم اياهم... وهم اولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده... و أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين... فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء و انتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة و لانقضي دونكم الأمور».

فقام الحباب بن المنذر وقال:

«يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيثكم و في ظلّكم و لن يجتري مجتري على خلافكم... ولا تختلفوا فيفسد عليكم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير».

فقال عمر: هيات لا يجتمع اثنان في قرن و الله لا ترضى العرب أن يؤمروكم و نبيّها من غيركم... فقام الحباب و قال يا معشر الانصار املكوا على ايديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و اصحابه فيذهبوا نصيبكم من

هذا الامر فان أبوا عليكم ماسأتموه فأجلوهم عن هذه البلاد و تولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم... أما والله لئن شئت لنعيدنها جدعة، فقال عمر اذاً يقتلك الله. قال بل إياك يقتل. فقال ابو عبيدة (يا معشر الأنصار انكم اول من نصر و آزر فلا تكونوا اول من بدّل و غيّر).

فقأ بشير بن سعد:

فقال: يا معشر الانصار انا والله لئن كنا اولى فضيلة فى جهاد المشركين... ما اردنا به إلا لارضى ربنا و طاعة نبينا... .

فقال ابو بكر: هذا عمرو و هذا ابو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقلا والله لا نتولى هذا الامر عليك فانك أفضل المهاجرين... .

فلما ذهب لىبايعاه سبقها اليه بشير بن سعد فبايعه، و لما رأى الأوس^٩ ذلك و ان قريش ترى نفسها الأفضّل و أن الخزرج تريد تأمير سعد بن عبادة... فأسرعوا و بايعوا... فأقبل الناس من كل جانب يبايعون ابابكر... فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعداً لا تطؤوه فقال عمر: اقتلوه قتله الله و لم يبايع سعد حتى مات ابو بكر^{١٠}.

و بملاحظة النقاط التالية تبدولنا حقيقة قاسية و هى ان السقيفة لم تكن تعبر عن مجلس للشورى بين المسلمين.

هل يصح ان نطلق مصطلح (مجلس الشورى) على تشكيل يذهب فيه ثلاثة أشخاص الى محل تجمع احدى القبائل فى المدينة و التى تجمعت لتختار واحداً منها ليكون هو الخليفة فيغرونهم بالكلام اللين تارة أو بالتهديد

٩- الأوس و الخزرج القبيلتان الكبيرتان فى المدينة و كانتا تتنافسان مما جعل الأوس يسرعون الى بيعة ابى بكر لئلا يتقدم سعد بن عبادة و هو زعيم الخزرج.
١٠- تاريخ الطبرى ج ٤ من ص ١٨٣٧ فابعده.

اخرى وبإلقاء التفارقة بينهم وباقي الطرق الاخرى حتى يدعنا الصالح الافراد الثلاثة ويؤمروا أحدهم من دون علم سبق لكبار القوم... و بالتالي يعمل الجميع على سحق كل معارضة يبديها أي انسان بحجة ان تلك المعارضة خرق لإجماع الأمة والمصالح العامة للمسلمين فهي اذن معارضة تخريبية يجب ان يقضى على صاحبها ويستحل دمه، او يبعد من وطنه؟

ترى الم يكن من الأجدد والأمر بهذه الأهمية أن يكون كبار الصحابة وبنو هاشم وفي طليعتهم أمير المؤمنين علي عليه السلام قد احيطوا علماً بالامر؟

تصريح عمر بعدم حصول الشورى آنذاك

فبعد أن مضى زمان على السقيفة ووصل عمر الى مقام الخلافة قال يوماً على المنبر:

«بلغني ان قائلاً منكم يقول لو قدمات أمير المؤمنين بايعت فلاناً، فلانقرن امرءاً ان يقول بيعة ابى بكر كانت فلتة فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل ابى بكر. ولو كانت الشورى قد حصلت واقعاً، و كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ابدوا رأيهم بكل حرّية لم يصف عمر بيعة أبى بكر بأنها فلتة حصلت ارتجالاً وبدون تخطيط ولا مشورة ولم تشتهر بهذا العنوان ولم يكن فيها أي ضرر أو خطر.

يقول عمر «وانه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه

وآله وسلّم أن علياً والزبير ومن معها تخلفوا عنا في بيت فاطمة»^{١١}.
 ونحن نسأل هل يمكن الإغضاء على هذه المخالفة الصريحة خصوصاً
 وأن عمر نفسه يعترف بها؟ وهل هذا هو معنى الإجماع؟
 لو أنه كان من اللازم أن تقوم مسألة الخلافة على اساس الشورى
 فقد كان من اللازم على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ان يقوم قبل
 رحلته، بتثقيف الأمة وتعريفها بشكل نظام الشورى وخصائصه وأعلى
 الأقل ان يشير الى ذلك. وهل يعقل ان يكون النبي قديماً الاحكام
 الجزئية ولكنه في مجال مسألة هامة جداً من هذا القبيل يدع الأمر هكذا
 بدون بيان؟!!

هنا نحن نعود لنعرض بعض الحوادث التي رافقت مرض النبي
 صلى الله عليه وآله وسلّم ورحلته:

١- جيش أسامة

في أواخر حياته الشريفة وحينما كان يرقد على فراش المرض أمر
 النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أسامة و كان شاباً يافعاً ولكنه كان لايقاً
 ليكون قائداً على الجيش المتوجه الى موته^{١٢} وتحرك الى هناك. وقد ضم
 الى جيشه المهاجرين والانصار ومن جملتهم ابوبكر وعمر وابوعبيدة بن
 الجراح... وغيرهم.

و كان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يؤكد كثيراً على الجميع ان
 لايرحوا الجيش ولايتخلفوا عنه، وحتى ان أسامة سأله (ص): أتأذن لي

١١- تاريخ الطبرى ج ٤ من ص ١٨٢٢.

١٢- وتقع بالقرب من حدود امبراطورية الروم الشرقية آنذاك.

أن امكث أياماً حتى يشفيك الله تعالى فقال (ص) اخرج و سِرْ على بركة الله: فقال: يا رسول الله ان انا خرجت وانت على هذا الحال خرجت وفي قلبي قرحة. فقال: سِرْ على النصر والعافية فقال: يا رسول الله اني اكره ان أسئل عنك الركبان فقال: انفذ لما أمرتك به. ثم أغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن أسامة والبعث ثم جعل يقول: انفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه^{١٣}.

٢- مسألة الدواة والكتف:

طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر أيام حياته وعلى فراش المرض من أصحابه أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا من بعده أبداً ولكن البعض قال: انه لهجر^{١٤}. يقول ابن عباس: دخلت على عمر في اول خلافته فسألني عن علي (ع) وقال: هل بقي في نفسه شيء من امر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: ايزعم ان رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّايديع فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في امره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في امره وقتاماً، ولقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام لا ورب هذه البنية لا تجمع عليه قریش ابداً، ولولها لانتفضت عليه العرب من اقطارها فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله اني علمت ما في

١٣- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢١ الطبعة ذات المجلدات الاربعة.

١٤- الطبرى ج ٤ ص ١٨٦ صحيح مسلم، كتاب الوصية وفيه نقل عن عمرانه قال

«غلب عليه الوجع» صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩ وج ٧ ص ١٥٦ وج ٩ ص ١٣٧.

نفسه فامسك و ابى الله الا امضاء ما حتم^{١٥}.

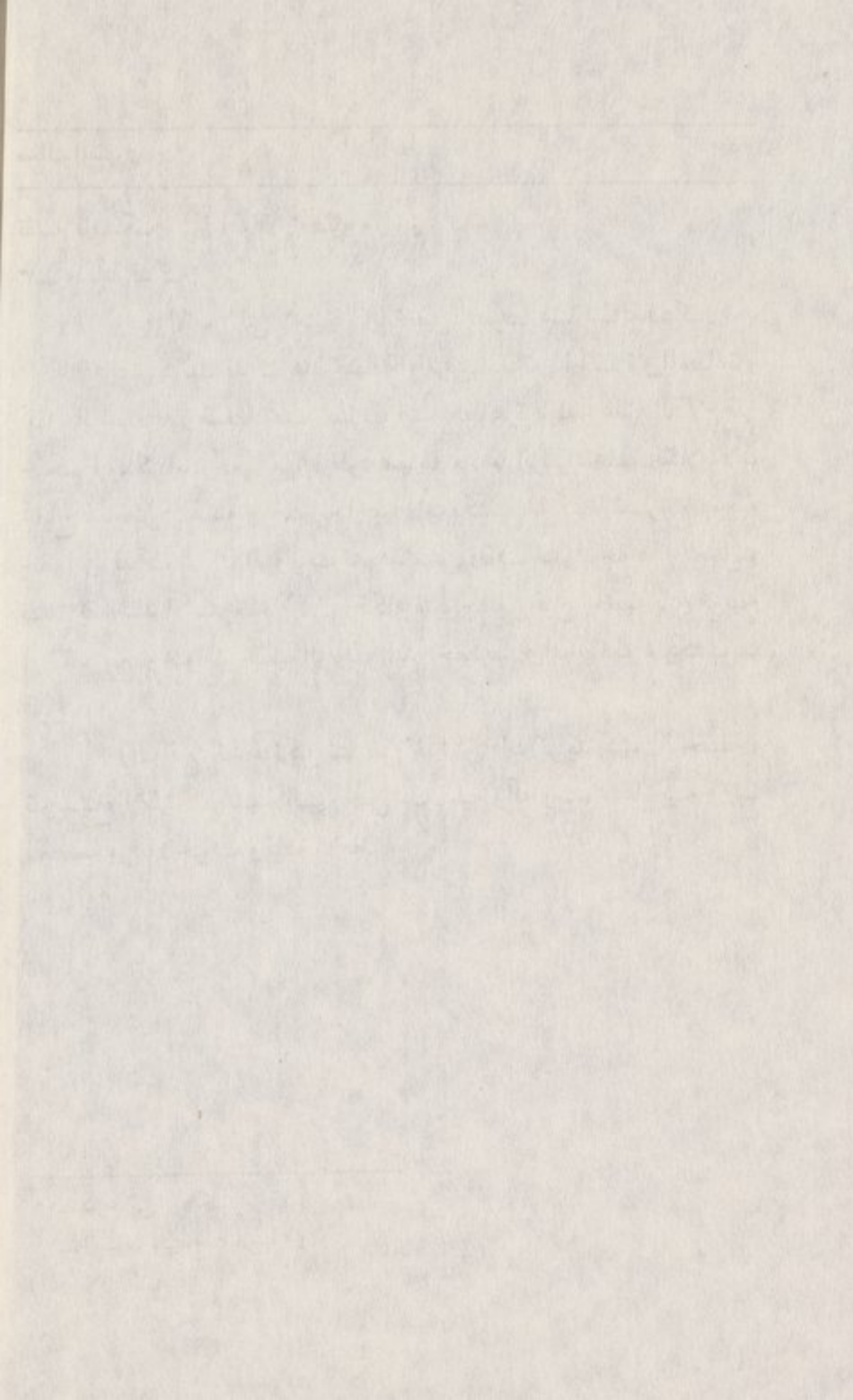
٣- مسألة فدك:

ومن الامور التي لا ينبغي ان نغض الطرف عنها مسألة فدك .
فقد كانت فدك هذه منطقة عامرة بالبساتين الخضرة و المعطاءة و
كان الرسول قد وضعها تحت تصرف ابنته الطاهرة فاطمة عليها السلام فلما
حكّم ابوبكر استرجعها منها و طرد عما لها ممدعا الزهراء عليها السلام لأن
تحتاج ابابكر في عمله و اضطرته اخيراً لأن يكتب لها كتابا تسترجع بموجبه
حقها في فدك الا ان الروايات تتحدث عن وقوف عمر بوجه هذا العمل و
تمزيقه سند الاسترجاع^{١٦}... ولكنه لم يواجه من قبل الخليفة بأي توبيخ
او تقرير و هو امر يجب الوقوف عنده خصوصاً و ان ابابكر لم يكتب لها
غيره.

و الواقع اننا لم نكن نتعرض لهذا لولا اننا نريد كشف الحقيقة و
توضيح اهمية توصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأهل بيته و انهم
العصمة من الانحراف و قادة الامة.

١٥- شرح ابن ابى الحديد ج ١٢ ص ٢٠.

١٦- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠٠.



الدّرس الثامن والعشرون

المهديّ المنتظر الإمام الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً

ولد الإمام المهديّ القائم بالعدل في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية قمرية وفي مدينة سامراء (سمر من رأى) وأصبح إماماً سنة ٢٦٠ (هـ - ق.) أي في السنة التي توفي فيها والده العظيم الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ اسمه ومكنيته هما مثل اسم النبي وكنيته، وأبوه هو الإمام العسكريّ الإمام الحادي عشر للشيعة وأمه هي المرأة الطاهرة «نرجس» سلام الله عليها.

ولم يظهر الإمام لعموم الناس منذ أيامه الأولى، ولم يتصل به الناس الى حدود ٧٠ سنة إلا بواسطة نوابه الخاصين (وهم على الترتيب: عثمان بن سعيد، محمد بن عثمان، الحسين بن روح، وعليّ بن محمد السمرى)، ويطلق على هذه الفترة الزمانية التي بلغت ٧٠ سنة اسم (الغيبة الصغرى) وبعد ذلك بدأت الغيبة الكبرى وفي عهد الغيبة الكبرى لم ولن يعين احدٌ كنائبٍ خاصّ، وعلى الأمة في هذا العهد ان ترجع الى نوابه

العامة وهم الفقهاء ورواة الحديث المتخصصون في الشؤون الدينية، فيكونوا هم محور الحكم الإسلامي.

الاعتقاد بالمهدي (ع) والإصلاح العالمي:

ليس الاعتقاد بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والمصلح العالمي مختصاً بالشيعة بل هو امرٌ تعتقد به سائر الفرق الإسلامية وحتى غير المسلمين أيضاً كاليهود والنصارى والعلماء الكبار في العالم.

جاء في زبور داود:

والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض... أما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون في كثرة السلامة... وعاضد الصديقين الرب... الرب عارف أيام الكملة وميراثهم الى الابد يكون... لان المباركين منه يرثون الارض والملعونين منه يقطعون... الصديقون يرثون الارض ويسكنون فيها الى الأبد^٢.

القرآن والاعتقاد بالمهدي (ع)

لقد وعد القرآن الكريم الأمة بيوم يستلم فيه رجال الحق والانس اللائقون أئمة القيادة في الأرض، وينتصر فيه الدين الإسلامي على سائر الأديان ويعم الأرض، هذا بالإضافة الى ورود آيات فيه تفسر بالامام المهدي (ع):

١- «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ^٣ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^٤.

٢- «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا»^٥.

٣- «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^٦.

٤- «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»^٧.

وهكذا يتوضح من هذه الآيات ان العالم سيصل حتماً الى اليوم الذي تستلم فيه القيادة الرشيدة للاتقة أزمة الأمور فيه، فيكون أولياء الله قادة الأرض ويعلموا الإسلام فيه على سائر العقائد^٨.

٣- وقد نقلنا من قبل عبارة الزبور اذ اعلنت ان القيادة للاتقة ستسلم الامور

في العالم.

٤- سورة الانبياء الآية ١٠٥.

٥- سورة النور الآية ٥٥.

٦- سورة الصف الآية ٩.

٧- سورة القصص الآية ٥.

٨- هناك آيات اخرى تؤكد هذا المعنى بعد ان فسرتها أو أولتها الروايات بما يتصل و

قضية الامام المهدي (ع) وذلك من مثل (آية «الذين يؤمنون بالغيب» وآية «امن يجيب المضطر اذا دعاه» وغيرها) وهي آيات كثيرة ذكر عمدتها المرحوم السيد هاشم البحراني في كتاب (الحجة فيما نزل في القائم الحجة).

المهدوية في المصادر السنية:

وقد روى علماء السنة في هذا المجال روايات كثيرة عن طريق رواة يوثقونهم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتؤكد هذه الروايات على أن الأئمة هم إثناعشر إماماً وأنهم كلهم من قریش، وأن المهدي من أهل بيته (ص) وأبناء علي وفاطمة، وقد صرح الكثير منها انه من نسل الإمام الحسين عليه السلام. وقد رووا في هذا المجال المئات من الأحاديث والتي جاءت في أكثر من ٧٠ مصدراً معتبراً ونحن نشير الى بعض منها،

فيما يلي:

المسند تأليف أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ .

صحيح البخارى تأليف البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

صحيح مسلم تأليف مسلم بن الحجاج النيشابورى المتوفى سنة

٢٦١ هـ .

سنن ابى داود تأليف سلمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة

٢٧٥ هـ .

صحيح الترمذي تأليف محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩

هـ .

ومن الملاحظه أن مؤلفي هذه الكتب المذكورة — و كل منها من

أصح المسانيد المعتمدة عن اهل السنة — هؤلاء توفوا أما قبل ولادة الامام

المهدي — سنة ٢٥٥ هـ . — او بعد ولادته بقليل .

وهكذا:

مصابيح السنة تأليف البغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ .

- جامع الاصول تأليف ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .
 الفتوحات المكتبة تأليف محي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ .
 تذكرة الخواص تأليف سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .
 فوائد السميطي تأليف الحموي المتوفى سنة ٧١٦ هـ .
 الصواعق تأليف ابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ .
 ينابيع المودة تأليف الشيخ سليمان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ هجرية .

وقد ألف عدّة من علماء السنة كتباً مستقلة حول الامام المهدي

(ع) ومنها:

١- «البيان في اخبار صاحب الزمان» للعلامة الكنجي

الشافعي .

٢- «عقد الدرر في اخبار الإمام المنتظر» للشيخ جمال الدين

يوسف الدمشقي .

٣- «مهدى آل الرسول» لعلي بن سلطان محمد الهروي الحنفي .

٤- «كتاب المهدي» تأليف ابي داود .

٥- «علامات المهدي» جلال الدين السيوطي .

٦- «مناقب المهدي» الحافظ ابي نعيم الإصفهاني .

٧- «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر .

٨- «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» للملا علي المتقي .

٩- «اربعون حديثاً في المهدي» لأبي العلاء الهمداني وغيرها .

المصلح الغيبي عند الشيعة:

لدينا اكثر من ثلاثة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين حول الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ويستفاد منها:

ان الامام المهديّ هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام وأن اباه هو الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وأن أمّه هي «نرجس خاتون» واسمه اسم نبيّ آخر الزمان صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته كنيته، ولقبه المهدي، وانه ولد في حياة ابيه، في مدينة سامراء وفقد اباه في طفولته و هو حيّ الى اليوم وسيبقى الى ما شاء الله وانه سيظهر في يوم من الأيام ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً وأنه غائب عن الناس لحكم في ذلك.

وانه ما أن يظهر بطلعه المباركة، حتى يتّكي على جدار الكعبة و يعلن ذلك. ويدعو اتباعه وعددهم ٣١٣ شخصاً فيلبّون نداهه و يحيطون به، وينزل عيسى من السماء ويصلي جماعة خلفه، و سينشر احكام الاسلام في أرجاء العالم وتصير الأرض كالفردوس.



إن الأحاديث التي نقلها علماء الشيعة والسنة في الأمور المختلفة التي تطوف حول الإمام العظيم كثيرة جداً وقد ذكرت في كتب مثل «بحار الانوار، ومنتخب الأثر» وغيرها ونحن هنا نعطي إحصائية لبعضها كما ذكرها صاحب منتخب الأثر في كتابه.

ثم نعقب ذلك بذكر بعض متون تلك الأحاديث:

عدد الأحاديث	الموضوع
٥٨	الروايات التي تصرّح بأنّ الأئمة إثنا عشر أوّهم عليّ عليه السلام وآخروهم المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف
٦٥٧	الروايات التي تبشر بظهور المهديّ (ع)
٣٨٩	الروايات التي تصرّح بأنّ المهدي من اهل البيت (ع)
٤٨	الروايات التي تصرّح بأن اسمه وكنيته هما كاسم النبي (ص) وكنيته
٢١٤	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء امير المؤمنين عليّ عليه السلام
١٩٢	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الزهراء عليها السلام
١٨٥	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الحسين عليه السلام
١٤٨	الروايات التي تصرّح بأنه التاسع من ابناء الحسين عليه السلام
١٨٥	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام زين العابدين عليه السلام
١٠٣	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الباقر عليه السلام
١٠٣	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الصادق عليه السلام
١٠١	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الكاظم عليه السلام
٩٥	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الرضا عليه السلام
٩٠	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الجواد عليه السلام
٩٠	الروايات التي تصرّح بأنه من ابناء الإمام الهادي عليه السلام

- ١٤٦ الروايات التي تصرح بانه ابن الامام الحسن العسكري عليه السلام
- ١٤٧ الروايات التي تصرح بان اسم ابيه هو الحسن
- ١٢٣ الروايات التي تقول بانه سيملاً العالم عدلاً
- ٩١ الروايات التي تقول بأنه غيبته طويلاً الامد
- ٣١٨ الروايات التي تبين طول عمره (ع)
- ٤٧ الروايات التي تقول بأن دين الاسلام سيكون عالمياً على يديه
- ١٣٦ الروايات التي تقول انه الامام الثاني عشر وانه الامام الأخير
- مع ملاحظة الأرقام التي ذكرناها وغير ذلك الاحاديث يتوضح تماماً ان الروايات الواردة في هذا المجال قد تجاوزت حد التواتر بلاشك وانه يقل ورود مثل هذا العدد من الروايات في موضوع اسلامي آخر وعلى هذا فيجب على كل مؤمن بالإسلام والنبي الأكرم أن يؤمن إيماناً راسخاً بوجود المهدي الموعود الذي يعيش الآن غائباً عن عيون الناس.

بعض النصوص الواردة:

- ١- يذكر مؤلف كتاب «ينابيع المودة» في هذا الكتاب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المهدي من ولدي تكون له غيبة اذا ظهر يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^{١٠}.
- ٢- وجاء في ذلك الكتاب ان سلمان الفارسي قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا الحسين

بن علي علي فخذه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول انت سيد ابن سيد اخو سيد أنت إمام ابن إمام اخو إمام انت حجة ابن حجة أخو حجة وأنت ابو حجج تسعة تاسعهم قائمهم^{١١}.

٣- يقول ابن ابى دلف «سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام يقول: الإمام بعدى الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الارض قسط و عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^{١٢}.

٤- ويروي حذيفة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي^{١٣}.

٥- ينقل مسعدة عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: ان فائنا يخرج من صلب الحسن (يعني العسكري) والحسن يخرج من صلب علي يعني الهادي وعلي يخرج من صلب محمد (يعني الجواد) ومحمد يخرج من صلب علي (يعني الرضا) وعلي يخرج من صلب ابني هذا (يعني الكاظم) - و اشار الى موسى - وهذا خرج من صليبي، ونحن اثنا عشر اماماً، كلنا معصومون مطهرون والله لولم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا اهل البيت^{١٤}.

رأي علماء الاجتماع:

يرى علماء الاجتماع الكبار في العالم ان الحروب وسفك الدماء وقتل الأنفس و كل هذه المفاسد المتزايدة اليوم انما هي ناتجة من عدم توفر

١٣- ذخائر العقبى ص ١٣٦.

١١- المهدي ص ٦٠.

١٤- اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٦٢.

١٢- منتخب الاثر ص ٢٢٥.

التوازن بين متطلبات الجسم والروح الإنسانيين
فإنسان اليوم قد سحق الفضائل الأخلاقية والمناجيع المعنوية، و
ان كان قد سخر البحر والفضاء والصحراء لصالحه وصعد الى القمر.
ومن البديهي انه لا يمكن اقرار العدالة والنظام الصحيح بالقوة
والقدرة ولا يمكن ان تضمن سعادة البشرية بحصول التكنيك المتقدم و
باقي العلوم المادية وليس للإنسانية محيص من ان تقيم علاقاتها على اساس
من الايمان والاخلاق وتنجي نفسها من دوامة الخطر بقيادة مصلح عالمي
عظيم، وتصل الى اقرار الحكم القائم على اساس العدالة والامن والصفاء
والأخوة.

و على هذا نستنتج ان البشرية تسرع اليوم وتستعد لتقبل قيادة
الامام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

طول عمر الإمام (ع)

نحن نرى ان طول عمر الإنسان ليس من الأمور المستحيلة وذلك
لأننا نقرأ في القرآن الكريم ان نوحاً عليه السلام قد عمر طويلاً اذ دامت مدة
تبليغه فقط ٩٥٠ سنة^{١٥}.

وعلى اساس من التحقيقات العلمية التي قام بها علماء الطبيعة
فقد ثبت امكان كون عمر الإنسان طويلاً وحتى ان اكابر العلماء صمموا
على تهيئة انواع من الأغذية والأدوية التي تساعد في اطالة العمر.
وينقل المرحوم آية الله الصدر في كتابه (المهدى) مقالاً ورد في مجلة
(المقتطف) العدد الثالث من سنة ١٩٥٩ وذلك كشاهد على المدعى

السابق ونحن نذكر مقتبسات مما جاء فيه :

«لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون ان كلّ الانسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء الى مالا نهاية وانه في الامكان ان يبقى الانسان حياً الوفاً من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان...»

قال الاستاذ ديمندوبرل من أستاذة جامعة جونز هبكنس: ان كل الاجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الانسان قد ثبت ان خلودها بالقوة صار امرأً مثبتاً بالامتحان او مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشه حتى الآن... والظاهر ان اول من امتحن ذلك في اجزاء من جسم الحيوان هو الدكتور جاك لوب... ثم اثبت الدكتور «ودن لويس» وزوجته انه يمكن وضع اجزاء خلوية من جسم جنين طائر في سايل ملحى فتبقى حية و توالى التجارب... حتى قام الدكتور الكسيس كارل واثبت منها ان هذه الاجزاء لاتشيخ الحيوان الذى اخذت منه بل تعيش اكثر مما يعيش هو عادة وقد شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير سنة ١٩١٢ ولقى عقبات كثيرة وثبت له:

- ١- ان هذه الاجزاء الخلوية تبقى حية مالم يعرض لها عارض يميته اما من قلة الغذاء او من دخول بعض الميكروبات.
- ٢- انها لاتكتفي بالبقاء حية بل تنمو خلاياها وتتكاثر كما لو كانت باقية في جسم الحيوان.
- ٣- انه يمكن قياس نموها وتكاثرها ومعرفة ارتباطها بالغذاء الذي يقدم لها.
- ٤- لاتأثير للزمن اي انها لاتشيخ وتضعف بمرور الزمن بل

لا يبدو عليها اقل اثر للشيخوخة تنمو وتتكاثر هذه السنة كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

ولكن لماذا يموت الانسان؟ ولماذا نرى سنينه محدودة لا تتجاوز المئة الا نادراً جداً؟ والجواب ان اعضاء الانسان كثيرة مختلفة وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً حتى ان حياة بعضها تتوقف على حياة البعض الآخر فاذا ضعف بعضها ومات لسبب من الاسباب مات بموته سائر الاعضاء ناهيك بفتك الامراض الميكروبية المختلفة وهذا مما يجعل متوسط العمر اقل جداً من السبعين والثمانين... وغاية ما ثبت الان من التجارب المذكورة ان الانسان لا يموت لانه عمر كذا من السنين سبعين او ثمانين أو مائة أو أكثر بل لأن العوارض تنتاب بعض الأعضاء فتتلفها ولا ترتباط اعضائه بعضها ببعض تموت كلها فاذا استطاع العلم ان يزيل هذه العوارض او يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين»^{١٦}.

وعلى اساس هذا فانه بعد ان علمنا بعدم المانع من طول العمر فلا اشكال اذن في ان يمن الله القادر تعالى بحفظه على انسان ويبقيه آلاف السنين وذلك لأن تنظيم وتحقيق الشروط التي تؤدي الى طول العمر، كل ذلك بيده تعالى، وهو تعالى، يستطيع ان يوجد نظاماً حاكماً ومقديماً على النظام العادي وذلك كما فعل في مجال اجراء كل المعاجز، فإن كل معاجز الأنبياء كصيرورة النار برداً على ابراهيم، وتحول عصا موسى الى ثعبان، وإحياء الموتى لعيسى وغيرها كانت قد تمت على اساس خرق

العادة المألوفة حيث ان الله تعالى اوجد نظاماً آخر بقدرته ما انتج حصول المعجزة، وان جميع المسلمين بل اليهود والنصارى ليصدقون بتلك المعاجز، فلا يبقى والحالة هذه اى اشكال فى طول عمر الامام المهدي عليه السلام و ذلك لأن الحكم بعدم امكانه لا يمكن قبوله بعد تصريح القرآن بطول عمر نوح عليه السلام ورؤية نتائج المكتشفات العلميّة الحديثه، و اذا قيل لنا ان هذا الامر ممكن لكنه يجرى على خلاف النظام المألوف و جب ان نقول فى الجواب لا مانع من ان يكون طول عمر الامام خلافاً للمألوف المعتاد بعد ان كانت كل معاجز الأنبياء تجري هذا المجرى بقدره الله تعالى، فمن يؤمن بقدره الله تعالى و وقوع المعاجز لا يحصل فى ذهنه أي اشكال فى مسألة طول عمر الامام.

غيبه الامام المهدي:

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الامام الثانى عشر للامة بين الحين و الآخر وقد ذكر الأئمة الاطهار بهذه المسألة دائماً. وقد كان لكل ذلك التذكير المتواصل بغيبته الامام أثر فى جعل كل انسان معتقداً بالامام المهدي معتقداً بطول عمر (ع) و هذه نماذج من الروايات الكثيره الواردة فى هذا المجال.

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذى بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعد معهود اليه مني حتى يقول اكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة ويشك اخرون في ولادته فمن ادرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي و يخرج من ديني فقد اخرج ابويكم من الجنة من قبل و ان الله عز وجل

جعل الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون»^{١٧}.

٢- وقال امير المؤمنين عليه السلام «للقائم مناغيبه امدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان الغنم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، الا فن ثبت منهم على دينه، ولم يقس قلبه بطول غيبة امامه فهومعي في درجتي يوم القيامة ثم قال: ان القائم منا اذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»^{١٨}.

٣- وروى محمد بن مسلم قال: سمعت ابا عبدالله الإمام الصادق عليه السلام يقول: ان بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها^{١٩}.

٤- ويقول العلامة الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان متحدثاً عن اخبار الغيبة «وخلدها المحدثون من الشيعة في اصولهم المؤلفة في ايام السيدين الباقر والصادق عليها السلام... ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين من الشيعة الحسن بن محبوب الزرّاد وقد صنف كتاب المشيخة... ذكرفية بعض ما اوردناه من اخبار الغيبة ومنها ما عن ابي بصير عن ابي عبدالله قال: قلت له كان ابوجعفر(ع) يقول:

لقائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم غيبتان واحدة طويلة والآخرى قصيرة قال فقال لي:

نعم يا ابا بصير احدا هما أطول من الأخرى»^{٢٠}.

ويتوضح في هذا أن الرسول (ص) والأئمة (ع) أخبروا بوجود الامام المهدي (ع) وأخبروا بان الاعتقاد بوجوده يصحبه الاعتقاد بغيبته

١٩- اثبات الهداة ج ٦ ص ٣٥٠.

٢٠- اعلام الورى ص ٤١٦.

١٧- اثبات الهداة ج ٦ ص ٣٨٦.

١٨- اثبات الهداة ج ٦ ص ٣٩٥ - ٣٩٤.

ينقل الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن السيد الحميري قوله: كنت اقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي - ابن الحنفية - قد ضللت في ذلك زمانا فنّ الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد وأنقذني به من النار وهداني الى سواء الصراط فسألته بعد ما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه انه حجة الله عليّ و على جميع اهل زمانه و انه الامام الذي فرض الله طاعته و اوجب الاقتداء به فقلت له: يا بن رسول الله قدروى لنا اخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة و صحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام ان الغيبة ستقع بالسادس من ولدي و هو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام و آخرهم القائم بلحق بقية الله في الارض و صاحب الزمان... ٢١

لماذا كانت الغيبة؟

قلنا في الدروس السابقة ان وجود الإمام (ع) و وصي النبي (ص) امر ضروريّ لجهات عديدة منها رفع الاختلافات، و تفسير و توضيح القوانين الإلهية و الهداية المعنوية و الباطنية و غير ذلك و ان الله تعالى برحمته جعل الامام امير المؤمنين عليه السلام و بعده احد عشر اماماً من ابنائه واحداً بعد الآخر أوصياء للنبي (ص) و أئمة للأمة و من الواضح ان مهمة الإمام صاحب الزمان تشبه من حيث تمام جوانب الإمامة و وظائف الأئمة الاخرين (ع)، و انه لو لم تكن هناك موانع فإن عليه ان يظهر للناس لكي يستفيدوا منه، و اذا كان الامر كذلك فلماذا كان غائباً منذ بدء حياته؟

وعند الإجابة على هذا السؤال نقول:

ان الاعتقاد بحكمة الله تعالى يجعل من غير اللازم أساساً ان نعرف فلسفة الغيبة بعد أن ثبتت ثبوتاً قاطعاً لاشك فيه، فلا يضرنا مطلقاً اذن ان لانعرف علة الغيبة وذلك شبيه بتلك الموارد الكثيرة التي لانعرف وجه الحكمة فيها، وانما يكفيننا فقط ان يثبت لدينا بالروايات الصحيحة والبراهين القويّة ان الله العظيم ارسل حجته الى الأمة ولكن كانت هناك بعض المصالح التي استدعت ان يبقى وراء ستار الغيبة ويبدو من بعض الروايات ان السبب الاصيلي للغيبة سيعرف بعد ظهوره (ع) يقول: ان لصاحب هذ الامرغيبه لا بد منها يرتاب فيها كل مبطل فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمرلم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت فا وجه الحكمة في غيبته، قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غياب من تقدم من حجج الله تعالى ذكره، ان وجه الحكمة في ذلك لاينكشف الا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما اتاة الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام الا بعد افتراقهما، يابن الفضل ان هذا الأمر من امر الله و سر من سر الله و غيب من غيب الله و متى علمنا ان الله عزوجل حكيم صدقنا بأن افعاله كلها حكمة و ان كان وجهها غير منكشف^{٢٢}.

على انه يمكننا ان نعد للغيبة بعض الفوائد التي قد تكون بعض الاخبار قد اشارت اليها ومنها.

١- امتحان الأمة:

فإن إحدى فوائد غيبة صاحب الزمان هي امتحان الناس

ليظهر واعلى واقعهم فتنكشف الفئة التي استبطنت السوء وعدم الإيمان، و تبدو ظاهرة متميزة عن الفئة التي تمكن الايمان من اعماق قلوبها وراح يزداد و يتعمق بانتظارها للفرح و صبرها في الشدائد و اعتقادها بالغيب، و بازدياد الإيمان يرتفع قدرها و تحصل على درجات عالية من الثواب.

يقول الإمام موسى بن جعفر عليها السلام: اذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمة فالله في أديانكم لايزيلنكم عنها أحد يا بني انه لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به انما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه^{٢٣}.

٢- حفظه (ع) من القتل:

ان ملاحظة تاريخ الأئمة (ع) والجور الذي توجه اليهم من قبل خلفاء بني أمية و بنى العباس، ترشدنا الى ان الإمام الثاني عشر لو كان ظاهراً فانه سيقتل لاحالة كما قتل آباؤه من قبل، و ذلك لأن الاعداء والسلطة الجائرة كان قد انتهى الى سمعها انه سيظهر شخص من اهل بيت النبي (ص) و من ولد علي و فاطمة سلام الله عليها، يحطم عروش الظالمين المستبدين و انه ابن الإمام العسكري (ع)، لذا فإن العباسيين لم يدخروا وسعاً في تقصّي اخبار هذا الامام ولكن الله تعالى سلمه من كيدهم و خيب آمالهم.

ينقل زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

ان للقائم غيبة قبل ظهوره قلت: لم يقال يخاف القتل^{٢٤}.

٢٣- بحار الانوار ج ٥٢ ص ١١٣.

٢٤- منتخب الاثر ص ٢٦٩.

٣- لثلاث تكون في عنقه (ع) بيعة لأحد:

فهناك بعض الروايات تؤكد هذا المعنى وان غيبته (ع) حفظته من بيعة الظالمين والحكام الغاصبين، وأنه سيظهر حين يظهر وليس لأحد بيعة في عنقه، فيظهر الحق عيناً وبلا أي مواربة ويقر في الارض حكم القسط والعدل.

يقول الامام الصادق عليه السلام: يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة^{٢٥}.

فوائد وجود الإمام الغائب (ع)

قلنا - سابقاً - بان الله تعالى عين الامام المهدي (ع) لكي يهدي الناس الى الحق ولكن الناس انفسهم هم الذين منعه (ع) من تنفيذ هذه المهمة، ومتى ما كان الناس انفسهم مستعدين للسير نحو الحكومة الإلهية العالمية الموحدة القائمة على اساس من العدالة الواقعية ورعاية الحقائق والواقع، وتطبيق كل احكام الاسلام بلا أي خوف أو تقية فإنه (ع) سيظهر.

اذن ليس هناك من جانب الله الرحيم تعالى اي تقصير في مجال العناية والرحمة، بل ان تقصير الناس انفسهم هو الذي اوجب غيبة الامام و تأخير ظهور هذه الحكومة العالمية، ولكننا يجب ان نعلم أن فوائد وجود الإمام لا تنحصر بالإرشادات والهداية الظاهرية ان كان بين الناس - بل ان هناك فوائد اخرى من حيث (التكوين والتشريع) تترتب على وجوده وان كان غائباً عن الناس.

وإن أهمّ فوائده وجوده (ع) هو كونه (واسطة في الفيض) وذلك لأنّه طبقاً للأدلة التي اقامها العلماء ووفقاً للحديث الكثيرة الواردة في مجال الإمامة، توضح ان الرابطه بين العالم والخالق تنقطع بعدم وجود الامام، وذلك لان تمام انواع الفيض الإلهيّ أنّها تنزل على الناس بواسطة الامام وقدورد مضمون الحديث التالي في احاديث كثيرة وهو «لوبيت الارض بغير امام لساخت»^{٢٦} نعم ان الامام هو قلب عالم الوجود وقائد البشرية ومرتبها ومن هذه الزاوية فإنّ وجوده ظاهراً او غائباً لايفترقان بالنسبة الى مركزه.

هذا وان الهداية المعنوية للامام (ع) بالنسبة للافراد اللائقين لذلك هي هداية متصله وان لم يستطع هؤلاء ان يروه (ع) خصوصاً وأنه ورد أنه يتردد على مجالس الناس ومحافلهم وان لم يكونوا يعرفونه. وعلى هذا فإن صيانة الإمام للدين وهداية الأناس اللائقين هما أمران حاصلان بتمام المعنى في زمان الغيبة.

ان الامام في الحقيقة كالشمس التي يغطيها السحاب تستمد الخلاق منها النور والحرارة وإن كان الجهال والعمي ينكرونها. وهذا هو الامام الصادق عليه السلام يجيب على سؤال عن كيفية استفاده الناس من الامام الغائب بأنهم ينتفعون «كما ينتفعون بالشمس اذا سترها سحاب»^{٢٧}.

وهنا لا بأس من ملاحظة ما يقول احد المستشرقين^{٢٨} بهذا الصدد

٢٦- اصول الكافي ج ١ ص ١٧٨ طبع الآخندي.

٢٧- منتخب الاثر ص ٢٧١.

٢٨- الدكتور كربين استاذ الفلسفة في جامعة السوربون.

«اعتقدان مذهب التشيع هو المذهب الوحيد الذي احتفظ دائماً بوجود رابطة الهداية الالهية بين الله والخلق وجعل رابطة الولاية حية قائمة بشكل مستمر».

ان المذهب اليهودي ختم النبوة وهى رابطة واقعية بين الله والانسان بموسى ولم يذعن بعد ذلك بنبوة السيد المسيح والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقطع تلك الرابطة وهكذا المسيحيون الذين ختموا النبوة بالمسيح وهكذا أهل السنة عندما قطعوا الرابطة بالرسول الأكرم (ص) ومع ختم النبوة به (ص) فهم لا يقيمون الترابط بين الخالق والمخلوق.

ولكن مذهب التشيع لوحده هو الذي يعتقد بختم النبوة بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الولاية وهى رابطة الهداية والتكميل ستبقى حية والى يوم القيامة... نعم ان قيام هذه الحقيقة بين العالم الانساني والاهي الى الابد انما هو في مذهب التشيع وحسب»^{٢٩}.

تذكير لازم:

ان الاعتقاد بالامام المهدي عجل الله تعالى فرجه يعني ان ارتباط الناس بعالم الغيب لم ينقطع وان من يعتقدون بذلك يجب ان يتذكروا الامام دائماً وينتظروا ظهور ذلك المصلح الغيبي العظيم.
وطبيعي ان انتظار الامام المهدي (ع) لا يعني ان يتخلى المسلمون والشيعية عن مسؤولياتهم ولا يقوموا بأي خطوة في سبيل تحقيق الأهداف الاسلاميَّة ويكتفوا بمجرد استظهاره (ع) بل الامر على العكس من ذلك

تماماً كما صرحوا به العلماء الكبار وباحثوا الشيعة منذ مئات السنين بان المسلمين والشيعة يجب عليهم — مهما كانت الظروف — ان يعملوا على نشر المعارف الإسلامية و اقرار الاحكام الشرعية و ان يصمدوا في وجه الظلم والذنب والانحراف و يعارضوه بما يمكنهم. و بعبارة اخرى فإن عليهم ان يعملوا على تهيئة الارضية لمساعدة لقيام حكومة العدل فيرتبوا الأفراد والمجتمع حتى يكون بنفسه مجتمعاً يسعى نحو الحق و اذا كان الظلم هو الحاكم في المجتمع فإن عليهم ان يعترضوا عليه و يعرضوا عنه. ان على كل مسلم ان يضحي في سبيل الإيمان والإسلام و أن يكون مستعداً في كل آن لاستقبال دعوة الإمام المهدي (ع) و ذلك بأن ينظم حياته بشكل لا يتناقض مع دعوته (ع) لكي يكون مؤهلاً للانخراط في سلك أتباعه و أنصاره و يقارع أعداءه بكل ثبات.

الدرس التاسع والعشرون

المعاد

وحياة الخلود للبشرية

ما خُلِقْتُمْ للفناء بل خُلِقْتُمْ للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار.

(النبي الأكرم (ص))

لقد صرحت كل الأديان السماوية بحقيقة هامة هي ان الانسان لا يفنى بعد الموت بل ينتقل فقط من هذا العالم الى عالم آخر وحيث يجازى هناك على اعماله الحسنة او السيئة.

وقد ذكر أنبياء الله كلهم أتباعهم بأن هذا النظام في العالم لم يوجد عبثاً وان كل ما يجري في هذه الدنيا من اعمال سيقة مورداً للحساب بعد الانتقال من هذا العالم ولذا فقد كانوا يُعدون انفسهم للمستقبل المقطوع به و كانهم يرددون دائماً:

«... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا - سُبْحَانَكَ - فَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ»^٢.

وهذه بعض الأدلة على لزوم المعاد.

١- حكمة الله وعدله:

مسألة المعاد التي صرحت بها كل الأديان وأندر الأنبياء الناس بها بكل إصرار، هذه المسألة ليست مسألة تعبدية فقط أي انه قام الايمان بها على اساس الآيات والروايات الدالة عليها وانما هي امر يحكم العقل بضرورته على اساس من تصور حكمة الله تعالى وعدالته ورحمته.

ان حكمة الله تقتضي ان لا يترك المحسنون بلا ثواب والمسيئون بلا عقاب و ان يقتصر للمظلومين من الظالمين وذلك لاننا نرى ان هذا العالم ليس عالماً للعقاب والثواب الكاملين و ان الكثير من المحسنين و المسيئين يموتون قبل ان يصلوا الى جزاء اعمالهم تماماً... فهناك الكثير من جناة التاريخ الملتذنين بالحرام مع كل جنائياتهم وتعدياتهم، لديهم من مظاهر الحياة المادية واللذائذ، الشيء الكثير، وهناك الكثير من المظلومين الذين قضوا نجهم في أوج مظلوميتهم.

وعليه فلو أن حساب الجميع ينقضي بمجرد الموت، ولولم يكن في البين معاد وبعث فإن ذلك يتنافى وعدالله تعالى و حكمته و رأفته.

فكيف يمكن ان نقول بان الخالق العادل الحكيم الرحيم اوجد عالماً يقهر فيه الضعيف فيظلم ظلاماً شنيعاً ثم يفني ذلك العالم.

كلنا نعلم ان مثل هذا العمل لا يمكن ان نسميه إلا ظلاماً... وأن عدالة الانسان و حكمته و محبته رغم انها صفات ضعيفة في حد نفسها لا تتلاءم مع مثل هذا التصور فكيف يمكن ان نتصور الأمر بالنسبة الى الخالق الحكيم الرحيم، الخالق الذي لا يحتاج مطلقاً الى ان يخلقنا ولم يكن

خلقنا الالطفا منه ورحمة لكي يتكامل وجودنا بهدي منه فنصل الى أعلى درجات الكمال الممكنة؟ هذا الخالق العظيم لا يمكن ان يكتفي بخلق هذا العالم فيقطع سلسلة التكامل البشري قبل ان يصل الانسان الى الغاية فيفنى وهو بعد لم يكمل المسير.

اننا لانشك في ان الله سيجازي على الأعمال وأنماط السلوك المختلفة في عالم آخر وانه لا يغادر شيئاً هناك .

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَّ حُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْبِئُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^٣.

هذا علاوة على انه لا يمكن ان يجازى بعض الاعمال في هذا العالم المحدود ذلك كجزاء من يلقي قنبلة ذرية فيقتل الآلاف والملايين، فإن قتل هذا الانسان لن يكون معادلاً لقتل كل اولئك الأبرياء وانما يوكل جزاؤه الكامل الى الاخرة عالم الخلود.

كذلك فإن هذه الحياة الدنيا الممزوجة بانواع الكدر والغصص اصغر من ان يجعلها الله جزاء حسناً للمحسنين ولأولئك الذين قضا حياتهم في سبيله ونذروا أنفسهم لدعوته وطاعته وعبوديته والاحسان الى خلقه، او اولئك الذين انقذوا حياة مالا يحصى عددهم من الموت المحتم فإن هؤلاء لا يمكن جزاؤهم الا في عالم الخلود:

العواقب الدنيوية

لقد رأينا وسمعنا في هذه الحياة عن افراد كثيرين كانوا — مثلاً — قد تعدوا على آبائهم وظلموهم فكان جزاؤهم انهم لم يفلحوا في حياتهم مطلقاً وآخرين قتلوا أحد أبوهم فقتلوا بعد ذلك، وآخرين احسنوا الى والديهم ورأوا العاقبة الحسنة في هذه الدنيا فوفقوا في حياتهم وتسلموا مراكزهامة وما أكثر ما رأينا من غضبوا اليتامى حقوقهم واجهوا عواقبه السيئة في حياتهم:

وهذا القرآن الكريم يحذر الناس من عواقب ظلم اليتامى فيقول: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً»^٤.
فهؤلاء الناس يجب ان يحذروا من ظلم اليتامى لئلا يتوجه الظلم الى يتاماهم.

«ويقول الإمام الباقر عليه السلام»: ان الله تعالى وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة^٥. ويمكن ان تكون بعض انواع البلاء والالام نتيجة للاعمال السيئة التي يقوم بها الانسان والحقيقة هي ان ذلك جزاء دنيوي لذلك العمل كي يحذرو ويتنبه من الغفلة ويصحح من مسيره.

والقرآن الكريم يصرح بهذا الموضوع في بعض الآيات ومنها: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ»

٤ — سورة النساء الآية ٩.

٥ — تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣٧٠.

كثير»^٦.

«فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ
أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^٧.
«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^٨.

والقرآن الكريم كذلك يحدثنا عن اقوام عديدة من مثل قوم نوح و قوم هود و قوم صالح و قوم لوط و قوم شعيب و غيرهم و ان هؤلاء لا قوا عواقب اعمالهم السيئة في هذه الحياة الدنيا و ذاقوا وبال أمرهم. ان كل هذا الجزاء الدنيوي شاهد حي على ان الله العادل الرحيم تعالى — لا يرضى بالظلم و الانحراف عن الحق و انه سيجازي الجزاء الاوفى في عالم آخر.

و بشكل عام فإن الجزاء الدنيوي شاهد بسيط واضح على الجزاء الكامل في العالم الآخر، و كل من لاحظ انواع العقاب هذه يدرك بأن الانسان لم يترك سدى، و انما الحقيقة هي أنه سيحاسب حساباً دقيقاً على ما اقترفته يداه.

على أننا يجب ان لاننسى أن بعض انواع ال ابتلاء و الامتحان لا يمكن ان يعد جزاءً أعلى عمل اقترفه الانسان المبتلى كما لو كان خيراً بل يمكن ان تكون اسلوباً من اساليب تكامل نفسه و علو درجاته... و كذلك فإذا وجدنا أناساً من المنحرفين لم يصلوا الى جزائهم اللازم فإن ذلك سوف لن يكون دليلاً على كونهم مسمولين لعناية الله و لطفه الخاص بهم أو أنهم قد

٦- سورة الشورى الآية ٣٠.

٧- سورة النور الآية ٦٣.

٨- سورة الرعد الآية ١١.

غفل عنهم بل ان اولئك قد أمهلوا الى الآخرة و هناك العقاب الأليم.

المعاد في التصور الإسلامي:

لقد اهتم الإسلام من بين كل الأديان السماوية الأخرى بالمعاد وأولاه عنايه خاصة بحيث انه يكاد ان لا يوجد موضوع أولاه الإسلام عناية اكثر منه، وآية ذلك ان هناك اكثر من الف آية تتحدث عن المعاد والحياة بعد الموت في حين ان آيات الاحكام اى الآيات التي تحوي القوانين الفردية الاجتماعية لا تتجاوز الخمسمائة آية و من هنا كان الاعتقاد بالمعاد احد الاصول الاساسية للدين الاسلامي المقدس. والآيات التي وردت في القرآن الكريم حول المعاد تتناول جوانب مختلفة منه وهذه نماذج منها:

١- آيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى^١.

٢- وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِطْلَاقٍ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ^١.

٣- وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ^١.

* * *

وقد كان المشركون ينكرون البعث او يستبعدونه ومن هنا فقد

١- سورة القيامة الآية ٣٦.

١٠- سورة ص الآية ٢٧ - ٢٨.

١١- سورة ابراهيم الآية ٤٢.

حمل أبي بن خلف يوماً عظماً بالياً وجاء به إلى النبي الأكرم (ص) وفته
بيده وقال: «مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟»

فنزلت الآية الكريمة «وَصَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ
يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ»^{١٢} ثم يقول القرآن الكريم أَوَّلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْلَهُمْ؟ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ^{١٣}.

* * *

و حول مصير المؤمنين والكفار، وماهية الأشياء التي تقود الكفار
إلى الجحيم والمؤمنين إلى الجنة يقول القرآن الكريم:

«فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ،
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ»^{١٤}.

«مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ
ذَكَرَ أَوْانْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ»^{١٥}.

* * *

ويحذر القرآن الكريم الناس من احوال الآخرة وشدة العذاب فيها

ليتقوا ويعملوا الصالحات:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا

١٤ - سورة النازعات الآية ٣٧ به بعد.

١٢ - سورة يس الآية ٧٨، ٧٩.

١٥ - سورة المؤمن (غافر) الآية ٤٠.

١٣ - سورة يس الآية - ٨١.

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»^{١٦}.
 «فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه، وامه وابيه،
 وصاحبه وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^{١٧}.
 «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
 سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً»^{١٨}.

وهكذا الى مئات الآيات التي تتحدث عن المعاد واهواله و
 حسابه مالوتأملها الانسان بعمق ورؤية اكثر فان سلوكه الحياتي سيتغير
 قطعاً الى الحد الذي لا يؤدي معه اى عمل الا اذا وعى نتائجه واتقى الله حق
 تقاته واعد في هذه الحياة الدنيا — وهى مزرعة الآخرة — أعد زاد الآخرة
 واستعد لها.

وقد كان المسلمون الاتقياء على هذا الاساس وخوفاً من احوال
 القيامة يحسابون انفسهم حساباً عسيراً ويتركون النوم اللذيذ في الليالي
 ليشتغلوا بالعبادة والتضرع والدعاء والخشوع في محراب عبادته تعالى... اما
 في النهار فتراهم لا يقومون باى عمل فيه هوى انفسهم بل هم يفكرون في
 كل آن بتربية انفسهم وخدمة مجتمعهم بل وتربيته وايصاله الى المقامات
 العالية.

يقول صعصعة بن صوحان: صلى بنا امير المؤمنين (ع) ذات يوم
 صلاة الصبح فلما سلم اقبل على القبلة بوجهه يذكر الله لا يلتفت يمينا
 ولا شمالاً حتى صارت الشمس على حائط مسجدكم هذا (يعنى جامع

١٦- سورة الحج الآية ٢ - ١.

١٧- سورة عبس الآية ٣٦ - ٣٣.

١٨- سورة آل عمران الآية ٣٠.

الكوفة) قيس رمح ثم اقبل علينا بوجهه عليه السلام فقال: لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم ليراوحون في هذا الليل بين جباههم وركبهم فاذا اصبحتوا اصبحتوا شعثا غبراً بين اعينهم شبه ركب المعزى فاذا ذكروا الموت مادوا كما يميد الشجر في الريح ثم انهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم، ثم نهض عليه السلام وهو يقول: كأنما القوم باتوا غافلين^{١٩}.

وان رسول الله صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه مصفراً لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله (ص) كيف اصبحت يا فلان؟ قال: اصبحت يا رسول الله موقنا فعجب رسول الله (ص) من قوله وقال: ان لكل يقين حقيقة فا حقيقة يقينك؟ فقال: ان يقيني يا رسول الله هو الذي احزنني واسهر ليلي واضماً هو اجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كاني انظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وانافهم و كاني انظر الى اهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الاراتك متكئون و كاني انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون و كاني الآن اسمع زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله (ص) لاصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالايان، ثم قال له الزم ما انت عليه فقال الشاب ادع لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك، فدعاه رسول الله فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر^{٢٠}.

١٩- الارشاد للمفيد ص ١١٤ ونهج البلاغة طبع فيض الاسلام خطبة ٩٦.

٢٠- كافي ج ٢ ص ٥٣ - ٥٤.

الدّرس الثّلاثون

العالم بعد الموت

«سرحل عن هذا البيت يوماً ما»

نعم ان الله هو الحيّ الذي لا يموت... اما نحن عبيده فسرحل قريباً عن هذا البيت.

ان الغروب في كل يوم، رمز شاعري لرحلتنا؛ فما أروع ان نشرق في العالم الآخر كما تشرق الشمس ضاحكة منيرة... وهذا هو المهم... والافلا مناص من الغروب... وإن الموت حقيقة ستكون شاملة للجميع شاؤوا أم أبوا.

والذي يستحق منا التفكير العميق هو أنه ماذا سيحدث بعد الموت؟ هل نفنى وهل سيكون الموت نهاية الرحلة الحياتية للإنسان؟ أو أننا سنبقى بعده ولو كان الأمر كذلك فكيف نبقى؟

ان الذين لا يؤمنون بالله يتصوّرون الموت فناءً ويحددون الحياة بهذه الأيام الدنيوية القصيرة المدى، ويقولون... انها الفرصة لكل أحد لاغير، أما المدارس الأصلية للوحي فإنها تقف بشدة ضدّ هذا الاتجاه. وتعتبر

الانسان مستمر الحياة، والموت مجرد سلّم للانتقال من عالم الدنيا الى عالم البرزخ ثم عالم القيامة ، وهناك حياة الخلود.

علم البرزخ:

فعلى أساس من الآيات البينات في القرآن العزيز، وكذلك الأخبار الشريفة الكثيرة الواردة عن قادة الدين، نعتقد بأن الموت لا يعني فناء الإنسان بل ان روح الإنسان ستبقى إما في عذاب أو نعيم الى ان يقوم الناس للقيامة.

وهذه المدة أي منذ الموت وحتى البعث تسمى بـ(البرزخ).

ان الحياة البرزخية حياة واقعية بلا ريب، وليست أمراً «خيالياً»

«افتراضياً» يقول تعالى:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^١.

ومن الواضح انه لا معنى لعبارة (أحياء عند ربهم يرزقون

فرحين...) ان لم تكن هناك حياة برزخية حقيقية.

وكذلك يحدثنا القرآن حول مؤمن آل ياسين الذي كان يوصي

قومه باتباع الرسل ولكنهم لم يتبعوه وقتلوه فيقول تعالى «قِيلَ ادْخُلِ

الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبي وَجَعَلَ لِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ»^٢.

ومعلوم ان المقصود بالجنة في هذه الآية هي الجنة البرزخية التي

١- سورة آل عمران الايتان ١٦٩، ١٧٠.

٢- سورة يس الايتان ٢٦، ٢٧.

يحيا فيها المؤمنون فيما بين الموت والبعث.

كما ان القرآن الكريم يقول في اولئك الكفار الذين يعكفون على معاصيهم ويستمرون الى ان ياتيهم الموت «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ، قَالَ: رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» ولكن هذا الطلب يرد ويأتي الخطاب الإلهي «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا، وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ»^٣.

وهذه قصص تاريخية واقعية في هذا المجال:

مأ أن انتهت معركة بدر وهرب العدو وبقي القتلى ... كان البعض من قتلى المشركين قد وضعوا في قليب وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد ألقوا في القليب.

لقد كنتم جيران سوء لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اخرجتموه من منزله، وطردهتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهم قد صدقت؟ فقال له: مه يا ابن الخطاب، نواله ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم وبين ان تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد، الا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم^٥.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه انه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة (حرب الجمل) فصار يتخلل بين الصفوف حتى مر على كعب

٣- سورة المؤمنون الايتان ٩٩، ١٠٠.

٤- اى لرؤوس قدمات.

٥- شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد ص ٤١ - بحار الانوار ج ٦ ص ٢٥٤.

بن سورة. و كان هذا قاضي البصرة وآله إياها عمر بن الخطاب فأقام بها قاضياً بين اهله زمن عمر و عثمان، فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفاً و خرج بأهله و ولده يقاتل امير المؤمنين (ع) فقتلوا بأجمعهم ٥ فوقف عليه أمير المؤمنين (ع) وهو صريع بين القتلى فقال: أجلسوا كعب بن سورة فأجلس بين نفسيين، فقال: يا كعب بن سورة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: اضجعوا كعباً، و سار قليلاً فرّ بطلحة بن عبدالله صريعاً فقال: أجلسوا طلحة، فأجلسوه فقال ياطلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال اضجعوا طلحة. فقال له رجل من اصحابه: يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: يا رجل فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع اهل القليب كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٦.

و عن حبة العرنى قال: خرجت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) الى الظهر^٧ فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقامت بقيامه حتى اعييت، ثم جلست حتى مللت ثم قتت حتى نالني مثل مانالني أولاً، ثم جلست حتى مللت ثم قتت وجمعت ردائي فقلت يا امير المؤمنين اني قد اشفتت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرواء ليجلس عليه، فقال: يا حبة ان هو الا محادثة مؤمن و مؤانسته قال: قلت: يا امير المؤمنين و انهم كذلك؟ قال: نعم ولو كشف لك لرأيتم حلقاً حلقاً

٦- شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد ص ٤٢ - بحار الانوار ج ٦ ص ٢٥٥.

٧- يعني ظهر الكوفة حيث يدفن اهل الكوفة موتاهم.

محتبين^٨ يتحدثون، فقلت أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح ومامن مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض الا قيل لروحه، ألحقى بوادي السلام، وانها لبقعة من جنة عدن»^٩.

سؤال القبر:

يعلم من كثير من الروايات ان هنا ارتباطاً من نوع ما بين البدن والجسد وإن كانت كيفة هذا الارتباط غير معلومة.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمسألة في القبر والشفاعة»^{١٠}.

فما إن يلحد الميت حتى تأتيه الملائكة الموكلون بالسؤال فتسأله عن دينه وعقائده واعماله فإن كان شخصاً مؤمناً خيراً التحق بالمؤمنين وإن كان كافراً ذا عمل طالح التحق بالكافرين والمسيئين ويقضي كل من الفريقين دورة البرزخ الى يوم القيامة.

يكتب الشيخ الصدوق عليه الرحمة في اعتقاداته قائلاً اعتقدنا في المسئلة في القبر أنها حق لا بد منها فن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره و بجنة النعيم في الآخرة ومن لم يجب بالصواب فله نزول من حيم في قبره و تصلية جحيم في الآخرة^{١١}.

٨- اي مشتملين، والاشتمال هو الجمع بين الساقين واطهر بعمامة ونحوها.

٩- بحار انوار ج ٦ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ - الكافي ج ٣ ص ٢٤٣.

١٠- امالي الشيخ الصدوق ص ١٧٧ الطبعة القديمة - البحار ج ٦ ص ٢٢٣ - و

يستفاد من بعض الروايات ان سؤال القبر يختص بالمؤمنين والكافرين المحضين دون غيرهم.

١١- اعتقادات الصدوق ١٦ الطبعة القديمة.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان علي بن الحسين، الإمام الرابع (صلوات الله عليه) يعظ الناس ويزهدهم... في كل جمعة في مسجد الرسول (ص)... و كان يقول: أيها الناس اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء تودلوان بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه.

ويحك ابن آدم الغافل! وليس بمغفول عنه! ابن آدم ان أجلك أسرع شيء إليك، قد اقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدرك، و كأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك، وصرت الى منزل وحيداً فرداً إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكا ك: منكر ونكير لمسألتك وشديد امتحانك.

ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه، ثم عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته، فخذ حذرک وانظر لنفسك واعد للجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار، فإن تك مؤمناً تقياً، عارفاً بدينك، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله لقاك الله حججتك، وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب، فبشرت بالجنة والرضوان من الله، والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وان لم تكن كذلك تلجلج لسانك، ودحضت حجتك وعميت عن الجواب، وبشرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزلي من حميم وتصلية جحيم»^{١٢}.

عذاب القبر:

يرتبط ما يواجهه الانسان في البرزخ بما عمله في الدنيا فن أسلم روحه على تقوى من الله فإن القبر سيكون له نموذجاً للجنة وسيبصرون اعمالهم مجسدة لهم بهيئة رائعة، يقول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) «اذامات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة (هكذا في النسخة) صورفيهن صورة احسنهن وجهاً، وأباهن هيئة، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عندرجله، وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعتة التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يوتئى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه، أنا الصيام، وتقول التي خلفه انا الحج والعمرة، وتقول التي عندرجليه، انا برّ من وصل من اخوانه، ثم يقلن: من انت؟ فانت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، واهانا هيئة، فتقول: انا الولاية لأل محمد صلوات الله عليهم اجمعين ١٣.

أما اولئك الذين عاشوا الكفر والانحراف وتلوثوا بأدران المعاصي فإنهم سيجدون القبر ضيقاً مظلماً وستعذبهم ملائكة العذاب. وقد حضر الرسول الأكرم (ص) تشييع جنازة أحد الأنصار وبعد الدفن جلس على قبره مطرقاً ثم قال: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر» ثلاثاً ١٤

هذا وليس ضرورياً ان نشاهد عذاب القبر بأمر اعيننا بل يكفينا في قبوله ان يكون الأنبياء والأئمة والطاهرون قد اخبروا بذلك؛ يقول المرحوم ملا محسن الفيض الكاشاني:

فإن هذه العين لاتصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية و كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل وما كانوا يشاهدونه و يؤمنون بأنه عليه السلام يشاهد فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحح أصل الإيمان بالملائكة والوحي اهتم عليك وإن آمننت به وجوزت ان يشاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لا تشاهده الأمة فكيف لاتجوز هذا في الميت و كما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرک بحاسة اخرى^{١٥}.

ذكر الموت:

يهرب الكثيرون من ذكر الموت، فهم غير مستعدين للتفكير فيه مطلقاً و كأنهم قد شربوا ماء الحياة فهم خالدون في هذه الدنيا ولذلك فهم في سكرتهم يعمهون.

مع انهم يجب ان يعلموا — وان لم يقبلوا ذلك — أن الله هو الموجود الوحيد الذي لم يميت ولن يموت.

وهؤلاء على إثر غفلتهم عن الموت يعيشون عمرهم بلا هدف،

ولا يفكرون في اصلاح انفسهم، ويقضون لحظات حياتهم كما تقضيها عقارب الساعة، دورة إثر دورة فهم قلقون حائرون وقد يتلون بالمعاصي والانحراف... ولا تفصل حياتهم عن حياة الأنعام فاصلة كبيرة.

ونمط سلوكهم يغاير كثيراً نمط حياة أولياء الله المنتجبين.

يقول الرسول الأكرم (ص). أكثروا ذكر الموت فإنه يمتص

الذنوب ويزهد في الدنيا، وعن الصادق (ع) قال: ذكر الموت يمتص الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعيد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطوي نار الحرص ويحقر الدنيا^{١٦}.

وفي الجانب الآخر نجد فئة أخرى دأبت — تبعاً لتعاليم قادة الدين عليهم السلام على ذكر الموت فهم يستفيدون من كل شيء ووضع درساً بعينهم على اجتياز أهوال البعث، فدنياهم هي طليعة الحياة الأخرى، وسعيهم لا يقوم على أساس المنافع والأهواء الشخصية بل يقوم على أساس رضا الله تعالى، وليست للدنيا عندهم قيمة كبرى بحيث تجعلهم يفكرون في الانحراف والخيانة بل إنهم يعمدون بروح وثابة كبيرة الى العمل والكسب والخدمة الاجتماعية وذلك لكي يستفيدوا كاملاً من هذه الحياة لصالح حياتهم الأخرى وهي الحيوان.

إن هؤلاء لا يخافون الموت والنموذج الأكمل لهؤلاء هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إذ أنه حين عممه ابن ملجم المرادي بالسيف وخضب بالدم شيبته الكريمة، صرخ «فزت ورب الكعبة»^{١٧} والحق

١٦ — المحجة البيضاء ج ٤ ص ٤٢٧.

١٧ — مناقب ابن شهر آشوب طبع النجف ج ٣ ص ٩٥ — بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٣٩.

ماقال: فالخروج من ضيق هذاالعالم والدخول في عالم الخلود بمثل ذلك العمل فوزمابعد فوز، وراحة مابعد راحة ولكنها لخصوص من سار بسير علي(ع) في مدة عمر القصير فقضى العمر بنزاهة وإخلاص ينمون فيه أرواحهم وأفكارهم ويشتغلون بالعبادة والطاعة وخدمة الإنسانية المتكاملة.

سئل أبوذر: مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكروهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب^{١٨}.

ويسأل النبي(ص) أصحابه قائلاً:

إنّ تذكير النفس بين الحين والآخر بموت الأقرباء والأصدقاء وزيارة المقابر وقبور المؤمنين أحياناً، كل ذلك له تأثيره في التذكر بالموت وتعديل السلوك وأخذ العبرة.

الجنة

محل الخلود بالنعم التي لا يبلغها الوصف الذي أعده الله للمطيعين وفي ذلك المحلّ توجد كل أنواع النعم ووسائل الراحة وكل ما يشتهي الساكنون هناك... ولا أثر في الجنة للحسد، والحقد والعداوة بل ترى أهل الجنة «إخواناً، على سرر متقابلين لا يمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين»^{١٩}. يَطْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَاكَ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا

١٨ اعتقادات الصدوق ص ١٦ - المحجة البيضاء ج ٨ ص ٢٥٨ -

بحار الانوار ص ١٣٧.

١٩ - سورة الحجر الايتان ٤٧، ٤٨.

يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً»^{٢٠}.

إنهم يتحدثون فيما بينهم «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ. يَقُولُ: أَنْتَ لِمَنِ الْمَصْدَقِينَ. إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْ لَدَّبُونُ، قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» ثم يلتفت أهل الجنة إلى بعضهم ويقولون «أَفَمَا نَحْنُ بِمَعْتَبَرِينَ! إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ؟ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. لِيُمِثِلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»^{٢١}.

جهنم

وهي مصير الكافرين والمذنبين ومحل عذابهم، العذاب الذي لا يقاس إليه أي عذاب في الدنيا فالقرآن الكريم يصور لنا طرفاً منه في قوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَاراً كُلِّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً»^{٢٢}.

وكذلك «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ

٢٠- سورة الواقعة الايتان ١١ - ٢٤.

٢١- الصافات الايات ٥٠ - ٦١.

٢٢- سورة النساء الاية ٥٦.

حَدِيدٍ .كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ» ٢٣ .

«وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ . قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟
قَالُوا بَلَى ، قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» ٢٤ .

«إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلظَّالِمِينَ مآبًا . لَا يَبْتَئِنَ فِيهَا
أَحْقَابًا» ٢٥ .

«وَنُلِّقُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةً . اللَّبِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ
أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَمَا لَيُبَدِّلُ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا آذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ .
نَارُ اللَّهِ ، الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ . فِي عَمَدٍ
مُمَدَّدَةٍ» ٢٦ .

ويقول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام):

«واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحوا
نفوسكم فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا . أفرايتم جزع احدكم من
الشوكة تصيبه، والعثره تدميه، والرمضاء تحرقه؟ فكيف اذا كان بين
طابقين من نار، ضجيع حجر، وقرين شيطان... فالله الله معشر العباد
انتم سالمون في الصحة قبل السقم، وفي الفسحة قبل الضيق، فاسعوا في
فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها، اسهروا عيونكم، واخروا بطونكم
واستعملوا أقدامكم . وانفقوا اموالكم، وخذوا من اجسادكم فجدودوا بها

٢٥— سورة النبأ الايات ٢١ — ٢٣ .

٢٣— سورة الحج الايات ١٩ — ٢٢ .

٢٦— سورة الهمزة .

٢٤— سورة المؤمن الايات ٤٩ — ٥٠ .

على أنفسكم»^{٢٧}.

الشفاعة

وتشكّل الشفاعة إحدى المسائل الثابتة بالقرآن الكريم والأخبار الكثيرة وتعني الوساطة لتحصيل العفو والغفران للذنوب. هذه الوساطة التي تكون بإذن الله تعالى وفي مجال بعض الذنوب و في حق بعض المذنبين. هذه الوساطة تعبير عن رحمة الله الواسعة، ولطفه العميق فهي منبع أمل للمؤمنين.

فإن كان المؤمن قد حصل على مرتبة من اللياقة التي توّهله لأن يقع مورداً للعفو، ولا يتأخر عن اللجوء بالدرجات العالية، فإن الله تعالى بواسطة الشفاعة سيعفونه وإن لم يكن قد تاب في حياته الدنيوية.

و في يوم القيامة تتجلى شفاعة النبي الأعظم والأنبياء الطاهرون والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم بإذن الله وبالنسبة لبعض الذنوب. ومن الواضح ان البعض من المذنبين لما كانوا قد أذنبوا ذنوباً ثقيلة الوزن فإنهم سوف لن يكونوا لائقين بالشفاعة ما لم يمرّوا بمرحلة من العذاب في حين ان بعض الذنوب تزيل كلّ اهلية للشفاعة عند الإنسان فقد ورد في بعض الأخبار عن أبي الحسن الأول موسى بن جعفر عليها السلام أنّه قال: لما حضر أبي الوفاة قال: لي يا بني إنّّه لا ينال شفاعتنا من استخفّ بالصلوة^{٢٨}.

٢٧- نهج البلاغة - فهارس صبحي الصالح - ص ٢٦٧.

٢٨- الكافي ج ٣ ص ٢٧٠.

الفهرست:

العنوان	الصّفحة
مقدّمة	٣
الدرس الأوّل	
ضرورة معرفة الدّين	٥
مسئوليّة الشكر	٧
التحسّب للخطر	٧
والضرر المحتمل	٧
الدرس الثّاني	
مع الأشياء غير المحسوسة	١١
التّخطيط الدّهنيّ	١٤
الدرس الثّالث	
نماذج من النّظام الكونيّ	١٩
الدرس الرّابع	
من هو مبدع النّظام؟	٢٣

٢٣	العقل الألكتروني
٢٤	المطبخ الأتوماتيكيّ
	الدّرس الخامس
٢٧	أسرار الطبيعة تنكشف
٢٧	غدّة تيموس
٢٨	أبي فيز
٢٨	اللّوذتان
٢٩	الزّائدة الدّودية
	الدّرس السّادس
٣٣	قانون لافوازيه وخلق العالم
	الدّرس السّابع
٣٩	الاحتياج لله في كلّ آن
٣٩	ما الفرق بين المخترع والخالق؟
	الدّرس الثّامن
٤٣	الله الغنيّ
٤٣	أحد القوانين التجريبيّة الثّابتة
٤٥	هل لله مركز أيضاً؟
٤٥	هل يمكن رؤية الله؟
٤٦	لا يحتاج الله إلى شيء
	الدّرس التّاسع
٤٩	العلم الذي لا بداية له ولا نهاية
٤٩	علم أوسع ... إنتاج أروع

٤٩	لامجال للقياس
٥٢	مأروع كلام الله
٥٣	الفرق بين الخالق والمخترع
	الدرس العاشر
٥٥	التوحيد في القدرة
٥٥	عالم وسيع ذو أسرار
٥٨	نظام يتفوق على النظام الطبيعي
	الدرس الحادى عشر
٦٣	لانعبد إلا الله
٦٤	علل انحراف البشر عن التوحيد
٦٦	جهاد الأديان ضد الشرك
٦٧	نتائج التوحيد
	الدرس الثانى عشر
	أيهما الواقع
٧١	إلها الخير والشر أم الله الواحد؟
٧١	الخير والشر
٧٢	عوامل الفرار من الخطر
٧٤	المشاكل وتربية الإنسان
٧٧	إله الخير وإله الشر
	الدرس الثالث عشر
٨١	الله العادل
٨٣	ماهى العدالة

الدّرس الرّابع عشر

٨٧ سرّ التفاضل والاختلاف في حياة الإنسان

٨٧ سرّ الاختلاف في عالم الخلقة

الدّرس الخامس عشر

٩٣ دور الأنبياء في قيادة البشريّة وهدايتها

٩٣ لأيّ شيء خلق الإنسان؟

٩٥ الوجدان والفطرة

٩٦ الايديولوجيات الإنسانيّة

٩٩ ضرورة بعث الأنبياء

١٠٢ ضرورة المعاجز

١٠٤ ماهي المعجزة

١٠٤ المعجزة إنّما تكون لإثبات الرّسالة

الدّرس السّادس عشر

١٠٥ الأنبياء معصومون لماذا وكيف؟

١٠٦ مبدء التّربية

١٠٨ التقبّل والإطمئنان

الدّرس السّابع عشر

١١٥ موسى كليّم الله

الدّرس الثامن عشر

١٢٩ المسيح رسول الله وعبدّه

١٢٩ والدة عيسى: مريم

١٣٠ زكريّا ويحيى

- ١٣١ عيسى المسيح
 ١٣٤ إلقاء نظرة على حالة الناس قبل المسيح
 ١٣٥ رسالة المسيح عليه السلام
 ١٣٥ خاتمة أمر المسيح عليه السلام
 ١٣٧ عيسى المسيح عبد الله
 ١٣٩ الأقوال الرائعة لعيسى عليه السلام
- الدرس التاسع عشر

الرسول محمد (ص)

- ١٤٣ التور المشرق في دياجي الظلام
 ١٤٣ العالم قبل الإسلام
 ١٤٣ الأديان والمذاهب السائدة
 ١٤٤ في إيران
 ١٤٦ عند الرومان
 ١٤٧ التفاوت الطبقي والتميز العنصري
 ١٤٨ المرأة في مجتمعات ما قبل الإسلام
 ١٥١ ولادة النبي محمد (ص)
 ١٥٥ هجرة النبي (ص)
 ١٥٦ قصة جويبر

الدرس العشرون

محمد (ص)

- ١٥٩ النبي المعروف من قبل بعثته
 ١٥٩ فترة الانتظار والأمل

١٦٢ بعض الشواهد التاريخية الأخرى

١٦٥ إيمان أهل المدينة با لاسلام

١٦٦ قصة اسلام سلمان

الدّرس الحادي والعشرون

١٧١ القرآن معجزة الإسلام العالمية الخالدة

١٧٣ الفصاحة والبلاغة

١٧٤ آراء الأعداء

١٧٦ التناسق الموضوعى فى القرآن

١٧٧ الإعجاز العلمى فى القرآن

١٧٨ وهذه نماذج من تلك الحقائق

١٨١ القرآن يتحدّى

١٨٢ إعجاب العلماء الأجانب

الدّرس الثّاني والعشرون

١٨٥ رسالة الإسلام

١٨٥ الترابط الوثيق بين السعادة والايمن

١٨٨ الأخوة الإسلاميه

١٨٩ الرقابة الاجتماعيه

١٩٠ الدّفع نحو العلم و تعظيم العلماء

١٩٢ السّعي والعمل

١٩٤ الزّواج وتشكيل العائلة

الدّرس الثّالث والعشرون

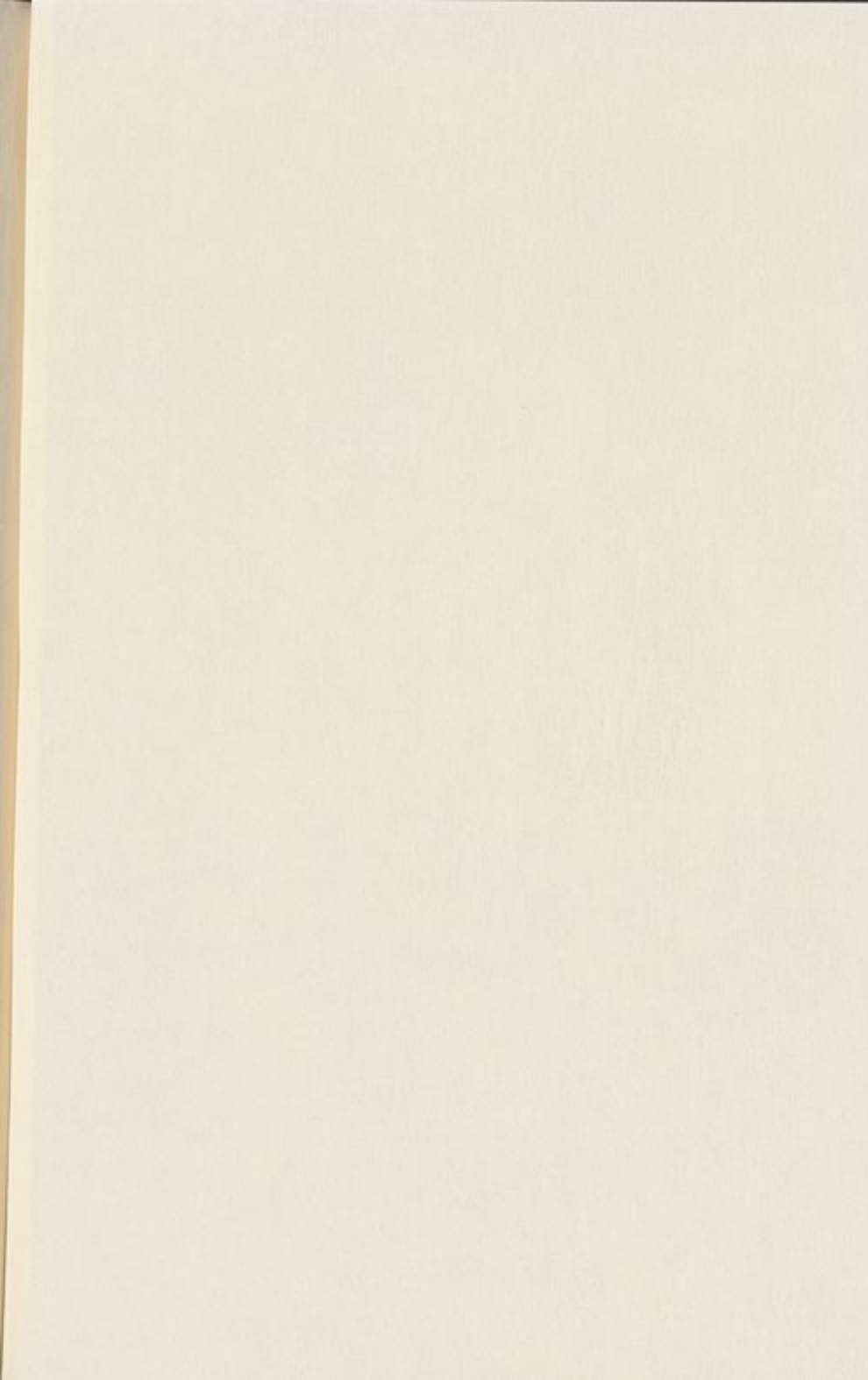
١٩٩ خاتمة الرسالات و خاتم الأنبياء

- ٢٠١ شمول الإسلام
- ٢٠١ الله كما يَصَوِّره القرآن
- ٢٠٣ المساواة العامة في الإسلام
- ٢٠٣ الإسلام والبحث الفكري الحرّ
- ٢٠٥ الإسلام والدعوة الى التفكير والتعلم
- ٢٠٥ الإسلام والحياة
- ٢٠٧ أحكام الإسلام وتطور الزّمان
- هل يمكن الاستغناء بهذه النظم العلميّه
والأفكار العصريّة عن غيرها؟
- ٢٠٨ الإمدادات الغيبيّة مازالت متّصلة
- ٢٠٩ كيف يمكن العمل بالإسلام في عالمنا
- ٢١٠
- الدّرس الرّابع والعشرون**
- ٢١٣ الإمامة وخلافة النبيّ (ص)
- ٢١٥ أليكنّا القرآن؟
- الدّرس الخامس والعشرون**
- ٢٢١ الهداية المعنويّة والباطنيّة للإمام
- ٢٢٦ كيف تحصل الحياة المعنوية؟
- ٢٢٧ الهادي نحو الحياة
- ٢٢٨ ماهي الهداية بأمرالله؟
- الدّرس السادس والعشرون**
- ٢٣٧ أميرالمؤمنين عليّ وصيّ النبيّ
- ٢٤٤ سند حديث الغدير

- ٢٤٥ تحقيق موجز في معنى حديث الغدير
- الدرس السابع والعشرون
- ٢٥٣ مسألة الشورى
- ٢٥٧ من تاريخ السقيفة
- ٢٦٠ تصريح عمر بعدم حصول الشورى
- الدرس الثامن والعشرون
- ٢٦٥ المهدي المنتظر
- ٢٦٦ القرآن والاعتقاد بالمهدي
- ٢٦٨ المهدوية في المصادر السنّية
- ٢٧٠ المصلح الغيبي عند الشيعة
- ٢٧١ الأحاديث حول المهدي
- ٢٧٣ رأى علماء الاجتماع
- ٢٧٤ طول عمر الإمام
- ٢٧٨ غيبة الإمام المهدي
- ٢٧٩ لماذا كانت الغيبة؟
- ٢٨٠ امتحان الامّة
- ٢٨١ حفظه من القتل
- ٢٨٢ فوائد وجود الإمام الغائب وتذكير لازم
- الدرس التاسع والعشرون
- ٢٨٧ المعاد
- ٢٨٨ حكمة الله وعدله
- ٢٩٠ العواقب الدنيوية

٢٩٢	المعاد في التصور الإسلامي
	الدرس الثالثون
٢٩٧	العالم بعد الموت
٢٩٨	عالم البرزخ
٣٠١	سؤال القبر
٣٠٣	عذاب القبر
٣٠٤	ذكر الموت
٣٠٦	الجنة
٣٠٧	جهنم
٣٠٩	

F5401-





Princeton University Library



32101 055403800



مَنْشُورَات

مُؤَسَّسَة فِي طَرِيقِ الْحَقِّ

العنوان: قَم - ص.ب ١٣٧ - ٣٧١٨٥